الفيصل

مجلة ثقافية شهرية العدد (١٨١) - رجب ١٤١٢هـ (يناير) ١٩٩٢م

AL FAISAL MAGAZINE ISSUE. (181) JAN 1992

كشاف الفيصل

عالم الرموز.. تاريخه وخفايا الدور اليهودي فيه


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين الرحمن
الرحيم مالك يوم الدين
اياك نعبد واياك نستعين
اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين انعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

المشرف على التحرير

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (١٨١) — رجب ١٤١٢هـ — السنة (١٦) كانون الثاني (يناير) ١٩٩٢م

إطلالة

لغة ظلمها أبناؤها

لا نعرف لغةً من لغـات العالم كالعربية امتـدت جذورها في التاريخ، وحملتْ لواء الحضـارة القديمة، ونَقَلتْ تُراثَ العصور لتضَعه لَبِناتٍ خَيِّرةً في بناء ما تنعم به البشرية من الحضارة اليوم، وما تزال شامخةَ الذُّرا متينة البنيان، صامدةً في وجه نكبات الزمان، محطِّمة لكلّ ما أريد بها من الضياع والهوان.

لقد مرّت عصور كانت العربية فيها لغة الحكم والعلم والثقافة، وهي لغة السياسة والحضارة والأدب. وكان أبنـاؤها يعتزّون بها، ويقبلـون عليها، ويُغْنونها حتى تَتَّسع لحاجـات الحياة الجديدة، ولألـوان العلوم المختلفة.

لقد حَمَلت اللغة أفكارهم، وَرَعَتْ عواطفهم، وجسَّدت أصالتهم القومية وكانت وسيلَتَهم إلى التفكير والتعبير، ثم غدت الآن تعاني ما تعاني من كيد أعدائها، وغفلة كثير من أبنائها.

لقد رموها بالجمود، ونعتوها بالضيق والعجز عن استيعاب ما تطلع به العلوم والفنون الحديثة، وادّعوا أن فيها صعوبةً لا تستجيـب معها لمريدها، وأن الإعراب فيها شَرَكٌ يتعثر بـه العالم والمتعلّم جميعا، والحق أن العلة الكبرى فينـا نحن لا في لغتنا. إنّ اللغـة التي حملت قديمًا صبـابة العشـاق، وعواطف المحبين، ولهو أصحاب الهوى، ووصفَ الـرياضِ ومجالس اللهو والغناء، هـي نفسها التي نقلت فكر اليونـان، وحكمة الهنـد والصين، ونُظُم الفرس الاجتماعيـة والإداريـة، وهي التي حَفِلَت بها كتب الفلسفـة والطب والهندسـة والكيمياء وتقويم البلدان وغيرها مما كان منارة للدنيا، وقبلة للمتعلمين في كل مكان.

لقد أحبّوا لغتهم، وآمنوا بقدرتها فأعطوها من اهتمامهم ما جعلها أكثر غنى وأوفر قدرة، أما نحن فقد آثرنا السلامة، وأشفقنا من بذل الجهد، واكتفينا بـأن ألقينا عجزنا على اللغة، وحمّلناها تبعةً نحن أصحابها وهي بريئة منها.

طالبُنا في اختصـاصه العلميّ زاهد بلغته، يـراها غير ضرورية لدراستـه، والمتعلّمون والمعلّمون بشكل عام يستخدمـون العامية لأنها أجرى على الألسنة وأيسر في الاستعمال، وقـد نسوا أو تناسوا أن لغـــة القـــوم هي عنوان شخصية الأمة، ورمز وجودها، ولو تعلّم أبناء الأمة جميعًا اللغات الأجنبية، وبرَعوا فيها، وغَلَبوا أصحابها عليها، وأهملوا شأن لغتهم لذابوا في غيرهم، ولاضمحلـوا في من سواهم، ولتنازلوا طوعًا أو جهلاً عن كيانهم القومي ليكـونوا لغيرهم تبعا، ولهانت أقدارهم على الأمم. ومن زهد بلغته كـان الناس فيه أشد زهدا.

لقد قامت فئات مسعورة مأجورة فنادت باستعمال العامية لأنها لغة الحياة، وباستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي لتلحق العربيـة بالركب العالميّ، وبإلغاء حركات الإعـراب ليستوي الناس جميعًا في قراءة ما يكتب، ولو كان للّغة أن تقول شيئًا لبكت هؤلاء الناس ـ وما هم بناس ـ ولساءها مكانهم منها.

لقد طلبوا العـزة بغير ما أعزهم الله به فذلّـوا ومرّوا في تاريخنا كمرور طيف أو سحـابة صيف. وصدق حافظ إبراهيم حين قال:

أرَى لِرجَال الغــرب عـزّا ومنـعة وكـم عـَزَّ أقوام بعــزّ لغاتِ

إن تعجب فعجب لأنـاسٍ نزل القـرآن بلغتهم فهزّ الـدنيا وأثـار إكبار كل من لـه عقل صحيح وقلب سليم، أما هم فكانوا فيه من الزاهدين.

لقـد أخـذ بريـق الغرب أبصـارهم، وأعمى بصـائرهم فمشـوا وراءه مقنعي رؤوسهم طـائعين، قـال فَصَدّقوا، وأمـر فأطاعوا، وكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿وكَـذلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عربيًّـا، وصَرّفنا فِيهِ مِنَ الوَعيدِ لَعلَّهم يتّقون..﴾ (طه: ١١٣)، وقوله عزّ قائلاً: ﴿وهـذا كتابٌ مصدّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذين ظَلَمُوا﴾ (الأحقاف: ١٢).

وإذا خرجت العـربية ظافـرة منتصرة، فإن المعارك المقبلة كثيرة، والتحـديات لا ترحم، والله سبحـانه وتعالى يخاطـب رسوله عليـه السلام وأمتـه من بعده بقـوله: ﴿فـاسْتَمْسِكْ بالّـذي أُوْحِيَ إِلَيْكَ، إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم، وإنّه لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَومكَ وسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (الزخرف: ٤٤).

فهل هيّأتم الجواب حين تُنْشَرُ الصحف، وتُعرضونَ على الله يوم الحساب؟!

عاصم بهجة البيطار

ملاحظات عامة

- أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.
- ألا يكون الموضـوع منشوراً من قبـل، أو مرسـلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.
- أن يكون مطبـوعًا أو مكتـوبًا بخط واضح، وبلغـة صحيحة وأسلوب سليم.
- حين تردّ المجلـة على كاتب مـا بأن مـوضوعه «غير منـاسب للنشر» فإن هـذا لا يعني أنه «غير صالـح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.
- أن يـرفق الكاتب (الـذي لم يسبق لـه الكتـابة في المجلـة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلميـة والإنتاج الفكري - إن وجد - وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.
- تسلسل نشر الموضوعات تحكمه اعتبارات فنية.

الفيصل

● المراسلات

مجلـــة «الفيصـل» ص. ب: (٣) الريـاض: ١١٤١١ ـ المملكة العـربية السعودية.

هـــاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ تلـكـس: ٤٠٢٦٠٠ DRFATHSJ ــ فــاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١.

●أسعار بيع النسخ في البلاد العربية: المملكة العـربية السعوديـة ٨ ريالات ـ الكويت ٦٠٠ فلس ـ الإمارات العربية المتحـدة ٧ دراهم ـ قطـر ٧ ريـالات ـ البحـرين ٦٠٠ فلس ـ سلطنة عمان ٦٠٠ بيســة ـ الأردن ٤٠٠ فلس ـ الجمهـورية اليمنيـة ٦ ريالات ـ مصر ١٠٠ قـرش ـ السـودان ١٠٠ قـرش ـ المغـرب ٥ دراهم ـ تـونس ٥٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ١٠ ليرات ـ ليبيا ٨٠٠ درهم.

●أسعار الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالاً سعـوديًا لغير الأفراد ٢٥٠ ريـالاً سعـوديّـا تـرسل قيمـة الاشتراكات باسم مجلة «الفيصل»

●الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

● ALL CORRESPONDENCE TO:

AL-FAISAL MAGASINE P.O. BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDIA

Tel. 4653026 - 4653027, Telex: 402600 DRFATH SJ, Telefax: 4647851.

● EUROPE - AMERICA - ASIA:

Norway NKR30 - Pakistan RS15 - Portugal ESQ100 - Spain PTS150- Sweden SKR30 - Switzerland SF6 - United Kingdom £ 2 - U.S.A. $5 - Belgium BF200 - Denmark DKR30 - Finland FMK30 - France FF15 - F.R.G. DM10 - Greece DR200 - Italy L4000 - Netherlands DFL10

● ANNUAL SUBSCRIPTION RATES:

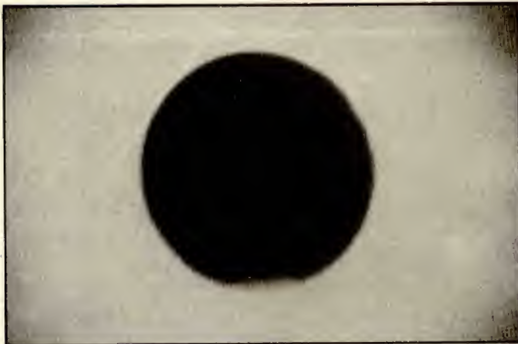
Personal Subscription S.R. 150
Others S.R. 250

Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

في هذا العدد


ص ٧٥


ص ٣٥


ص ٤٥


ص ٨٣




الأمير سعود الفيصل


د. محمد المهدي

السعودية

مهرجان الجنادرية

يقام في شهر شعبان المقبل في الجنادرية **المهرجان الوطني السابع للتراث والثقافة** الذي ينظمه كل عام الحرس الوطني.

يتضمن المهرجان العديد من النشاطات الثقافية والفنية كالندوات والمحاضرات ومعرض الكتاب ومعارض أخرى متنوعة في مجالات التصوير والفن التشكيلي والحفر والزخرفة والنحت والفنون التطبيقية، فضلاً عن عروض فنية شعبية (فلكلور) تمثل مختلف مناطق المملكة، ونماذج للصناعات البيئية، وعروض الفروسية، وما إلى ذلك.

ينتظر أن يستضيف المهرجان نخبة من كبار المثقفين والأدباء والمفكرين العرب للمشاركة فيه إلى جانب نظرائهم السعوديين والمقيمين في السعودية.

وسائل تقنية للدعوة

تعتزم رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة **استئجار قنوات تلفازية في بلدان أوروبا وأمريكا وغيرها لنشر الدعوة الإسلامية بمختلف اللغات.**

ومن بين المشروعات التي تتطلع الرابطة إلى تنفيذها مشروع **لتسجيل القرآن الكريم على أشرطة كاسيت وفيديو مع ترجمة معانيه،** وتوسيع إمكاناتها لقبول المدرسين وابتعاثهم.

افتتاح مكتبة للطفل

افتتحت حرم صاحب السمو الملكي **الأمير عبد الله بن عبد العزيز** ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني مكتبة الطفل الملحقة **بمكتبة الملك عبد العزيز العامة.**

وتتضمن المكتبة إلى جانب الكتب والدوريات الخاصة بالأطفال ركناً للمطالعة الحرة وآخر للألعاب التي تنمّي القدرات الذهنية، وثالثًا للوسائل السمعية والبصرية.

وتعتزم المكتبة **إصدار مجلة للطفل** يحررها روادها من الأطفال، إضافة إلى تنظيم برامج أخرى كالمسابقات وغيرها.

«قضايا بيئية»: معرض للكتاب

نظمت الهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها في الرياض - بالتعاون مع وكالة الإعلام الأمريكية - معرضاً للكتاب تحت عنوان «قضايا بيئية».

أقيم المعرض تحت رعاية صاحب السمو الملكي **الأمير سعود الفيصل** وزير الخارجية والعضو المنتدب للهيئة، وشارك فيه أكثر من مائة دار نشر أمريكية، وافتتحه الدكتور **عبد العزيز أبو زنادة** الأمين العام للهيئة والسفير الأمريكي في الرياض.

المعرض الذي استمر أسبوعًا قصد **التعريف بالقضايا البيئية التي تشغل العالم** من خلال اطلاع المهتمين بها على أحدث ما نشر في مجال التنوع الأحيائي، والأنواع المهددة بالانقراض، وثقب الأوزون، وغير ذلك من الموضوعات البيئية.

معرض للكتاب والشريط الإسلامي

برعاية سمو **الأمير محمد بن فهد بن جلوي،** أمير منطقة الأحساء، افتتح في بداية شهر جمادى الآخرة الماضي **المعرض الثاني عشر للكتاب والشريط الإسلامي،** الذي نظمته كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء.

شارك في المعرض الذي استمر ١٦ يومًا نحو ٢٣ ناشرا ومكتبة تجارية و٢٤ دارًا للتسجيلات.

ندوة عن وسائل الإعلام والطفل

تحدد غرة شهر رمضان المقبل ١٤١٢هـ موعدًا نهائيًا لقبول البحوث والدراسات المقدمة من داخل المملكة العربية السعودية وخارجها للمشاركة في ندوة «وسائل الإعلام والطفل».

وكان قد تقرر تأجيل الندوة التي تنظمها جامعة الملك سعود، الرياض إلى الثاني من شهر ذي القعدة ١٤١٢، وأعيد تشكيل لجانها، كما أعيد النظر في محاورها التي أصبحت كالتالي:

المواد الإعلامية المتوافرة للطفل، استخدامات الطفل لوسائل الإعلام، أثر وسائل الإعلام في الطفل، المسرح والطفل.

مهرجان للطفل

نظمت وزارة المعارف مهرجانًا للطفل في مختلف مناطق المملكة.

المهرجان الذي أقيم في الأسبوع الأول من شهر جمادى الآخرة الماضي استهدف إشعار الطفل بمدى الاهتمام به وإبراز الخدمات التربوية والتعليمية التي تقدمها الوزارة للطفل.

وتضمن نشاطات غير منهجية مثل المعارض الاجتماعية والفنية والكشفية، وعروضًا مسرحية، ومسابقات اجتماعية وثقافية، ونشاطات رياضية.

حوار ثقافي

نظمت **جامعة أم القرى** بمكة المكرمة في شهر جمادى الآخرة الماضي حوارًا ثقافيًا بعنوان **«الثروة العلمية عند المسلمين في الفقه وأصوله واللغة العربية والتربية وعلم النفس».**

شارك في الحوار كل من الدكاترة: **عابد محمد السفياني، ومحمد خير عرموسي، ومحمد المهدي.**

بدايات الصحافة السعودية في معرض

تقيم مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض خلال شهر شعبان المقبل




الشيخ زايد آل نهيان


يحيى المعلمي


د. خالد عبد الغني

معرضاً عن الدوريات والصحف السعودية عنوانه «بواكير الصحافة السعودية».

سوف تشمل المعروضات ـ كما يتضح من عنوان المعرض ـ الأعداد الأولى من الصحف والمجلات والدوريات، ومعلومات وافية عنها، والأحداث التي واكبت قيامها، ومراحل تطورها.

معرض مخطوطات القرآن الكريم

افتتح الدكتور **خالد عبد الغني** أمين مدينة جدة معرض مخطوطات القرآن الكريم الذي أقامه البنك الأهلي التجاري.

ضم المعرض **٣٢ مخطوطة** قرآنية يعود بعضها إلى القرن الثالث الهجري.

معرضان للطوابع والخط العربي

أقيم في بيت الشباب في مكة المكرمة معرضان، أحدهما **لهواة الطوابع، والآخر للخط العربي**.

ضم المعرض الأول ٢٥ لوحة صممت بالطوابع السعودية تعبر عن نهضة المملكة، **وجناحًا للطوابع السعودية النادرة التي يعود تاريخها إلى عام ١٣٤٣هـ**، وجناحًا للوحات الزخرفية، وثالثًا يعبر عن أضرار المخدرات على المجتمع.

واشتمل المعرض الثاني على**لوحات لآيات قرآنية وأخرى تمثل فنون الخط العربي وأشكاله الجمالية**، إضافة إلى جناح خاص لأعمال الفنان **ضيف الله القرني**.

قرى وحصون أثرية

كشف مسح أثري قامت به الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف عن وجود قرى وحصون أثرية قديمة **بمنطقة الليث**.

تقع هذه القرى في كل من **الجب وأذان والصفيح والدومة والرملة وبني عفيف**، وقد وجد بعضها مطمورًا تحت الأرض وهي تحمل نقوشًا، وأسلوب بنائها يمثل عصورًا عديدة.

معرض فني مصري

أقيم في قاعة رؤى الفن بمركز البساتين بجدة معرض فني مصري ضم **٣٥ عملاً تمثل المدارس الفنية المعاصرة** وتحاكي الطبيعة المصرية.

شارك في المعرض عدد من أساتذة كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ومجموعة من الفنانين التشكيليين، وهم الدكاترة: **حسن عبد الفتاح، وسامح البناني، وصبري منصور، ومصطفى الفقي، وسالمة عبد العزيز، وفاروق بسيوني، وحسين الجبالي، ورستم العشري**، والفنانون التشكيليون: **علي يوسف، ويوسف رأفت، وسمير فؤاد، وزينب عبد الحميد، وعفت ناجي**.

معرض فني سوداني

أقيم في الرياض معرض فني تشكيلي سوداني، بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لاستقلال السودان.

ضم المعرض أكثر من **١٣٠ عملاً فنيًا** نفذ بمختلف الخامات ذات العلاقة المباشرة بواقع السودان، بهدف تعريف الشعب السعودي والمقيمين في المملكة بالحركة الفنية والتشكيلية في السودان ومدارسها واتجاهاتها.

كتب جديدة

- **الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية مقارنة**، إعداد د. **أحمد بن علي تمراز**.
- **الاتصال العلمي عند الباحثين العرب في العلوم البحتة**، تأليف د. **فهد مسفر الدوسري**.
- **خدمات المعلومات بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية: دراسة ميدانية من وجهة نظر المستفيدين**، إعداد د. **سالم محمد السالم**.
- **البحث المباشر في قواعد المعلومات**، تأليف د. **فهد مسفر الدوسري**.

صدرت الكتب الأربعة السابقة عن **مكتبة الملك فهد الوطنية** بالرياض.

- **أخطاء مشهورة ومناقشات لغوية**، تأليف **يحيى بن عبد الله المعلمي**.
- **في البدء كان الرحيل**، مجموعة قصصية **لفوزية الجار الله**. صدرت عن **نادي القصة السعودي** بالرياض.
- **المراجع العربية**، تأليف **سعود بن عبد الله الحزيمي**، صدر عن **معهد الإدارة العامة** بالرياض.
- **مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية**، تأليف د. **مصطفى محمد متولي**.
- **المخدرات: مضارها على الدين والدنيا**، تأليف **ياسين الخطيب**، صدر عن إدارة الصحافة والنشر **برابطة العالم الإسلامي** في مكة المكرمة.

الإمارات

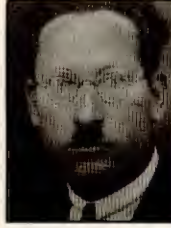
مهرجان ثقافي فني

نظمت وزارة الإعلام والثقافة في أبو ظبي مهرجانًا بمناسبة الاحتفال باليوم الوطني العشرين للدولة أسمته «مهرجان الحب والوفاء».

تضمن المهرجان **معرضاً للصور وآخر للكتب التوثيقية** لحياة سمو رئيس الدولة **الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان** ونشاطاته، وكتبًا عن الدولة، **ومناظر مختارة** عن الإمارات ماضياً وحاضرًا، **وعروضًا لفنون البادية**، وأخرى للفنون الشعبية.

كما أقيم مرسم حر ومعارض تشكيلية، وعرضت أفلام سينمائية وشرائط فيديو.


بدر جاسم اليعقوب


د. زكي مبارك

دليل للمؤسسات الثقافية والعلمية

أصدرت **دار الكتب الوطنية** في أبو ظبي دليلاً عن المؤسسات الثقافية والعلمية في دولة الإمارات العربية المتحدة بمناسبة الذكرى العشرين لقيام الدولة.

يقدم الدليل معلومات عن **١٩٤ مؤسسة ثقافية وعلمية** أنشئ معظمها بعد قيام دولة الاتحاد عام ١٩٧١م.

جائزة لشاعر سعودي

فاز الشاعر السعودي **معيض طالع العسيري بجائزة راشد بن حميد للثقافة والعلوم** التي تنظمها جمعية أم المؤمنين النسائية بعجمان على مستوى دول الخليج.

ويذكر أن المسابقة ـ وهي الثامنة ـ تضمنت عدة مجالات منها الشعر والقصة القصيرة والبحث الثقافي العام.

كتب جديدة

- **من أساليب الرسول ﷺ في التربية**، تأليف **نجيب العامر**.
- **تيسير العقيدة والعبادات**، تأليف **محمد سليمان فرج**.

البحرين

حوار اقتصادي أوروبي ـ إسلامي

تستضيف المنامة في غرة شهر شعبان المقبل **الدورة الأولى لندوة الحوار الاقتصادي الأوروبي ـ الإسلامي**، التي تعقد تحت عنوان **«من أجل نظام اقتصادي جديد»**.

تنظم الندوة غرفة التجارية والصناعة الأوروبية ـ الإسلامية ومقرها بروكسل، بالتعاون مع جمعية المحامين البحرينية وجامعة الخليج العربي، وبمشاركة مركز التنسيق بين اللجان الوطنية العربية لليونسكو.

البحث عن مدينة مدفونة

يجري حاليا البحث عن مدينة أثرية إسلامية كاملة يعتقد بأنها مدفونة تحت الأرض بالقرب من قلعة البحرين الأثرية الشهيرة.

تقوم بالتنقيب عن المدينة بعثة آثار فرنسية، ويتوقع أن تستغرق الأعمال خمسة أعوام، حيث يعد لعمل ممرات خاصة لتمكين السياح من مشاهدة الآثار المكتشفة.

دراسة بيئية آثارية

تقوم جامعة الخليج العربي حالياً **بدراسة بيئية لمنطقة الجزيرة العربية على ضوء الإشارات البيئية التي وردت في سورة الكهف**.

ترمي الدراسة إلى الكشف عن موقع سد يأجوج ومأجوج، حيث يرى **د. شحته الخطيب** أن جسم السد واقع بين جبلين في شمالي الجزيرة العربية في **موقع جبال طوروس** بسورية وتركيا.

من الكتب الجديدة

- **الشوارق**، ديوان جديد للشاعر **عبد القادر عقيل**، صدر ضمن سلسلة كتاب «كلمات» لأسرة الأدباء والكُتّاب.

الكويت

معرض كتاب

برعاية وزير الإعلام الكويتي **بدر جاسم اليعقوب**، افتتح في بداية شهر جمادى الآخرة المنصرم **المعرض السادس عشر للكتاب العربي**.

ضم المعرض ٦٧ جناحًا قدمت ١٨ ألف عنوان، وعرضت كتبًا ومطبوعات مختلفة لقرابة ١٨٠ دارًا للنشر من داخل الكويت وخارجها.

إحباط بيع الآثار المسروقة

أحبطت الحكومة الكويتية بالتعاون مع المنظمة العالمية للمتاحف التابعة لليونسكو محاولة لبيع الآثار المسروقة التي نهبها جنود قوات الغزو العراقي إبان أزمة الخليج.

ولم يكشف المسؤولون الكويتيون عن نوعية تلك القطع الأثرية أو أسماء المشتركين في عملية البيع والشراء.

عُمان

قبور ما قبل الميلاد

عثر طيار بريطاني فوق جبل وادي شعيب بالجزء الشرقي من سلطنة عمان على ٥٠ **قبراً على شكل أبراج** ارتفاع الواحدة منها سبعة أمتار، يعود تاريخها إلى ٤٠٠٠ عام.

الغريب إن الكشف تم قبل ما يزيد عن العام ونصف العام، إلا أنه لم يعلن عنه سوى مؤخراً لاعتقاد الطيار بأن السلطات على علم بوجود تلك الآثار.

ويقول الآثاري الألماني **بول يول** إن القبور المكتشفة توحي باحتمال ظهور بعض القبور الطائفية **لحضارة «أم النار»** التي وُجدت بين عامي ٢٠٠٠ ق.م و٢٧٠ ق.م، ولم يستبعد بول أن تكون القبور عائدة إلى **حضارة «حطيت» عام ٣٠٠٠ ق.م**.

مصر

معجم المصطلحات الفنية

يعدّ اتحاد المهندسين العرب حاليًا لمشروع يهدف إلى تطوير المعجم الموحد للمصطلحات الفنية للهندسة والتقنية والعلوم.

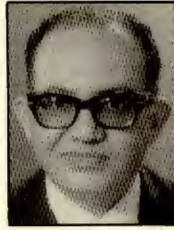
يتضمن المشروع **إعادة طبع المعجم مع إضافة اللغة الفرنسية إلى جانب العربية والإنجليزية، واستخراج معالم مبسطة منه**.

الاحتفال بمئوية زكي مبارك

نظمت الهيئة العامة لقصور الثقافة بالتعاون مع محافظة المنوفية وجامعة المنوفية مسقط رأس د. **زكي مبارك** مهرجانًا احتفالاً بالذكرى المئوية لميلاده.

وضع بهذه المناسبة **حجر الأساس لقصر ثقافة في قرية سنتريس** التي ولد فيها زكي مبارك وعاش طفولته، وأحدث بها نقلة تعليمية مهمة حين قدم بيته عام ١٩٤٣م لتقام فيه مدرسة ابتدائية.




د. شكري عياد


د. غالي شكري


محمود قاسم

تضمن الاحتفال أيضا صدور **كتاب تذكاري** عن المحتفى به قدم له د. **شكري عياد**، وعرضًا مسرحيًا يتناول حياته، ومعرضًا لأعماله، ومعرضًا للكتاب وآخر للفنون التشكيلية، وأمسيتين شعريتين، ومسابقة أدبية.

ويذكر أن زكي مبارك قد حصل على **ثلاث درجات دكتوراة** أولاها من جامعة القاهرة عام ١٩٢٤م عن رسالته «الأخلاق عند الغزالي»، والثانية من السوربون عام ١٩٣١م عن رسالته «النثر الفني في القرن الرابع الهجري»، والثالثة من جامعة القاهرة عام ١٩٣٧م عن «التصوف الإسلامي».

وله العديد من المؤلفات أهمها: «ديوان زكي مبارك» و«اللغة والدين والتقاليد» و«الموازنة بين الشعراء»، و«البدائع». وقد قُدِّر أن يرحل قبل يومين فقط من حريق القاهرة عام ١٩٥٢م، فانشغل الجميع بالحريق عن رحيله.

مؤتمر قادم عن مشكلات اللغة

تعد كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لعقد **مؤتمر عالمي يناقش مشكلات اللغة العربية في العالم الإسلامي وكيفية إحياء التراث العربي**.

ينتظر أن يشارك في المؤتمر علماء من المجمع اللغوي في القاهرة والمجامع العلمية الأخرى في الدول العربية، وأساتذة اللغة العربية في الجامعات العربية والإسلامية.

مسابقة لرابطة الأدب الإسلامي

أعلنت رابطة الأدب الإسلامي العالمية عن مسابقة في الأدب الإسلامي في مجالي: الرواية والقصة القصيرة.

واشترطت الرابطة أن يكون الهدف العام للنص المقدم معززاً للقيم الإسلامية في أي جانب حياتي وأن تصل المشاركات في موعد أقصاه نهاية شهر رجب الجاري ١٤١٢هـ، بالنسبة للقصة القصيرة، ونهاية شهر شعبان المقبل ١٤١٢هـ بالنسبة للرواية، وذلك إلى أحد مكاتب الرابطة في لكهنؤ بالهند والقاهرة وعمّان.

وأوضح رئيس فرع الرابطة بالقاهرة د. **عبده زايد** أن جوائز مسابقة الرواية كالتالي: ٢٠٠٠ دولار، ١٥٠٠ دولار، ١٠٠٠ دولار، أما جوائز مسابقة القصة القصيرة فهي: ٥٠٠ دولار، ٣٠٠ دولار، ٢٠٠ دولار، إضافة إلى عشر جوائز تشجيعية قيمة كل منها ١٠٠ دولار.

مسابقة ثقافية

بلغ عدد الأعمال المتقدمة للمسابقة الثقافية الأولى لمركز معلومات السنة النبوية بمؤسسة «إقرأ» الخيرية **٤٥٠ عملاً** موزعة على موضوعات المسابقة التسع وهي: الجهاد، الصدق، العمل، حضارة الإسلام في صقلية، انتشار الإسلام في جنوب شرقي آسيا، السلطان محمد الفاتح، القصة القصيرة، الشعر، أدب الأطفال.

وقد خصص لكل فرع من فروع المسابقة عشر جوائز، وانتهت لجان الفحص والتقديم المكونة من مجموعة من المفكرين والنقاد والأدباء والشعراء من اختيار الفائزين الذي يتوقع أن تُعلن أسماؤهم والمجلة ماثلة للطبع.

ندوة عن الرواية العربية

تستضيف كلية الآداب بجامعة القاهرة في شهر شعبان المقبل ١٤١٢هـ الموافق فبراير (شباط) ١٩٩٢م ندوة عنوانها **«الرواية العربية: الماضي والحاضر وآفاق المستقبل»**.

تعقد الندوة في ذكرى رحيل الناقد د. **عبد المحسن طه بدر**، تكريماً لدوره في مجال النقد والدراسات الأدبية، وتناقش النقد الروائي مع تقويم الإنجازات مع التركيز على إنجازات د. بدر، والروايات الأساسية المؤثرة التي تعد نقاط تحول في تاريخ الرواية العربية.

«السؤال»

هذا اسم **أحدث مجلة أدبية فكرية** صدر عددها الأول - مؤخرًا - في القاهرة.

تهتم المجلة الجديدة بشؤون الفكر العالمي والأدب والقضايا الثقافية المعاصرة في مصر والوطن العربي، ويرأس تحريرها د. **غالي شكري**.

سلسلة أدبية للفائزين بجوائز عالمية

تصدر مؤسسة دار الهلال للصحافة ابتداء من شهر يناير (كانون الثاني) الجاري **سلسلة أدبية جديدة بعنوان «جوائز الأدب»**، تعنى بتقديم المؤلفات التي فاز أصحابها بجوائز عالمية.

ضمن هذه السلسلة تصدر دفعة واحدة ثلاثة كتب فازت خلال حقبة الثمانينيات الميلادية بجائزة نوبل للأدب، هي: **«سيد الذباب»** للبريطاني **وليام جولدنج**، ترجمة **محمود قاسم**، **«المفسرون»** للروائي الأفريقي **وول سونيكا**، ترجمة **محمد جلال عباس**، و **«الريح» لكلود سيمون**، ترجمة د. **زينب عبد العزيز**.

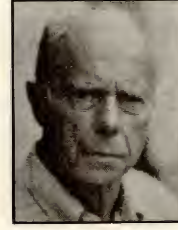
من المنتظر أن تصدر أيضا ضمن السلسلة روايات للكاتب الأسباني **ثيلا**، والجنوب أفريقية **نادين جورديمر**، **وباتريك موديانو**.

مؤتمر عن اللغة الألمانية وآدابها

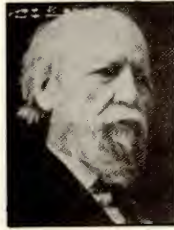
عقد في القاهرة: أول مؤتمر دولي في مصر عن اللغة الألمانية وآدابها.

نظم المؤتمر قسم اللغة الألمانية بكلية الآداب بجامعة القاهرة بالتعاون مع جامعتي الأزهر وعين شمس. وأسهمت فيه سفارات بعض الدول التي تتحدث الألمانية وهي سويسرا، ألمانيا، النمسا، إضافة إلى الهيئة الألمانية للتبادل العلمي.

وناقش المؤتمرون الموضوعات التالية: اللغة الألمانية في مصر، وقواعدها النحوية، وقراءة النصوص الأصلية من الأدب الألماني القديم وتشكيلات الأدب السويسري، وصورة الإنسان في أدب القرون الوسطى، ووظيفة الأدب في العصر الحاضر.


كلود سيمون


وول سونيكا


وليام جولدنج

اكتشاف مخبز للقدماء

اكتشف في هضبة الأهرام **فرن ضخم يمكنه تقديم الخبز لنحو ٣٠ ألف شخص يوميًا** يرجع إلى عصر بناة الأهرام، الذي بدأ مع الأسرة الرابعة عام ٢٥٧٥ ق. م.

ويعد هذا الفرن ـ كما يقول علماء الحفريات ـ أقدم فرن تم اكتشافه في مصر، وربما في العالم بأسره، وهو مزود بموقد وآنية ضخمة للعجن، وأخرى لحفظ الخبز.

ويذكر أن السجلات التي عثر عليها عن تلك الفترة تكشف عن أن المصريين القدماء قد عرفوا ١٤ نوعًا من الخبز على الأقل.

متحف للقطع الأثرية المسروقة

تعتزم هيئة الآثار إعداد متحف في قلعة صلاح الدين بالقاهرة لعرض القطع الأثرية التي تم ضبطها أثناء سرقتها أو محاولة تهريبها.

ينتظر أن يضم المتحف مجموعة متنوعة من العملات الذهبية، والفضية، والتماثيل، واللوحات الفنية، وأوراق البردي والتمائم والجعارين.

وتعود المعروضات إلى مختلف العصور: الفرعونية، واليونانية، والرومانية، والإسلامية.

كتب جديدة

● **الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث: النظرية والتطبيق**، تأليف **سامية محمد جابر**، صدر عن **دار المعرفة الجامعية** بالإسكندرية.

● **الإدمان**، تأليف **محمد علي قرني**، صدر عن **المركز العربي الحديث** بالقاهرة.

● **أزواج وزوجات**، تأليف **محمد كامل عبد الصمد**، صدر عن **المكتب الجامعي الحديث** بالإسكندرية.

● **الإعلام في مصر القديمة**، تأليف **محمود أدهم**، صدر عن **مكتبة النهضة المصرية**.

كـلـمـة :

قراءات في أدب الأطفال

من منا لا يعرف قول الشاعر:

وإنـمـا أولادنـا بيننـا أكبـادنـا تمشي على الأرض

فإذا كان الولد هو الكبد أو القلب، وهو أغلى ما في الوجود، وهو أيضاً رمز للبراءة أو الصفاء والخير في هذا العالم الواسع فحري بنا أن نتتبع ما يكتب للطفولة ونحدد الصالح منه، لأن الأطفال أمانة في أعناقنا.

وإني إذ أطرح مثل هذا الموضوع أحاول وضع نقاط أساسية للكتابة للأطفال من خلال تناول قصتين، للكاتب الغربي **اسيفير سلوبودكانيا**، وللكاتب العربي **طلال حسن** على التوالي:

أولاً: كتب **اسيفير سلوبود كانيا** قصة **«قبعات للبيع»**، والقصة عبارة عن صفحة واحدة من القطع الكبير. يبتدئ الكاتب قصته بمقدمة تقليدية تذكرنا بالحكايات القديمة، يقول: «كان في قديم الزمان بائع جوّال يبيع القبعات، فيضع على رأسه قبعته الخاصة أولاً ثم يضع فوقها عدداً من القبعات الرمادية فالقبعات البنية فالزرقاء فالحمراء».

لم يقل الكاتب: كان وزيراً أو ساحراً، إنما قال: بائعًا جوالاً، ومن لا يعرف البائع الجوّال؟ إن شخصية البائع الجوّال قريبة جدًا لأذهان أطفالنا في شتى أرجاء المعمورة.

أقول: إنه حسن أن نلتزم **الواقعية في الكتابة للطفل** دون التحليق في عالم الخيال. أمر آخر يمكن قوله هنا وهو أن ترتيب القبعات على رأس البائع حسب ألوانها تلفت نظر الطفل **وتعرفه بالألوان وتعلمه التمييز بينها**، ولا يغيب عنا أن الصورة مرافقة للكلمة عند الكاتب المذكور، ولا مجال للتحدث عن أهمية الصورة فكلنا يعرف قيمتها في أدب الطفل.

وإذا تابعنا القصة فنجد الكاتب يقول: «كان يتلمس قبعاته، فيبدأ بقبعته الخاصة، فالقبعات الرمادية فالبنية فالحمراء. وحين اطمأن إلى وجودها غط في نوم عميق». وهذا تأكيد على **ترتيب القبعات وترتيب الألوان مما يرسخ في ذهن الطفل أهمية الترتيب والنظام**، حيث إنها يشعران الإنسان بالراحة والطمأنينة. وتأتي ذروة الحدث عندما أفاق البائع من نومه فتلمس قبعاته فلم يجد شيئًا غير قبعته الخاصة، وتلفت فوجد على الشجرة قردة على رأس كل قرد قبعة، غضب البائع الجوّال، وحاول استعادة قبعاته بشتى وسائل التهديد والوعيد، لكن القردة لم تكن مبالية، واشتد غضب البائع الجوّال، فألقى بقبعته أرضاً فألقت القردة بقبعاتها أيضاً. وبهذا تكون قد حلت العقدة.

وبهذا الأسلوب يكون الكاتب قد أفهم الطفل بكلمات بسيطة **أن القردة حيوانات تقلد الإنسان وهي ليست ذكية مثله**. والكاتب هنا استخدم **الجملة الخبرية البسيطة** من خلال استعماله للزمن الماضي البسيط، مثل: (كان.. تلمس.. غط.. ألقى... إلخ)، وغرضه بذلك أنه يروي حكاية. وشيء آخر هو أن قصة البائع الجوّال تحدث كل يوم، وهي تعالج مشكلة حياتية يومية، فهي قريبة إلى الواقع، بعيدة عن التخيلات.

ثانيًا: كتب **طلال حسن** قصة بعنوان **«سحابة.. وسحابة»** نشرت ضمن مجموعة قصصية عنوانها **«عش لاثنين»**، يقول الكاتب: «ارتفعت سحابة دخان، وراحت تتواثب بخفة فوق الحقل، رأت سحابة تُقْبِل من بعيد فسارعت إليها، وتأملتها بحيرة. حيَّت السحابة سحابة الدخان، وهي تتهادى ببطء نحو الحقل».

هذه الصور ظهرت في النص مغرقة في الخيال، جعلت السحابة أرنباً وإنسانًا، وسحابة الدخان موجًا، وهي صور رائعة، لكن ليس للطفل، لسبب واحد هو أن الطفل حتى سن الثانية عشرة لا يتصور أن هذه الأشياء تتواثب وتتهادى وتتأمل وتحيِّي.

ومن خلال الحوار بين السحابتين يتبيَّن لنا أن سحابة الدخان أمها النار، وأن السحابة الأخرى أمها الماء، وهذا جيد، ولكن كان على الكاتب أن يعرف أن الطفل لا يدرك ذلك، انطلاقـاً من قول الإمام الغزالي: «إنما يتعلم الطفل الأشياء من المحسوسات».

والغاية من قصص الأطفال تعليمية ومسلية، فكيف نخبر الطفل أن سحابة أمها النار، وسحابة أخرى أمها الماء، وسحابة تتهادى وأخرى تتأمل؟ وهذه الأشياء يفهمها الكبار أكثر من الصغار!

ويمكن القول إن **سلوبود كانيا** استطاع أن يلتزم الواقعية، وكتب بعبارة بسيطة، وتوافرت في قصته كل عناصر القصة من حدث وحبكة وعقدة في الحدث، ومن ثم كان الحل بسيطًا. أما الأستاذ **طلال حسن** فكان وافر المفردات صعبها، وتوافرت في قصته عناصر القصة، غير أن العلاج كان شاعريًا وخياليًا، وفوق مستوى عقلية الطفل وتفكيره. وجل أمنياتنا أن نكتب للأطفال بشكل أفضل وبواقعية.

عبد الجليل الخولي
سورية ـ حمص




د. مصطفى الشكعة


محمد إبراهيم أبو سنة


محمد القيسي


إبراهيم نصر الله

● **الإعلام وحرية المجتمع في موكب التاريخ**، تأليف **محمود متولي ولطفي عبد القادر**، صدر عن **مكتبة نهضة الشرق** بالقاهرة.

● **الأقليات التاريخية في الوطن العربي**، تأليف **أحمد الصاوي**، صدر عن **مركز الحضارة العربية** بالقاهرة.

● **أنت ومعاشك**، إعداد **حسين عثمان**، صدر عن **دار التحرير** بالقاهرة.

● **البحث الفني: الدليل المادي والتحقيق الجنائي**، تأليف **قدري عبد الفتاح الشهاوي**، صدر عن دار عالم الكتب بالقاهرة.

● **الأسس الإسلامية في فكر ابن خلدون ونظرياته**، تأليف **د. مصطفى الشكعة**.

● **الاكتئاب والانتحار: دراسة اجتماعية تحليلية**، تأليف **عبد الحكيم العفيفي**.

صدر الكتابان الأخيران عن **الدار المصرية اللبنانية** بالقاهرة.

● **الإعلام والمرأة**، تأليف **فوزية فهيم**.

● ببليوجرافيا دراسات الأمن العام والشرطة والعلوم الجنائية من ١٩٥٥ ـ ١٩٨٨م، تأليف **أبو الفتوح عودة وناصر الأبياري**.

● **استراتيجية الإعلام العربي**، تأليف **السيد عليوة**.

● **تكوين مصر عبر العصور**، ط٢ منقحة، للمؤرخ **محمد شفيق**، صدرت ضمن سلسلة **«تاريخ المصريين»**.

● **ربيع الكلمات**، كتاب نقدي للشاعر **محمد إبراهيم أبو سنة**.

● **كوميديا الحكم الشمولي**، تأليف **إبراهيم فتحي**.

● **إشكاليات القراءة وآليات التأويل**، تأليف **د. نصر أبو زيد**، صدر ضمن سلسلة **«كتابات نقدية»**.

● **حلم أطفال**، مجموعة قصصية للقاضي **خيري السيد إبراهيم**، صدرت ضمن سلسلة **«إشراقات أدبية»**.

وصدرت الكتب السابقة عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب**.

الأردن

جوائز عبد الحميد شومان

انتهى بنهاية العام الميلادي الماضي ١٩٩١ م **قبول الترشيحات لجائزة عبد الحميد شومان للعلماء العرب الشبان لعام ١٩٩١** في مجالاتها: العلوم الأساسية أو البحتة، والرياضيات، والعلوم الطبية السريرية، والعلوم الحياتية، والعلوم الهندسية، والعلوم الزراعية، والعلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية.

ويذكر أن قيمة الجائزة الواحدة ثلاثة آلاف دينار أردني، وتمنح للباحثين العرب أو الذين ينحدرون من أصل عربي ويعملون وقت الترشيح لها في قطر عربي.

كتب جديدة

● **عائلة المشاة**، تأليف **محمد القيسي**، صدر عن **دار عيبال** بعمان.

● **الاستيطان الإسرائيلي جغرافيًا وسياسيًا**، تأليف **اليشع الغرات**، صدر عن **دار الجليل للنشر والدراسات الفلسطينية** بعمان.

● **حطب أخضر**، ديوان جديد للشاعر **إبراهيم نصر الله**، صدر عن **دار الشروق** بعمان.

سورية

أسبوع ثقافي عن اندحار الصليبيين

نظمت الجمعية التاريخية في مدينة حمص أسبوعًا ثقافيًا يعرّف بتاريخ اندحار الصليبيين عن بلاد الشام.

أقيم الأسبوع بمناسبة مرور ٧٠٠ عام على دحر الصليبيين، وتضمن محاضرات شارك في إلقائها كل من الدكاترة: **صالح الحمارنة، وإبراهيم بيضون، وشوقي شعث، وسهيل زكّار، وشاكر مصطفى**.

تحويل منازل الزعماء إلى متاحف

في خطوة لتكريم الزعماء التاريخيين، تقرر تحويل منزل الشهيد **يوسف العظمة** وزير الدفاع السوري الأسبق إلى متحف ومؤسسة ثقافية.

كما قررت محافظة دمشق شراء المنزل الذي سكن فيه الأمير **عبد القادر الجزائري** تمهيدًا لتحويله إلى متحف.

اكتشافات أثرية

عثر أثناء رصف باحة جامع النوري الكبير في مدينة حمص على **أساسات جدران كنيسة كبرى بنيت فوق معبد يعود إلى العصر البيزنطي**.

عثر أيضًا في الموقع على أعمدة جرانيتية ذات أطوال مختلفة يعتقد أنها جلبت من بلاد النوبة في صعيد مصر.

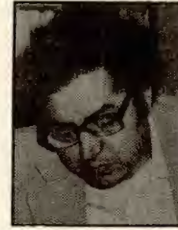
من ناحية أخرى اكتشفت في منطقة **الغاردينا** في حمص عدة آثار من بينها تابوت من الرصاص طوله ١٧٠ سنتيمترًا وعرضه وارتفاعه نصف متر، وبداخله عصابة من الذهب الصافي وزنها ١٤ غرامًا، وتابوت آخر من الفخار بداخله قطع ذهبية وبرونزية.

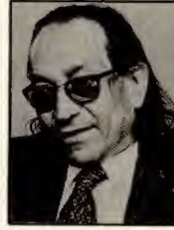
كتب جديدة

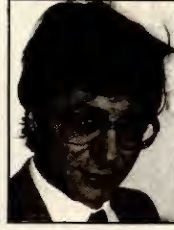
● **صورة الهند**، تأليف **عدنان بغجاتي**، صدر عن **دار الأهالي** بدمشق.

● **الكون يكشف أسراره**، تأليف **د. طالب عمران**، صدر عن **دار معد** بدمشق.

● **مزامير لقرص الرماد**، الديوان الثالث للشاعر **محمد سمير جعارة**، صدر عن **دار الشادي** بدمشق.


أحمد إبراهيم الفقيه


محمد الحبابي


محمود درويش

● **الرؤية الأيديولوجية والموروث الديني في أدب حنامينة**، تأليف مراد كاسوحة، صدر عن **دار الذاكرة بحمص**.

● **في الشعر والشعراء**، تأليف توماس. س. إليوت، ترجمه إلى العربية **محمد جديد**، صدر عن **دار كنعان للدراسة والنشر** بدمشق.

● **ما حدث لعبد الله**، مجموعة قصصية للأديب **مروان مصري**، صدرت عن **اتحاد الكتّاب العرب**.

لبنان

معرض للكتاب

نظم النادي الثقافي العربي في بيروت **معرضه الخامس والثلاثين للكتاب العربي بمشاركة ١٢٠ دار نشر.**

ضم المعرض نحو **١٥ ألف عنوان**، قدمت معظمها دور النشر اللبنانية، حيث لوحظ الغياب العربي للظروف التي يمر بها لبنـان، فكانت المشاركات العربية محدودة رمزية من قِبَل المملكة العربية السعودية، وسورية، والأردن والكويت.

وقرر المعـرض منح جائزتـه لهذا العام للكـاتب الليبي **أحمد إبراهيـم الفقيه** عن ثلاثيته الروائية: «**سأهبك مدينة أخرى**» و«**هذه تخوم مملكتي**» و«**نفق تضيئه امرأة**».

ومنحت جائزة الإخراج الطباعي لكتاب الشاعر **جوزيف حـرب** «**مملكة الخبز والورد**» الصادر عن دار الآداب.

كتب جديدة

● **الشاطئ المهجور**، ديوان للشاعر **عزيز اندراوس**، صدر عن **دار الجيل** في بيروت.

● **عالم الغد: العالم الثالث يتهم.. مدخل إلى الغدية**، تأليف **محمد عبد العزيز الحبابي**، ترجمتـه من الفـرنسية إلى العـربية د. **فـاطمة الجامعي الحبـابي**، عـن **مركز دراسات الوحدة العربية** في بيروت.

● **الشرق الإسلامي والغرب المسيحي**، تأليف **سمير علي الخادم**، صدر عن **دار الريحاني** في بيروت.

● **لا تأخذ تاج فتى الهيكل**، المجموعة الشعرية الثامنة للشاعر **شوقي أبو شقرا**، صدرت في بيروت.

فلسطين

مهرجان ثقافي في ذكرى قرار التقسيم

أقام مركز إحياء التراث في بلدة الطيبة العربيـة في فلسطين مهرجاناً أدبيًا ثقافيًا في المركز الثقافي الفلسطيني في أواخر شهر نـوفمبر (تشرين الثاني) الماضي بمناسبة ذكرى قرار الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م بتقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية.

ومنح المركز **جائزة الشـاعر راشـد حسين** مناصفـة لكل من د. **جمال سلسـع وقسطندي الشوميلي**، **وجائزة الشاعـر عبد الرحيم محمود** للباحث **فايز أبو شمالة** عن دراسته التي أعدها داخل سجن أنصار ٣ في صحراء النقب.

من الكتب الجديدة

● **البناء المجسـم: دراسة في طبيعة الشعـر عند محمـود درويش**، بقلم د. **نعيم عرايدي**، صدرت عن **دار الأسوار** في عكا.

السودان

نحو استراتيجية قومية شاملة

شارك **٢٨٠٠ شخصية فكـرية وأدبيـة وعلمية سـودانية** في مؤتمر «الاستراتيجيـة القومية الشاملة» الذي عقد في العاصمة الخرطوم.

عقد المؤتمر من أجل التخطيط للحياة السودانية لمدة عشرة أعوام مقبلة في مجالات: الثقافة والأدب والتربية والسياسة والاجتماع والتعليم، وغير ذلك من مجالات الحياة.

ومن **أهم ملامح الاستراتيجية** التي تضمنتها ورقة العمل في مجال الثقافة والفكر: العمل على تنشيط الحركـة الثقافيـة بمضـاعفة تنظيماتها. وإعـداد قادة العمل الثقـافي والوعاظ والـدعاة وتدريبهم، وتشجيع حركة النشر والطباعـة، وتوحيد المجتمع بنشر اللغة العربية لتكون لغة التخاطب الأساسية لكافة السودانيين.

تونس

المؤتمر الخامس للدراسات الموريسكية

استضافت تونس المؤتمر العـالمي الخامس للدراسات الموريسكية الأنـدلسية الذي أشرفت على تنظيمه رابطة الجامعات الإسلامية بالتعـاون مع مركز الدراسات والبحوث العثمانيـة والموريسكية والتـوثيق والمعلـومات في تـونس، **بمناسبـة الذكـرى الخمسمائة لسقوط غرناطة ١٤٩٢ - ١٩٩٢م.**

بحث المؤتمر الذي حضره أكثر من مائة متخصص على مدى أسبـوع أربعة محاور أساسية هي: صـدى سقوط غرناطة والمأساة الموريسكية في العـالم العربي والإسلامي، تأثير طرد الموريسكيين في أسبـانيا وأوروبـا والعالم العربي الإسـلامي، مقاومـة الجماعة الإسـلامية لمحـاكم التفتيش، دور الأدب الالخميـادو في الحفـاظ على الهويـة العربيـة الإسلامية للموريسكيين.

وقد أقيمت على هامش المؤتمر عدة محاضرات تناولت على وجه الخصوص موضوع الوجود العربي في الأندلس، وعملية الوأد الحضاري للمسلمين هناك.

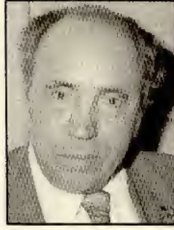
تكريم الأدباء والمثقفين

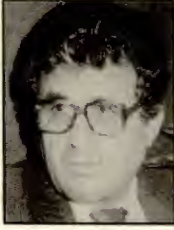
كرمت تـونس عددًا من رجـال الثقافـة والفكر والأدب في احتفـال بمناسبـة اليوم الوطني للثقافة.




د. عبد الله التركي


جاك بيرك


محمد العروسي المطوي


محمد العربي الخطابي


محمد الكتاني

وقد منح الرئيس التونسي **زين العابدين بن علي** أوسمة الاستحقاق الثقافي من رتب مختلفة للمكرمين الذين جاء من بينهم الراحل **الطاهر حداد** الذي نال اسمه وسام الاستحقاق الثقافي من رتبة الوشاح الأكبر لجهوده في مجال النضال والفكر، **ومحمد العروسي المطوي** رئيس اتحاد الكُتَّاب التونسيين لدوره في مجال الأدب، والباحث **أحمد عبد السلام**، والمستشرق الفرنسي **جاك بيرك** عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمتخصص في شؤون المغرب العربي، وآخرون.

الجزائر

ملتقى فكري إسلامي

نظم - مؤخرًا - في الجزائر ملتقى فكري تحت عنوان **«الإسلام دين ودنيا»** شارك في محاوراته نحو **٣٠٠ عالم وباحث من المملكة العربية السعودية ومصر والجزائر وتونس وسورية والكويت** وقد مثل المملكة العربية السعودية **د. عبد الله عبد المحسن التركي** مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورئيس رابطة الجامعات الإسلامية.

تمحورت المناقشات حول سبل تجاوز العقبات والمشكلات التي يواجهها المسلمون وتحقيق التآلف بينهم، وإشاعة المفهومات الإسلامية الصحيحة بين أبناء الأمة الإسلامية، وخاصة مفهوم الشورى كنظام إسلامي سياسي، وترسيخ شريعة الله في كافة مناحي الحياة.

مناقشة مناهج اللغة والأدب

استضافت مدينة تلمسان **الملتقى السنوي الثاني حول مناهج اللغة والأدب.**

أشرف على الملتقى معهد اللغات والأدب العربي بجامعة تلمسان، وشارك فيه أكاديميون وباحثون من المغرب والجزائر وفرنسا.

وشهد الملتقى إلقاء عدة محاضرات حول اللسانيات وفقه اللغة وعلوم الدلالة، ومحاولة ربط هذه العلوم بالمناهج الحديثة المطبقة في الجامعات الأجنبية، وصدرت في ختامه توصيات ترمي إلى تحسين البحث في اللسانيات وتشجيع نشر الأعمال العلمية المتعلقة بهذا الموضوع.

«عالم السياسة»

هذا اسم **أحدث مجلة سياسية مستقلة** صدر عددها الأول - مؤخرًا - في الجزائر.

المجلة شهرية، وتتضمن تحليلات ومقالات اقتصادية وسياسية متخصصة بأقلام نخبة من المتخصصين.

بحث منهجية الأدب الجزائري

الأدب الجزائري كان محور مناقشة في **ملتقى أدبي دولي** أقيم في مدينة وهران لهذا الغرض.

شارك في الملتقى باحثون من دول المغرب العربي، فضلاً عن أكاديميين من معهد طشقند للدراسات العربية والحضارة الإسلامية، ودارت المناقشات حول المنهجية الجديدة للأدب الجزائري في إطار المنظور الحداثي.

أسبوع ثقافي سويسري

أقيم في الجزائر العاصمة في شهر ديسمبر (كانون الأول) الماضي أسبوع ثقافي - فني سويسري.

تضمن الأسبوع عروضًا مسرحية وسينمائية ومعرضًا تشكيليًا. إضافة إلى **محاضرات تعرّف بثقافات الأقليات المشكّلة للاتحاد الفيدرالي السويسري.**

هذا الأسبوع من ضمن عدة أسابيع مشابهة نظمتها الحكومة السويسرية بمناسبة مرور ٧٠٠ عام على إنشاء الفيدرالية.

المغرب

اختتام اجتماعات الإسيسكو

اختتمت في الرباط أعمال المؤتمر الرابع للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإسيسكو).

وتم خلال الاجتماعات اختيار مدير عام جديد للمنظمة هو الدكتور **عبد العزيز بن عثمان التويجري** (سعودي الجنسية)، وإصدار عدة توصيات مهمة أبرزها الدعوة لعقد **ندوة بين المسلمين والنصارى لبحث سبل تأمين المؤسسات الدينية في القدس، والمصادقة على الاستراتيجية الثقافية للعالم الإسلامي التي قدمت للقمة الإسلامية في داكار.**

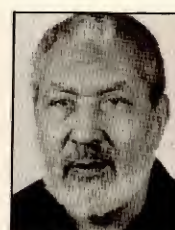
من التوصيات أيضا توصية بإنجاز دراسة عن أثر التلوث البيئي على الأطفال في الكويت ومنطقة الخليج من جراء حرق آبار النفط من قبل القوات العراقية، كما صادق المؤتمرون على مشروع الخطة المتوسطة المدى (١٩٩١ - ٢٠٠٠م) الذي يقترح توجيه جهود العمل الثقافي الإسلامي إلى أولويات علمية وتقنية وإعلامية وتربوية، إضافة إلى توصيات أخرى مهمة.

تفاعل الثقافتين الإسلامية والغربية

نظمت أكاديمية المملكة المغربية ندوة في مدينة مكناس حول « **الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية: الأخذ والعطاء**».

شارك في الندوة عدد من العلماء والمفكرين المغاربة المسلمين، من بينهم محمد العربي الخطابي، وعبد الرحمن الفاسي، ومحمد الكتاني ود. طه عبد الرحمن، وآخرون.

بحثت الندوة ستة موضوعات رئيسية من بينها: روح الثقافة الإسلامية في شمولها وتميزها وتفاعلها مع الثقافات الأخرى، وقضايا التأثير بين الثقافتين الإسلامية والغربية في مجالات العلوم، وقنوات الاتصال بين الثقافتين لاستشراف اتجاهات تطور التفاعل بينهما.


الشيخ محمد قطب


د. عبدالله عمر نصيف


د. ساعد الحارثي


د. زهير السباعي


د. عبدالرحمن العشماوي

اللسانيات والآداب الإنجليزية

شارك علماء لغة وأكاديميون من المغرب والجزائر وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية في ندوة نظمتها كلية الآداب بجامعة فاس بعنوان «**اللسانيات والآداب الإنجليزية في الجامعات المغاربية: حقائقها وآفاقها**».

تناولت الندوة بالبحث مختلف عناصر الإشكالية الأدبية واللسانية وسبل تطوير تبادل الآراء والتجارب في هذا الميدان.

المطالبة بحماية للصحافيين الأفارقة

دعا **اتحاد الصحافيين الأفارقة** إلى إقرار **نصوص مهنية قانونية لحماية الصحافي** وضمان حقه في السرية المهنية.

وأكد الاتحاد في ختام اجتماعات مؤتمره الذي عقده في الدار البيضاء لبحث أوضاع الصحافة في أفريقيا، تضامنه مع الصحافيين الأفارقة الذي يتعرضون للاضطهاد.

ودعا في إعلان الدار البيضاء إلى ضرورة «دمقرطة» أنظمة الإعلام والاتصال.

من الكتب الجديدة

● **الشعرية العربية: الأنواع والأغراض**، تأليف **رشيد يحياوي**، صدر عن **دار أفريقيا المغرب** في الدار البيضاء.

محاضرات وندوات

● **مواقف تربوية من السيرة النبوية** عنوان محاضرة ألقاها في مركز التنمية برأس الخيمة د. **محمد السبوت الغامدي**.

● **دور المربين في بناء الأمة** عنوان محاضرة ألقاها في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض الشيخ **محمد قطب**.

● **الصحافة بين الخبر والدعاية**، عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي د. **ساعد العرابي الحارثي**.

● **ظاهرتا الغرور والتمرد عند أبي الطيب المتنبي** موضوع محاضرة ألقاها في الملتقى الثقافي لنادي القصيم الأدبي د. **صالح بن سليمان الوشمي**.

● **وصف الطبيعة في الشعر الأندلسي** عنوان محاضرة ألقاها في كلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز بجدة د. **أحمد عبد الله النعمي**.

● **دور النقاد في المواهب الواعدة** عنوان محاضرة ألقاها في نادي الرياض الأدبي **محمد المنور**.

● **الحرف العربي في الفن التشكيلي** عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي د. **محمد عبد الله الريح**.

● **تشطيب القرنية لعلاج قصر النظر** عنوان محاضرة ألقاها في المعهد الصحي الثانوي للبنين بالدمام د. **مؤمن الريفي**.

● **مرض الإدمان** عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الأمل بالدمام **آل جيمسون**.

● **الأدب الإسلامي خارج اللغة العربية** عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالرياض د. **حلمي محمد القاعود**.

● **علم الأجنة في القرآن الكريم** عنوان محاضرة ألقاها في جامعة أم القرى بمكة المكرمة د. **محمد علي البار**.

● **الخط العربي وأثره في المعمار** عنوان محاضرة ألقاها في كلية الهندسة والعمارة الإسلامية بجامعة أم القرى د. **محمد عبد الله الريح**.

● **المسلمون والتحدي الحضاري المعاصر** عنوان محاضرة ألقاها في الكلية التقنية المتوسطة بالدمام د. **زغلول النجار**.

● **الواسطة من منظور اجتماعي** عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي بالرياض د. **مرزوق بن صنيتان بن تنباك**.

● **أوضاع المسلمين في العالم** عنوان محاضرة ألقاها في قسم الطالبات بجامعة أم القرى وعبر دائرة تلفازية مغلقة د. **عبد الله عمر نصيف**.

● **صف واحد للقضاء على الإيدز** عنوان ندوة نظمتها الجمعية النسائية الخيرية بجدة بالتعاون مع مديرية الشؤون الصحية بالمنطقة الغربية وجامعة الملك عبد العزيز ومستشفى الملك خالد للحرس الوطني ومستشفى الملك فهد بجدة. شارك في الندوة التي أقيمة في مقر الجمعية د. **هند ديب**، **خير بن ناصر**، وإخصائية تعليم التمريض **وفاء الهندي**.

● **المرأة بين الإهانة والتكريم في المجتمعات الجاهلية قديما وحديثاً والشرع الإسلامي** عنوان محاضرة ألقاها في نادي جازان الأدبي الشيخ **أحمد يحيى النجمي**.

● **حقوق وواجبات المتزوجين** عنوان محاضرة ألقاها في جامع حمزة بن عبد المطلب بالعريجا في الرياض الشيخ **محمد الماس الفرحان**.

● **إنها العقيدة** عنوان محاضرة ألقاها في جامعة الملك سعود بالرياض د. **محسن العواجي**.

● **الغزو الفكري** عنوان ندوة نظمها مكتب الدعوة والإرشاد بالخرج، شارك فيها الشيخان: **فهد التويم وعبد الله الحنتوش**، وقدمها **عبد الله العسكر**.

● **تعريب العلوم الطبية** عنوان محاضرة ألقاها في النادي الأدبي في الدمام د. **زهير السباعي**.

● **جراحات الأذن الوسطى** عنوان محاضرة ألقاها في مستشفى الملك فهد بتبوك د. **محمد عباس**.

● **نظرة مستقبلية للمعاق: تربويًا وتعليميًا** عنوان ندوة نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض، شارك فيها عدد من المختصين.

● **الضعف في اللغة العربية: أسبابه وعلاجه** عنوان ندوة نظمتها لجنة النشاط بكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها، شارك فيها عدد من الأكاديميين والتربويين وعلماء اللغة.

● **الأدب الذي نريد** عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير ببريدة د. **عبد الرحمن صالح العشماوي**.

● **مستقبل الثقافة العربية** موضوع ندوة نظمتها في مسقط وزارة التراث القومي والثقافة العمانية، واشترك في مناقشاتها عدد من المفكرين والنقاد العرب.

● **قواعد قراءة النص الإسلامي** عنوان محاضرة ألقاها في فرع اتحاد الكتّاب العرب في حلب بسورية د. **محمود عكام**.

● قدم الشاعر المصري **عبد الرحمن الأبنودي** عدة أمسيات شعرية في دولة الكويت.

● **مبادئ لإصلاح مناهج تعليم العربية في التعليم العام والجامعي** عنوان محاضرة ألقاها في قاعة المحاضرات ببلدية بريدة الدكتور **عبد الله الحامد**.

● **شُعَبُ الإيمان** عنوان محاضرة ألقاها في مسجد خالد بن الوليد بالعيون الشيخ **عبد الله عيسى العديل**.

● **الدعوة السلفية وأثرها على الجزيرة** موضوع محاضرة ألقاها في مسجد المثلث في نجران الشيخ **صالح بن محمد اللحيدان**.




د. عبد العزيز التويجري

السنغال

أذربيجان تنضم إلى الإيسيسكو

وقع السيد **فاضل مراد** نائب رئيس جمهورية أذربيجان خلال القمة الإسلامية بداكار على وثائق التصديق على ميثاق المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو) معلناً انضمام أذربيجان إلى عضوية المنظمة.

حضر التوقيع الدكتور **عبد العزيز التويجري** المدير العام لـ «الإيسيسكو».

مالي

حملات تنصيرية

حذر تقرير تناقلته الصحافة المحلية في باماكو من النشاط التنصيري الذي تمارسه بعثات مشبوهة قدمت من أوروبا بهدف تنصير مسلمي مالي.

وذكر التقرير أن **آلافاً من القساوسة يمارسون التنصير مدعومين بإمكانات هائلة**، حتى إن أحدهم ويدعى «بيير فيسبير» استطاع أن يبني مائتي كنيسة وعشرين مستوصفًا وخمسين مدرسة نصرانية ومركزين للتدريب المهني، إضافة إلى حفر العديد من الآبار الارتوازية بهدف الإيحاء إلى بسطاء المسلمين بأن النصرانية هي الرديف الحقيقي للتنمية والتطور.

وحذر التقرير من أن هذه الإرساليات تعد لتأليف ونشر كتب تسيء إلى الإسلام بهدف زعزعة الإيمان في نفوس المسلمين.

ماليزيا

حظر تداول كتاب

حظرت وزارة الداخلية الماليزية تداول كتاب «**الأوراد المحمدية**» الذي أعده المدعو **أشعري بن محمد** رئيس جمعية دار الأرقم الماليزية لاحتوائه على أفكار مخالفة للشريعة والعقيدة الإسلامية ومضللة للمسلمين.

وكانت دراسة للكتاب قامت بها إدارات الشؤون الإسلامية بالولايات الماليزية قد **أجمعت على أن الكتاب ضال ومضلل**، وقرر المجلس الوطني للشؤون الإسلامية برئاسة رئيس الوزراء عدم إشراك جماعة دار الأرقم في أي نشاط تنظمه الدولة.

وقد زعم واضع الكتاب بين صفحاته أن الشيخ **محمد السهيمي** المتوفى عام ١٣٤٣هـ والمدفون في ولاية سلانجور قد تلقى تلك الأوراد عن النبي ﷺ داخل الكعبة المشرفة، وأنه ـ أي الشيخ السهيمي ـ لم يمت، وإنما غاب عن أعين العامة، وهو المهدي المنتظر، كما أضاف الكاتب إلى الشهادتين أن محمد السهيمي خليفة رسول الله ﷺ.

بنين

مركز إسلامي

افتتح ـ مؤخرًا ـ في مدينة كوتونو أحدث مركز إسلامي في بنين.

يضم المركز مسجدًا يتسع لنحو ٢٠٠٠ مصل، ومدرسة ابتدائية، وعيادة طبية، وقاعة للاجتماعات، ومكتبة.

البرازيل

دار نشر إسلامية

أنشئت في سان باولو دار نشر باسم «**دار مكة**» لترجمة الكتب الإسلامية وطبعها باللغتين **البرتغالية والإسبانية**.

يتولى الإشراف على كتب الدار مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التابعة لرابطة العالم الإسلامي.

أسبانيا

مؤتمر «الأندلس ملتقى ثلاثة عوالم»

استضافت العاصمة الأسبانية مدريد مؤتمراً عقد تحت عنوان «الأندلس ملتقى ثلاثة عوالم». ويقصد بالعوالم الثلاثة: العالم العربي، وأوروبا، وأمريكا.

نظم المؤتمر المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد بالتعاون مع بعض الجهات الثقافية والفكرية الأسبانية، وشارك في أعماله عدد من العلماء والمفكرين من شتى أقطار العالم.

وبحث المؤتمر عدة موضوعات من بينها: الأندلس وتأثيرها في الثقافة العربية، ودورها في النهضة الأوروبية من علوم وفنون، وأثر الثقافة الأندلسية في نشأة الآداب الأوروبية، وأثر الثقافة الإسلامية بالأندلس في اكتشاف العالم الجديد.

مؤتمر لشبكات العلوم ونظمها

استضافت أسبانيا ـ مؤخرًا ـ المؤتمر العالمي الأوروبي العربي لشبكات المعلومات.

أقيم المؤتمر بالتعاون بين منظمة اليونسكو وجامعة الدول العربية، ونظمته مدرسة المكتبات والتوثيق في العلوم والتقنية.

ناقش المؤتمر تطوير العلاقات بين الشمال والجنوب في مجال نظم المعلومات والتوثيق بما يذلل الصعوبات التي تواجه الدول النامية في محاولاتها لتنظيم المعلومات وجمعها.



أندريه شديد

بريطانيا

إدانة مسيحية للآيات الشيطانية

أعرب كبير الأساقفة الإنجليك د. **جورج كاري** في محاضرة ألقاها، عن تقديره لرد فعل المسلمين إزاء كتاب المارق **سلمان رشدي «آيات شيطانية»**.

وقال كاري: إن الكتاب يعد مهيناً بما يتضمن من إساءات سافرة للرسول ﷺ وتشويه للمعتقدات الراسخة للمسلمين.

وأضاف قائلاً: «إنني أقدر تماماً رد فعل المسلم الورع الذي جرح فيما يعتبره أعز رمز قد يموت من أجله».

توقف مجلة «الماركسية اليوم»

تهاوت قلعة أخرى من قلاع الشيوعية بتوقف مجلة «الماركسية اليوم» التي كان يصدرها الحزب الشيوعي البريطاني، بعد أن قرر الحزب حل منظماته.

الطريف أن رئيس تحرير المجلة **مارتن جاك** كتب سطور رثاء في عددها الأخير اختتمها بقوله: **«لقد ماتت الشيوعية وأصاب الخسوف مفاهيمها مع رحيل عالم قديم يقاوم البقاء طوال سبعين عاماً»**.

ويذكر أن المجلة قد صدرت لأول مرة عام ١٩٥٧م.

أصغر جهاز موسوعي

قامت شركة بريطانية بتخزين دائرتي معارف «فرانكلين» و«راندوم هاوس» على جهاز صغير على سبيل التجربة.

الجديد في الخبر أن الجهاز لا يتعدى حجمه مساحة كف اليد، فهو بذلك قد يكون أصغر موسوعة في العالم.

أحدث الكتب

- **ياكوكتي**، رواية للكاتب العراقي **جنان جاسم حلاوي**.
- **حرب الشوارع**، مجموعة قصصية **لشارل شهوان**.

صدرالكتابان عن **دار رياض الريس للنشر** في لندن.

بلجيكا

جمعية ثقافية عربية ـ بلجيكية

شكلت ـ مؤخراً ـ في بروكسل جمعية ثقافية عربية ـ بلجيكية تضم مثقفين عرباً وأوروبيين من مختلف الأقطار.

ترمي الجمعية إلى توطيد الأواصر الثقافية العربية الأوروبية بما يخدم التفاهم بين الجانبين.

بولندا

نشر معلومات تاريخية محظورة

تطرح ـ قريباً ـ في أسواق بولندا طبعة جديدة من موسوعة رسمية تضم ـ للمرة الأولى ـ أجزاء من تاريخ بولندا كانت مستبعدة من الكتب البولندية طوال العقود الماضية.

تتضمن الموسوعة معلومات جديدة مثل **خرائط استبعدت في الماضي عن مسار الحرب البولندية السوفييتية عام ١٩٢٠م** لكونها تُظهر مواقع معسكرات العمل التي أنشأها السوفييت ليرحّلوا إليها آلافاً من البولنديين، وتفاصيل إعدام أربعة آلاف ضابط بولندي خلال الحرب العالمية الثانية على أيدي الشرطة السرية السوفييتية في كاتين بجمهورية روسيا البيضاء.

تنشر الموسوعة دار النشر العلمية المملوكة للدولة.

ألمانيا

معرض فرانكفورت للكتاب

أقيم مؤخراً في فرانكفورت **معرض الكتاب الدولي الثالث والأربعون** الذي يعد أول معرض يقام بعد الوحدة الألمانية.

شاركت في المعرض **٨٣٠٠ مؤسسة ودار نشر من ٩٠ دولة** من بينها سبع دول عربية هي: المملكة العربية السعودية، ومصر، وتونس، والمغرب، والأردن، ولبنان، وليبيا.

زوار المعرض تجاوز عددهم ربع مليون زائر من مختلف أنحاء العالم.

من أحدث الكتب

- **الأنواع الأدبية واللغة في الأدب العربي الحديث**، دراسة صدرت باللغة الإنجليزية من تأليف **ساسون سوميخ**، صدر الكتاب عن دار **هارا سوفيتش** ببرلين.

فرنسا

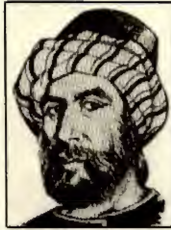
نصوص غير منشورة لحقوق الإنسان

وافق ٤٠ كاتباً وأديباً وفيلسوفاً على المشاركة في كتاب يضم نصوصاً غير منشورة عن حقوق الإنسان في العالم تلبية لنداء منظمة العفو الدولية بمناسبة الذكرى الثلاثين لتأسيس المنظمة والذكرى العشرين لتأسيس فرعها في فرنسا.

تتم **المشاركة عبر كتابة قصة أو قصيدة أو مقال** يعبر صاحبه بطريقته الخاصة عن نظرته للموضوع.

من بين المشاركين: **اندريه شديد، وودان فرانك، وجان كايرول، وميشار بوتور، وجاك لاكاريير.**




ابن بطوطة

بينالي دولي للشعراء

اختتم في باريس ـ مؤخرًا ـ البينالي الدولي الأول للشعراء الذي استمر أسبوعين.

شارك في البينالي نحو ٣٠ شاعرًا من مختلف أنحاء العالم من أبرزهم: **ميشيل ديجوي، وجان شارل ديبون وإيما نويل أوكار** من فرنسا، **وأورسولا كريشيل وريتشارد بيتراس** من ألمانيا، **ورفعت سلام** من مصر.

وأقيمت ضمن الملتقى عشرون أمسية شعرية وخمس ندوات نقدية، وألقيت القصائد لشعراء يمثلون تسع لغات عالمية هي: العربية، والفرنسية، والإنجليزية، واليونانية، والإيطالية، والإسبانية، والروسية، والبرتغالية، والألمانية.

الفائزان بجائزة فيمينا

أعلنت ـــ مؤخرا ـــ أسماء الفائزين بجائزة فيمينا في مجالي الأدب والأبحاث.

فازت بجائزة الأدب **باولا جاك** عن كتابها «**ديبورا**» ونال **آلان تشيغويين** جائزة الأبحاث عن كتابه «**رقصة المناقب**».

وفاة بيلتدو

توفي ـ مؤخرًا ـ الكاتب والأديب والمخرج المسرحي **فرانسوا بيلتدو** عن ٦٤ عامًا إثر مرض عضال.

ولد بيلتدو في ٧/ ٩/ ١٩٢٧م في باريس، وعمل في مطلع حياته المهنية صحافيًا، وعرف كاتبا مسرحيا عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢م، وبدأ طريقه نحو الشهرة عام ١٩٥٩م بمسرحيته «تشين تشين»، وحصل عام ١٩٨٨م على جائزة موليير لأفضل كاتب عن مسرحيته «**فيلادلفيا استيقظي**»، كما فاز بجائزة مدينة باريس للأدب المسرحي وجائزة نقابة النقد المسرحي والموسيقي وجائزة الأكاديمية الفرنسية، وقد سار ابنه **رفائيل** على دربه، حيث فاز كتاب الابن «**ليلي أجمل من نهاراتكم**» بجائزة رونودو عام ١٩٨٥م.

أحدث الكتب

- **تاريخ الحرب العالمية الثانية**، بقلم **جاك لوجراند**، صدر عن دار **لاروس**.
- **معركة باريس** بقلم **جاني لوك اينوري**، صدر عن دار **لاسول**.
- **التجربة السويدية**، تأليف **جاك أرنو**، صدر عن دار **الارماتون**.

اليونان

اكتشافات ما قبل الميلاد

اكتشف مزارع من كزيرولاكاس شمال شرقي اليونان قرب منطقة امفيبوليس **قبرًا يعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد**. عثر داخل القبر على حائط من البرونز وخاتمين وعقدين من الذهب، وصنارة من الفضة، وورقة مذهبة.

من ناحية أخرى اكتشف في ايرسوس جنوب شرقي شبه جزيرة شالسيدك بشمال اليونان **مجسم كبير يعود إلى الحقبة الكلاسيكية** (القرن الخامس قبل الميلاد) يبلغ ارتفاعه مترين وعرضه ١,٧ مترًا يمثل شابًا ينظر إليه رجل عجوز بحزن.

أيرلندا

جائزة لينجوس لبيجلي

فاز الروائي **لويس بيجلي** الأمريكي الجنسية البولندي المولد بجائزة تايمز لينجوس الإيرلندية الدولية عن روايته «**أكاذيب زمن الحرب**».

وفازت القاصة نينا فيتزا باتريك بجائزة الكتاب الأول عن مجموعتها القصصية «**حكايات أيرلندية**»

تعد الجائزتان من أكبر الجوائز الأدبية في إيرلندا.

الولايات المتحدة

مؤتمر لعلماء الاجتماع المسلمين

عقدت جمعية علماء علم الاجتماع المسلمين **مؤتمرها السنوي العشرين** في مدينة ديترويت بولاية ميتشجان تحت عنوان «**مناقشة وسائل نقل التقنية**».

ناقش الاجتماع الذي شاركت فيه جمعية المهندسين المسلمين في أمريكا عدداً من الموضوعات من بينها نظرة الإعلام الغربي إلى العرب والمسلمين، وموضوع التعليم الإسلامي، ودور الإعلام الغربي في رسم مستقبل العالم، والنظام العالمي الجديد، والأقليات المسلمة ومشكلاتها.

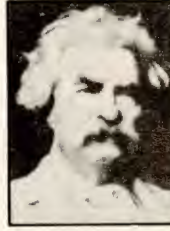
بحث عن ابن بطوطة

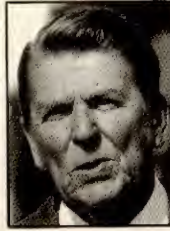
وصفت مجلة **ناشيونال جيوغرافيك** التي تصدرها الجمعية الجغرافية الأمريكية **الرحالة المسلم العربي ابن بطوطة بأنه أحد أعظم رواد السفر والترحال في التاريخ**.

جاء ذلك في بحث يقع في أربعين صفحة نشرته المجلة في عددها الأخير وتناولت فيه خط سير رحلات ابن بطوطة في قارتي آسيا وأفريقيا، مشيرة إلى أنه قطع ثلاثة أضعاف المسافة التي قطعها الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو.

تضمن البحث كذلك صورًا للمناطق والمعالم التي زارها ابن بطوطة، ومقتطفات من الكتاب الذي وضعه لسيرة حياته ورحلاته وملحوظاته عن الأمم والشعوب التي زارها وأقام بينها خلال القرن الرابع عشر الميلادي.


بايرون


مارك توين


ريجان

معرض للفنون

شاركت ٢٢ دولة إسلامية في معرض للفنون نظمته جمعية الجاليات الإسلامية للعمل المشترك، بالتعاون مع مركز الفنون بجامعة ميريلاند.

ضم المعرض مخطوطات عربية، ومصنوعات يدوية من الفخار ومجوهرات ذهبية وفضية، وسجاجيد فارسية، ولوحات زيتية ومائية، وأقمشة مطرزة وكتباً قديمة.

مكتبة لمخطوطات المشاهير

افتتحت - مؤخرًا - مكتبة خاصة تضمن مخطوطات نادرة لمشاهير الأدباء والعلماء والقادة كان قد جمعها في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي رجل أعمال أمريكي يدعى **بيربونت مورجان**.

تضم المكتبة مخطوطات للأديب الفرنسي **بلزاك**، والعالم **ألبرت اينشتين**، وإمبراطور فرنسا **نابليون بونابرت** والشاعر الإنجليزي **بايرون** والأديب الأمريكي الساخر **مارك توين**.

افتتاح مكتبة ريجان

افتتح الرئيس الأمريكي السابق **رونالد ريجان** المكتبة التي تحمل اسمه في منطقة سمر فاللي شمال غربي لوس أنجلوس.

أقيمت المكتبة على مساحة مائة فدان وتكلف إنشاؤها ٥٦ مليون دولار.

حضر حفل افتتاح المكتبة رؤساء الولايات المتحدة السابقون: **ريتشارد نيكسون** و**جيرالد فورد** و**جيمي كارتر**، والرئيس الحالي **جورج بوش**، وزوجاتهم، إضافة إلى ليدي بيرد أرملة الرئيس الأسبق **ليندون جونسون**.

ويذكر أن أول من استن فكرة إنشاء مكتبة أو متحف يوثّق الفترة الرئاسية لرئيس أمريكي، كان الرئيس الأسبق **فرانكلين روزفلت** عام ١٩٣٩م، وصارت تقليداً من بعده.

وفاة ستيجلر

توفي - مؤخرا - الاقتصادي المعروف **جورج ستيجلر** الحائز على جائزة نوبل للاقتصاد عام ١٩٨٢م عن عمر يناهز ٨٠ عامًا إثر أزمة قلبية.

ويذكر أن ستيجلر قد أسهم إلى جانب **ميلتون فرايدمان** في تأسيس ما يعرف بمدرسة **شيكاغو للاقتصاد الحر**، وهو مذهب اقتصادي يدعو إلى تحرير الأسواق من كافة القيود التي تعوق تطورها.

جائزة الكتاب الأمريكي

منحت جائزة الكتاب الأمريكي لكل من الروائي **نورمان روش** عن روايته الأولى **«الألفة»** والشاعر **فيليب ليفين** عن ديوانه **«أي عمل هذا؟»**.

حصل كل فائز على مبلغ عشرة آلاف دولار فضلاً عن صورة منحوتة لكل منهما.

رسائل جامعية

● **تحريف اليهود في العقيدة وأثره ورد القرآن الكريم عليهم** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية للبنات في مكة المكرمة، تقدمت بها سلوى محمد مرشد الحمادي.

● **أصول الفقه عند ابن عبد البر، جمعًا وتوثيقاً ودراسة** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الشريعة بالرياض، تقدم بها العربي بن محمد فتوح.

● **المسائل التصريفية في كتاب المحكم لابن سيده: جمعًا ودراسة** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية اللغة العربية بالرياض، تقدم بها إبراهيم بن سايح الطيار.

● **التقنية التشخيصية الحديثة غير النافذة في الأطفال الرضع** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الطب بجامعة عين شمس في القاهرة، تقدم بها عبد الملك قاسم البعداني.

● **التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد للإمام أحمد بن محمد البسيلي التونسي** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية أصول الدين بالرياض، تقدم بها عبد الله بن مطلق الطوالة.

● **منهج المتكلمين والفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام في الاستدلال على وجود الله تعالى** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة أم القرى، تقدم بها محمد صالح الأحمد.

● **مركبات الهالوجين النشطة واستخداماتها في تحضير المركبات الحلقية غير المتجانسة** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية التربية للبنات في الرياض، تقدمت بها سعاد عبد الله السعري.

● **تحضير وتفاعلات الإضافة الحلقية للمركبات ١/٣ ثنائية القلب** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية التربية للبنات بالرياض، قدمتها سارة عبد الله المزروع.

● **مؤتمر الشرق الأوسط المنعقد بالقاهرة من ١٢ - ٣٠ مارس ١٩٢١م** موضوع رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدمت بها نوال حسين فيومي.

● **الجامعة المفتوحة ومطالب التنمية بالمملكة العربية السعودية** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية بجامعة أم القرى، تقدم بها محمد عبد الله محمد آل عمرو.

● **الاتجاه نحو قيمة الوقت وعلاقته بأساليب معاملة الوالدين لأبنائهما** عنوان رسالة ماجستير نوقشت بجامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها صالح عبد الله العبد القادر.

● **فقه أبي هريرة رضي الله عنه** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية الشريعة بالرياض التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تقدم بها عبد الكريم بن إبراهيم السلوم.

● **المصطلحات السياسية الشائعة في الصحف السعودية وكيفية توظيفها في تعليم الدبلوماسيين الناطقين بغير العربية** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، تقدم بها صالح بن حمد السحيباني.

● **نحو نموذج شمولي مقترح لدور الخدمة الاجتماعية في مواجهة أثر الفشل الكلوي المزمن على أداء المرأة السعودية لدورها الأسري** عنوان رسالة دكتوراة نوقشت في كلية العلوم الاجتماعية بالرياض، تقدمت بها هدى بنت محمد عبد الله السدحان.

● **فتاوى إمام المفتين ﷺ من كتاب إعلام الموقعين لابن القيم** عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بالرياض، تقدمت بها لطيفة بنت عبد الله محمد الجلعود.


الجزيرة



بقلم الشيخ: حمد الجاسر

في مدينة لندن مرة أخرى

لا يزال الشيخ حمد الجاسر يوالي ذكرياته عن رحلاته في بلدان العالم . . تركناه في الحلقة الماضية يتجول في المدن الأسبانية ويتردد على مكتباتها . . وها هو الآن يقفز بنا ثلاث سنوات إلى الأمام ليدخل العاصمة البريطانية .

□ □ □

الخميس ٢٩ رمضان ١٣٩٦ (٢٣/ ٩/ ١٩٧٦م): الساعة الثانية بعد منتصف الليل، كان الإقلاع من مطار الرياض إلى لندن (١)، وكان الطيران مريحا لهدوء الرياح، وسكون الجو، وفي الساعة الثالثة قدم طعام السحور لجميع المسافرين، وبعد الانتهاء من تناوله أطفئت أنوار الطائرة فاسترخى كل إنسان في كرسيه، بل استغرق أكثرهم في النوم وأنا أحدهم، فلم أستيقظ إلا حينما انتشر نور أشعة الشمس داخل الطائرة، عند النداء لربط أحزمة المقاعد للهبوط في مطار لندن. وقد بلغت الساعة التاسعة بتوقيت الرياض فمضت سبع ساعات في الطيران في غاية الراحة والهدوء. وكان الهبوط في مطار لندن الساعة السابعة والربع حسب توقيتها، (التاسعة والربع بتوقيت الرياض) ودرجة الحرارة إحدى عشر درجة.

عنز الصعلوك

من أمثالنا (الذيب مسلط على عنز الصعلوك)، فمنذ أربعة أشهر قدمت من روما وكنت أنا وأم محمد قد وضعنا معطفينا في المكان المعد لوضعهما في الطائرة وكان خير ما بقي لنا مما كان معنا عندما حللنا مدينة روما، فأتى أحد اللصوص على كل نفيس وغال نحمله.

لقد شدهت أثناء النزول في مطار الرياض عن أخذهما، ولم أشعر بذلك إلا بعد الوصول إلى البيت فأسرعت الرجوع إلى المطار، ولما أخبرت الموظف المكلف بشؤون الأمتعة (العفش) قال: أقلعت الطائرة إلى جدة، وسأبعث الآن برقية فعد بعد غد بعد أن أخبرته باسمي وبما طلب مني الإخبار به. ولكنني فوجئت حينما رجعت إليه في اليوم الثالث بأن وجه إلي الأسئلة التي كنت أجبت عنها في أول يوم، وبأنه لا بد من إحضار تذكرة الرحلة وأظهر لي أنه لا يعرف شيئا عن الموضوع وأن (قلبه ما هو كتاب)، فعرفت أنه لم يبرق إلى جدة كما أخبرني أول ما قابلته. فرجعت إلى المنزل وأحضرت التذكرة ولما قدمتها له كتب أمامي كتابة لا أحسن قراءتها، ولما أردت أن أوضح له اسمي كاملا أجاب: ما يحتاج، إن شاء الله بعد أسبوع تراجعنا، ويعلم الله الآن كم أسبوع مضى علي بعد ضياع معطف كنت أراه أجمل ما اقتنيته من أنواع الألبسة. أما معطف أم محمد فمما زاد أسفها عليه هو أنه هدية من إحدى صديقاتها حين قدمت من باريس. وللهدية في نفس المرء منزلتها.

وفي آخر شهر رمضان سنة ١٣٩٥ قدمت من جدة إلى الرياض، وكانت أمتعتي ملابس قليلة ومعي إضبارات تحوي قسما من كتاب أشتغل في تأليفه عن بلادنا يتعلق بتحديد المواضع وبأنساب السكان، فجمعت الملابس والإضبارات في كيس صغير وضعت فيه حبات من الليمون وما معي من نقود، وكانت قليلة ولله الحمد وربطته ربطا محكما وخشيت إن أنا حملته معي داخل الطائرة أن أنساه كما نسيت المعطف، فسلمته للموظف المكلف بالأمتعة فأخذه ورماه بعيدا فخشيت أن ينفك الرباط فرجوته الحرص عليه، فنظر إلي مبحلقا، ثم أعطاني قسيمة بطاقة حمله إلى الرياض، ولكنه - أعني الكيس - لم يصل إلي حتى هذا اليوم ولا أزال أعلل النفس بوصوله إلي كما يعلل المرء الذي فقد أعز أحبابه بلقياه:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل!

وفي مطار لندن كان **الدكتور محمد الصائغ** واقفا بقرب أحد موظفي الجوازات، حين تقدمت إليه إذ علم من الصديق الدكتور **يوسف الحميدان** بوقت وصولي. وفي مكان الأمتعة تناول مني - أكرمه الله - بطاقة الحقيبة، وصرت أبالغ في ذكر أوصافها، وأقص عليه المثل، حتى رأيت حقيبة مماثلة لحقيبتي في اللون والصفة والحجم فقلت للدكتور: إن كان فوق ظهرها كتابة فهي حقيبتي، فقد علقت في مقبضها بطاقة كتبت اسمي فيها بالحروف العربية، وبالحروف اللاتينية، ولم أكتف بذلك بل كتبت اسمي أيضا على ظهرها، فلما أبصرنا الكتابة لم نشك أنها هي. وفي الفندق لم نجد غرفة مهيأة فأبقينا الحقيبة لدى الموظف المكلف بحفظ الودائع. ولم أذكر إلا قبيل الإفطار، حين كرم أخي الأستاذ **عبد العزيز التركي** بزيارتي في الفندق، فطلب إحضارها

لي، ولكنني لم أحتج إليها إلا في صباح اليوم الثاني، وهو يوم العيد لتغيير ملابسي، غير أنني فوجئت بثقلها أولا فعللت ذلك بأن أحد الاخوان قال لي بأنه سيرسل معي حاجة إلى لندن لأحد إخوانه فقد يكون وضعها داخل الحقيبة ونحن في المطار، غير أنني صدمت حين أبصرت ما في داخلها من أحذية قديمة وأشياء غريبة في أعلاها أدوات نجارة ومفاتيح من حديد وغيرها فأعدت ربطها. ولما أمعنت النظر فيها كتب فوق ظهرها اتضح لي أنها تحمل اسما غير عربي فتيقنت أنها ليس حقيبتي.

في فندق كمبرلند

في هذا الفندق كان لي أقارب يسكنون فيه أيام العيد، فأظهرت للدكتور الصائغ رغبتي في أن أكون قريبا منهم فكان نزولي فيه، في غرفة صغيرة لا بالنسبة إلي بل بالنسبة لمظهر الفندق وسعة أبهائه ولارتفاع أجرتها (١٩ جنيها = ١٣٥ ريالا).

لقد اعتدت أن أسكن في أي فندق نظيف من الفنادق المتوسطة، ما لم أضطر إلى غير ذلك، فقد أكون مع رفيق يختار الفندق هو، أو لا أجد مكانا ملائما. أما إذا رجع الأمر لاختياري فإنني أفضل الوسط في كل أموري. وأذكر أنني سافرت إلى مصر ممثلا لصحافة بلادنا في وفد ضم ممثلين عن وزارة الدفاع وعن الإدارة، العامة للإذاعة والصحافة والنشر لحضور احتفالات الجلاء، فكان النزول لجميع أعضاء الوفد في فندق (سميراميس)، ولكنني استأجرت غرفة في فندق صغير مطل على حديقة الأزبكية بخمسة وثلاثين قرشا يدعى (جرين أوتيل). وأذكر أن وزارة الإعلام دعت الصحفيين إلى جدة وهيأت لمن لا مساكن لهم فيها النزول في فندق (قصر الكندرة)، ولكنني فضلت السكن في (فندق الحرمين) الصغير الواقع في منطقة باب شريف. ولا أعتقد أن في عملي هذا ما يصح أن يوصف بالشذوذ أو الخروج عن المألوف، بل أرى الأمر بعكس ذلك، فالمرء لا ترتاح نفسه وتسكن وتطمئن إلا إذا عاش بين أناس يجانسونه في مختلف أحوالهم. وسكان الفنادق العالية غالبا ما يكونون من طبقة خاصة في مظهرهم وسلوكهم. وهذا مما لا يحتمله كل أحد. وأنا أستغرب من أناس يحشرون أنفسهم في مجتمعات لا تلائمهم، وماذلك إلا ليقال بأنهم كانوا يسكنون في أفخم الفنادق. وما الحياة سوى راحة النفس، ولا تتم إلا لمن لا يكلف نفسه ضد طباعها، ولا يحملها على غير ما ألفت ويخرجها عن عادتها. وهذا هو غاية الشذوذ والخروج عن المألوف.

وأذكر بهذه المناسبة أن الأستاذ عبد الله بلخير حينما كان المدير العام للإذاعة والصحافة والنشر ذهب إلى وزير الخارجية في جدة، وكنت معه وكان الأستاذ إبراهيم السويل[٢] ـ رحمه الله ـ وبعد السلام عليه أخبره بأن فيصلا ـ رحمه الله ـ أمر بأن أسافر مع وفد صحفي إلى باكستان سنة ١٣٨٢، وطلب الأستاذ بلخير من الأستاذ السويل الأمر بإعطائي جواز سفر خاصاً فتعلل بأنه لم يبلغ بهذا، فأقنعتها بأنني لن أسافر إلا بالجواز الذي اعتدت السفر به وأنني لا أقبل غيره، وما حضرت إلا للسلام على معالي الوزير، ظنا مني بأن لديه ما سيبلغني به يتعلق بسفري.


عبد الله بلخير


عبد العزيز الرفاعي

وللجواز الخاص حديث خاص في الكلام عن الجزائر لحضور مؤتمر أدباء العرب العاشر.

يوم العيد ١/ ١٠/ ١٣٩٦ : (٢٤/ ١١/ ١٩٧٦م): من المعروف أن المرء لا يحس بالعيد في بلاد لا تحتفل به، فهو كغيره من الأيام. وقد أردت الذهاب في صباح هذا اليوم إلى المسجد الذي يؤدي المسلمون في لندن فيه صلاة العيد فقيل لي: إنهم لم يعيّدوا هذا اليوم، بل تأخروا إلى غد (السبت) وكنت أشعر بأثر برد أصابني في الليل، لأنني تركت نافذة الغرفة مفتوحة، واغتسلت في الصباح بماء بارد، وتلك عادتي منذ سبع عشرة سنة، لا أستحم إلا بالماء البارد، صيفا وشتاء، إلا عندما أحتاج إلى تنظيف جسمي بالماء الدافئ فإنني أستعمله ثم أعقبه بالماء البارد. كان هذا اليوم هو ميعاد الذهاب إلى طبيب العيون فذهبت مع الدكتور محمد الصائغ إليه، وكان الوقت المحدد للزيارة الساعة الرابعة بعد الظهر، وقد استغرب الدكتور الصائغ مرور ثلث ساعة بعد الوقت، غير أنه زال استغرابه أثناء المقابلة فقد تبين أن الطبيب عاش في مصر زمنا طويلا، بحيث أتقن اللغة العربية، وإذن فلا غرابة في أن يتخلق ببعض أخلاق الشرقيين. هكذا استنتجت أنا، وقد أكون مغاليا من حيث اعتقادي بأن الغربيين أشد محافظة على الوقت من الشرقيين.

والواقع أن الناس هم الناس في كل زمان ومكان، مختلفون في أخلاقهم وعاداتهم، فلا يصح التعميم في أي أمر من الأمور.

كنت حريصا على زيارة الصديق الأستاذ عبد الله عبد الجبار، فقد عرفته أول ما عرفته أثناء الدراسة في القاهرة ١٣٥٨ (أي قبل ٣٨ عاما)، ثم قويت الصلة حين كان مراقبا للبعثات العلمية في القاهرة، ثم بعد ذلك حين أصبحت داره منتدى أدبيا يرتاده الأدباء المثقفون من مختلف الأقطار العربية ممن يفد إلى القاهرة فيجدون في رحابة صدر الأستاذ وسعة علمه ووفرة ما تحويه مكتبته من الكتب ما يطلبون.

وكان ينزل في لندن، في مكان متصل بمكتب الملحق الثقافي السعودي، فمررت به ليلة العيد بعد خروجي من منزل الصديق الأستاذ عبد العزيز التركي فلم أهتد إلى منزله. وقد علم الأستاذ عبد الله عبد الجبار بذلك فزارني مساء يوم العيد وليلة السبت، وكرم فدعاني للعشاء في مطعم شرقي (تركي) كان جميع ما قدم لنا من أنواع الطعام مما ألفناه واعتدنا تناوله.

ثم كان الذهاب لزيارة الأستاذ الرفاعي، وكان يمضي دور النقاهة في لندن حيث عولج باستئصال المرارة فارتاح للعلاج وعوفي من المرض، وكانت ليلة

أنس وسرور غمرهـا الأستاذان الجليـلان بأدبهما وفضلهما ونبل أخـلاقهما حتى تمنيت أن نزداد طولا (وليالي السرور قصار).

والمرء في لندن ـ أثناء الليل ـ يدرك صعوبة المواصلات، فسيارات الأجرة لا تتوفـر في كل مكان وفي كل وقت، فبعـد خروجنا من المطعم انتظـرنا بـرهة من الزمن نبحث عن سيارة أجرة حتى مرت بنـا سيارة صغيرة يدعونها (منب كاب) يسوقهاعربي مصري فأوصلنا إلى منزل الأستاذ الرفاعي.

ولما خـرجنا منـه وقد انتصف الليـل وجدنـا الجو قد اكفهـر وتغير فجأة، فسقطت الأمطـار غـزيرة، وصـارت الأسـواق تجري فيهـا السيول كـالشعـاب القوية، فاتقينا المطر تحت إحدى النوافـذ، وانتظرنا برهة من الوقت حتى مرت بنا سيـارة أجرة أوصلت كل واحد منـا إلى منزلـه، ولكنني لم أسلم من أثر البرد تلك الليلة مما ضاعف ما كنت أشعـر به في الليلة التي قبلها، وبقي الأثر معي أياما. ولا أزال أستعمل ثيابي التي لبستها في الرياض، والأيام أيام عيد!

الحقيبة.. الحقيبة

لم أتمكن يوم العيد من الاتصال بأحد من مـوظفي الخطوط لمعرفة شيء عن حقيبتي التي استبدلت غيرها بها خطأ، ولم يـدخر الدكتور **محمد الصائغ** جهدا للبحث عنها وقـد أكد لي بأنها لن تضيع ووعـد بأن يبعث إلى المطار من يبحث عنها، ولكن صـاحب الحاجة أحفى بها ولهذا اتصلـت بالصديق الكـريم **أبي خالد** وهو من خير من يعول عليه لقضاء حاجات إخوانه في هذه المدينة:

نميل على جوانبه كأنا نميـل إذا نميـل على أبينـا

فبعث إلي ابننا الكريم **خالد بن عبد العزيز**، فكان أن وجدنا الحقيبة في المطار وأعددنا ما يلزم إعداده للرحلة إلى باريس، ولم يتركني ـ أكرمه الله وجعل اليُمن حليفه في كل أحواله ـ إلا بعد أن دخلت المكان المخصص للمسافرين.

وقد يدفع الفضول بعض القـراء للسؤال عما تحويه تلك الحقيبة العتيدة! لا شيء سوى حلـة (بدلة) أنهكتهـا في اللبس شهورا، ثم نظفت وهيئت للتجمل بها أثنـاء هذه الـرحلة ومـلابس خفيفة قليلـة تقـوم بدراهم معـدودة لو كـانت جديـدة، وآلة حـلاقة ألفتهـا ثلاث عشرة سنة، ومـن أصعب الأمور على المرء فقـدان مـا ألف، ووريقات دونت فيها بعـض معلومات احتـاجها عند كتـابة موضوعات أعددتها لمجلة «العرب»، ولا شيء غير ذلك.

أما صـاحب الحقيبة التي وصلت إلي خطـأ فلم يكن أسعد حظـا مني فهو فيما يظهر سافر من الرياض إلى روما فقذفت الأقدار بتلك الحقيبة حتى وقعت في مطار لندن، ولم يجد حذر صاحبها وحرصه وكتابة اسمه وعنوانه ورقم هاتفه في روما في أبرز مكان منهـا من أن يحس بلوعة فقدها ثلاثـة أيام على أقل تقدير ولكنها ستصل إليه إن شاء الله.

إلى باريس

لم تكن الرحلات إلى هيوستن وهي المدينـة التي كنت قررت السفر إليها من لنـدن متيسرة كل وقت، ولهذا عـزمت على السفـر بطريـق باريس يـوم الأحـد (٣/ ١٠/ ١٣٩٦ ــ ٢٥/ ٩/ ١٩٧٦م) لكي أقابـل حفيدتي صبـا (**صبا نجد**) ووالديها القادمين من **أمريكا**، في طـريقهم إلى **الرياض**، فوجدتهم في المطار فبتنا جميعا في فندق ألفنـا سكناه ويدعى (**يونيو أوتيل أتوال** UNION HOTEL ETOILE) في شارع (**امولان** HAMELEIN)، وقد أعددنا العدة للسفر في الصباح فبكرنا إلى المطار قبل موعـد السفر بثلاث ساعات وبقينا فيه حتى حان موعد سفري، وكـان الساعة العاشرة والنصف (وتقدّرون فتضحك الأقدار): ذهبت إلى باب الوصول إلى الطائرة السـاعة العاشرة والربع، وعنده سألت مي ابنتي الرجل الذي يتناول الحقائب من المسافرين لتفتيشها عن موعد إقلاع الطـائرة إلى (هيوستن) فهمت منه أنـه لم يحدد بعـد، فطلبت مني أن أجلس في المقهى ألاحظ صبا وهي تغط في نـومهـا داخل عربتهـا الصغيرة، وذهبت أمهـا لكي تبحث عن غـرض لتبعثـه معي لإحدى أخـواتها، ولكنهـا استغرقت في البحث داخل المعرض زمنا حتـى أقلعت الطائرة. حقا لم أتأثر إلا حينما رأيت تأثرها وانفعـالها، لأنها قد اتصلت بأخواتها فأخبرتهن بأنني سأصل على تلك الطائرة التـي سافرت، كما أن حقيبتي ذهبت فيهـا، وهي تخشى من أنني قـد أتعب فلا أجـد من يهيئ لي وسـائل السفر لأنني لا أحسن شيئـا من اللغات سوى العربية، فهيأت لي السفر إلى نيـويورك بطائرة تتجه إليها الساعة الواحدة، وكان مـوعد سفرها هي وزوجها وابنتها قـد حان فودعتهم وجلست أمام الموظفـة التي تعد لي تذكـرة السفر، فرأيت على مقـربة مني رجلا تـوسمته عربيا فلم يخب حـدسي، إنه من مصر ويدعى الدكتور يوسف البدراوي، **وله صلة قويـة برجال مشهورين في بـلادنا، وكان يقيم في كندا** منذ عام ١٩٥٢، وهو الآن عائد إلى مصر، فكان لي نعم الـرفيق حتى آن وقت إقـلاع الطائرة إلى نيويورك الساعة الواحدة بتوقيت باريس.

ومن يدري فقد يكون في التـأخير لي خير، فاستمرار الطيران أكثر من عشر ساعات من باريس إلى هيوستن متعب وممل، أما إلى **نيويورك** فلا يزيد على الثمان تعقبها استراحة نحو ساعة في مطار **نيويورك**.

بين نيويورك وهيوستن

لم يستغرق زمن الطيران من باريس إلى نيويورك الزمن المحدد، إلا أن المرور بموظفي الجوازات ثم بمـوظفي الجمرك في مطار نيويـورك ثم الاتصال بخطوط الطيران لتأكيد السفر استغرق زمنا طـويلا، ففاتتني الطائرة التي سجل اسمي مع ركـابها وكان إقـلاعها من مطـار نيويـورك السـاعة الخامسة والنصف بعـد الظهر. وهي من طائرات (دلتا) فبقيت في المطار نحو ساعة.

وسافـرت الساعة السـادسة والنصف على إحـدى طائرات ايسترن فبلغت هيوستن بعد أربع ساعات، وبقيت في المطـار نحو ساعة للبحث عن حقيبتي التي سبقتني، وبعـد أن اطمأننت على وجـودهـا وأنها ستسلم لي صبـاح غـد كانت بنياتي وأمهن قد حضرن إلى المطار بعد أن اتصلت بهن.

الحقيبـة أخـرى: عـدت إلى مطـار هيوستن في الصبـاح، للبحـث عن الحقيبة، ولم يستغـرق الأمر كبير جهـد أو طويل وقت بعـد إبراز البطـاقة التي تحمل رقمها، ولكن كان ما لم يكن في الحسبان. كان الذي يتولى تفتيش الأمتعة إنسان يصدق عليه قول المتنبي في هجو كافور:

من كل رخو وكاء البطن منفتق لا في الرجال ولا النسوان معدود

فالمظهر والشراسة والزي تبرز ذلك الإنسان رجلا وما هو في الواقع سوى حيزبون مسترجلة، لم تدع في الحقيبة شيئا إلا فلته فليا، حتى الظروف التي تحوي أوراقا خاصة، كانت تركز نظرها داخلها مستوضحة مستريبة آه! لقد فغرت فاها وتصلب وجهها، فقد وجدت حقا أصغر من حجم الكف، ملفوفا بخرقة لفا محكما فأطبقت غطاء الحقيبة وأزاحتها إشارة إلى انتهائها مما داخلها، واتجهت إلي مشيرة إلى الحق مستوضحة عما في داخله، فأردت أن أزيد من إثارة فضولها فبالهت، ولكنها سرعان ما أزالت لفافته، فانكشف الغطاء عن مسحوق ذي رائحة حادة، ولون غريب أشهب فوضعت الحق بعيدا عنها، كمن يحاذر ضررا، أو يتوقع شرا من شيء أمامه، وأمرتني بإعادة الغطاء واللفافة على الحق كما كانتا، وأن أضعه فوق منضدة أمامها، ثم جلست على كرسيها وتحدثت حديثا مهموسا بهاتف بين يديها، وانصرفت عني للكتابة في أوراقها. ولم يمض طويل وقت حتى حضر شاب توسمت فيه اللطف حين بدأني بالتحية وحمل حقيبتي، وأشارت إلي لأحمل الحق وأتبعه، إلى مكتب قريب من المكان، وبعد الجلوس سألني عن اللغة التي أتحدث بها غير العربية فأفهمته بأنني لا أحسن سواها، فسأل ـ مشيرا إلى ما بداخل الحق ـ لقد أدركت الآن أنني وقعت في ورطة ولكن سرعان ما فتحته وقبضت منه بأصابعي الثلاثة قبضة وضعتها في فمي وبلعتها وتناولت مثلها وقربتها من فم (الحيزبون) فصرفت وجهها عني، وقهقه الشاب حين رآني أشير بيدي إلى أن هذا يقوي الجسم ويعيد الشباب حتى أماثله في القوة والصحة.

لقد حدثني الأستاذ خير الدين الزركلي ـ رحمه الله ـ عن فوائد (الزعتر) حين رأيته يكثر استعماله حديثا حملني على أن استغني به عن جميع الأبازير مع الأكل، فكان أن ملأت منه هذا الحق الصغير، ونسيته داخل الحقيبة.

جرؤ الشاب على إدخال أصابعه في الحق، وأدخلت المفتشة قلما طويلا داخله، وبعد حديث بينهما ممزوج بضحكات قدم لي الشاب الحقيبة مشيرا إلي بالخروج.

أما الحق فقد أبقيته بيد (الشهربة) حين رأيتها تطيل النظر إليه، حتى الساعة! ولا أدري ماذا فعل الله به. مع أن الشاب أشار إلي لأعود وقتا آخر لآخذه.

من القاهرة إلى لندن أيضا (٣)

كان الأولى أن يكون هذا الكلام (نوع من الهذيان، في بلاد الأمريكان) فهو كلام لا طائل تحته، غير أن كثيرا من القراء أصبحوا لا يقبلون على القراءة، مالم يجدوا فيه ما يستهويهم ويحملهم على القراءة مما يرون فيه خروجا عما اعتادوا الاطلاع عليه.

وتعددت الرحلات إلى **الولايات المتحدة**، (٤) ولكنها كغيرها من الرحلات التي أقوم بها إلى بلاد لا أعرف لغات أهلها قليلة الجدوى، بالنسبة لمثلي. فلن يتغلغل في فهم كل ما ينبغي فهمه عما يشاهده من أحوال الأمم وطبائع السكان في مختلف أنحاء المعمورة إلا من امتزج بجميع طبقات الناس وعاشرهم وخالطهم أثناء أعمالهم وعرف طرائق حياتهم، ولا يتسنى ذلك لمن لا يتقن لغاتهم.

ولهذا فإن ما أحاول التعبير عنه ما هو سوى انطباعات خاصة يحس بها أو بمثلها كل إنسان شاهد من البلاد ما شاهدت، وكان على مستوى من عدم التعمق في إدراك مختلف أحوالهم مثل ما أنا عليه.

من القاهرة إلى لندن: كانت الرحلة من **القاهرة**، فقد اتصلت بالخطوط **السعودية** فقابلت ـ وأنا أسأل عن الأخ الصديق **عبد الرحمن مقبل** ـ مديرها، شابا سبق أن عرفته، فعلمت منه أن الأخ المقبل غائب، وأظهر استعداده لمساعدتي، فأفضل وأجمل وأكمل، إنه الأخ **أحمد حميد الجحدلي** (٥) من بلدة **(ثُوَل)** بقرب بلدة **رابغ**.

قدمت له تذكرة السفر وطلبت منه المساعدة في تهيئة الرحلة إلى **(لندن)** ومنها إلى **(دلس)** في ولاية **(تكساس)** في **أمريكا** بأسرع وسيلة، على أن أعود إليه غدا لأعرف ميعاد السفر، فكان ذلك، ووجدت في مكتبه شابا عرفت منه أنه من بيت الجداوي، من مصر، وكنت عرفت من هذا البيت الأستاذ **ياسين الجداوي** وكيل شركة **(بواخر البوسطة الخديوية)** في ينبع، عرفته فيما بين سنتي ٥٣ و ١٣٥٧هـ، وكان من خير من عرفت من الرجال أدبا وخلقا، وعندما علم بعزمي على السفر إلى **مصر** للدراسة زودني بكتاب توصية لابنه الذي كان يدرس في ذلك العهد، وعرفت من هذا البيت ـ بطريق القراءة ـ الأستاذ **حسن الجداوي** المحامي، وكان من الكتاب البارزين في **مصر** في منتصف هذا القرن.

علمت من الأخ أنه تم (الحجز) بواسطة الأخ **الجداوي** أحد موظفي الخطوط الجوية **البريطانية إلى لندن** صباح الغد (أي يوم الخميس ١٧/٣/١٣٩٩ ـ ١٥/٢/١٩٧٩م) وسأبيت ليلة في لندن ـ بطريق المرور (ترانزيت) ـ وأن الأخ **الجداوي** سيخبر مكتب **الخطوط البريطانية في لندن** ليقوم بترتيب جميع شؤوني منذ وصولي إلى المطار حتى تغادر **(لندن)** إلى **(دلس)** في صباح يوم الجمعة الساعة الحادية عشرة.

ولما أظهرت له أنني لا أعرف إلا اللغة العربية، وكثيرا ما أجد مشقة وتعبا من جراء ذلك، وأخبرته بشيء عما حدث لي في رحلة قمت بها إلى **لندن** حيث لم تصل إلي حقيبتي إلا بعد أسبوع، قال: سلم حقيبتك في مطار **القاهرة** لمكتب الخطوط، وأخبر الموظف المختص بتسلم الحقائب بأنك لا تحتاجها إلا في **(دلس)** وهو يتولى شأنها.

شكرت **الأخ الجحدلي**، وألححت على الأخ **الجداوي** بأن لا ينسى الاتصال بمكتب **الخطوط البريطانية** لكي أجد من يساعدني في إتمام الرحلة، فأكد، وبالغ في التأكيد بأنه الآن سيفعل فاطمأننت، وزادني اطمئنانا ماقيل لي من أن ركاب (الدرجة الأولى) ينالون عناية خاصة، ولعل هذه هي المرة الأولى التي أكون من بين أولئك.

بكرت في الذهاب إلى المطار، في صباح يوم الخميس، ومن عادتي التبكير، سيرا على قاعدة **(من تقدم لم يتندم)** وعملا بالأثر **«بورك لأمتي في بكورها»**.

كنت مسافرا للعلاج، فأخذت معي مبلغا من النقود (دولارات)، وفي

مطار **القاهرة** حين قدمت من الرياض سجلتها بورقة ختمت لي عند مشاهدة حقيبتي.

وتقدمت لموظف **الخطوط البريطانية** ـ والموظف سيدة ـ فأفهمتها رغبتي بعدم تسلم حقيبتي إلا في **(دلس)**، ولكنها لم توافق على هذا وقالت: من **لندن** تسلمها وتصرف فيها كما تشاء! وهذه أولى البوادر التي ساورتني بعدها الظنون بأن أخانا **الجداوي** ـ سامحه الله ـ ماكان واثقا مما قال، ولا محل ثقة بما وعد، وهكذاكان.

عند الدخول إلى صالة السفر جرى تفتيش للحقائب الصغيرة بالآلة المعدة لذلك، وتلميس للأجسام باليد، وعند الخروج من هذه الصالة فتشت الحقائب مرة ثانية وفتح كل ما تحوي عليه، وكان مما تحويه حقيبتي (الدولارات) التي كانت معي حين قدمت من **الرياض**، في داخل ظرف مع أوراق من بينها الورقة التي ختمت لي في **مطار القاهرة**، فلما فتح المفتش الظرف وأبصر النقود أخرجها بسرعة، وأشار إلي بأن أخرج من الصف جانبا، ووقف بجانبي وترك لصاحبه الاستمرار في تفتيش حقائب الخارجين إلى المطار. ورأيت من تصرفه ما حملني على أن أظهر له تذمري واستغرابي من عمله، وكان يقابلني بابتسام الماكر المستخف والنقود معه، فأبرزت له الورقة المختومة، فلما قرأها قال: (إزاي ما سلمتها للجمرك عند الخروج)؟ فقلت: لم تطلب مني، ولو سلمتها ماذا سيكون موقفي معك؟ فالتفت صاحبه موجها الكلام إلي بعد أن تهامسا بكلام لم أسمعه: (ما عليش يا سمو الأمير هنسيبك تخرج بها)! فأجبته بانفعال:

لستُ أميرا، ولا حق لكم بأن تتصرفوا هذا التصرف. فمد إلي النقود قائلا: خذ عدها، فأدخلتها الحقيبة واتجهت إلى باب الخروج، لا أكاد أبصر طريقي من شدة الانفعال من سوء معاملة هذين المفتشين.

كان إقلاع الطائرة من مطار **القاهرة** الساعة الأولى ظهر يوم الخميس (١٧/ ٣/ ١٣٩٩هـ)، وكان الجلوس على كرسي بجوار رجل ضخم الجثة قد ملأ كرسيه، وفاضت أطرافه من فضول جسمه ومن لباسه منه، ويظهر أن صغر كرسيه بالنسبة لضخامة جسمه دفعه إلى إمالة جلسته، بإدارة وجهه لجاره ـ وهذا ليس غريبا ولا مهما ـ لقد كان الرجل شديد العطاس، كثير السعال، وكان لا يخمر وجهه ولا ينحرف عندما يفعل ذلك، وكنت حديث عهد بالإبلال من مرض أصابني من جراء برد أصبت به فيما يسمى (المحجر الصحي في مطار القاهرة) فخشيت أن يعاودني، فما كان مني إلا أن انحرفت في جلستي في الكرسي ووليت ظهري وجه جاري، مما دفع المضيفة إلى أن تبدي استغرابها بكلام لم أفهمه، فنطقت بكلمة (انفلونزا) ومثلت بصوتي العطاس والسعال بشدة، مشيرا إلى جاري، فانفلتت وما أسرع ما عادت بكوب فيه ماء وبحبتي دواء. وقدمت ذلك لي، فأشرت إليها لتقدمه لجاري فأنا لا أحتاج إليه، ففعلت، ولكنه قابلها باستغراب، وبوجه مكفهر، فصارت تشير إليه، فما كان مني إلا أن تناولت ما في يدها و(بلعته) من قبيل: (الوقاية خير من العلاج) أو على حد قول النابغة الذبياني:

وحملتني ذنب امرئ وتركته ... كذى العر، يكون غيره وهو راتع

وكان الوصول إلى مطار **لندن** في الساعة الخامسة بتوقيت **القاهرة** (الثالثة



مطار القاهرة

بتوقيت **لندن**) وكان الجو باردا، وكان الثلج قد غطى الأرض، ولا يزال يتساقط غزيرا. وكان أحد الإخوة من **المصريين** الذين في الطائرة قد أعد له بطاقة الجواز، وكانت المعاملة في هذا المطار أسهل معاملة وأسرعها في أي مطار مررت به.

حملت حقيبتي فوق عربة، متجها إلى باب الخروج من المطار، مارا بجمع من الناس واقفين، يستعرضون القادمين، وكثير منهم قد حملوا أوراقا رفعوها فوق عصي طويلة تحوي عناوين وأسماء عربية وغير عربية، وكنت أتوقع أن أجد أحدا من موظفي الخطوط ـ على ما ذكر لي مندوبها في **القاهرة** فلم أر اسمي بين ما قرأت، ولم أسمع به عند سماعي أسماء كثيرة، ولهذا فَعَلَيَّ أن أتصرف في أموري على هدى قول الشاعر:

وإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجل

(وللحديث صلة في العدد القادم)

الهوامش:

(١) «العرب» ـ المجلد الـ ١٤ ـ ص ٣٢١.
(٢) توفي في سنة ١٣٩٧هـ.
(٣) «العرب» المجلد الـ ١٤ ص ١٦٢.
(٤) انظر «العرب س ١١ ص ١٨/٣.
(٥) انظر مجلة «اقرأ» (ع ٢١١ تاريخ ٢٥/ ٣/ ١٣٩٩هـ ـ ٢٢/ ٢/ ١٣٩٧).



عالم الرموز.. تاريخه وخفايا

يكاد عـالم الرموز يكـون العالم الكبير اللانهائي الـدائم الحركة الذي يغلّف عـالمنا الصغير، المحدود، البطيء؛ عـالم المنطق والنظام الـواضح. فحتّى الألفاظ التي نتفاهم بها إن هي إلا رموز أو طيوف تقـريبية لمعان وأفكار هائمة في المطلق الهائل، العزيـز المنال. ويكفي لإيضاح ذلك أن نلاحظ أن الرموز المنطـوقة المسموعة تختلف من أمّة لأمّة، وتولد، وتشبّ، وتنمو، وتمرض، وتشيخ، وتضعف، وتموت، على حين تبقى المحتويات الفكرية بعدها، وربما قبلها أيضا، ثابتة أو متغيّرة، ولكنها دائما حيّة. وكذلك الحروف التي يكتب بها الناس لغاتهم ولهجاتهم، ليست إلا رموزا بصرية لأصوات، هي نفسها كانت رموزا لأفكار كما قلنا.

والـرمـز في أصل معنـاه إشـارة حسّيـة مصطلح على مفهـومـه بين من يستعملـونها، كإشـارات التحيـة والترحيب والاحترام واليأس والتبرُّم وعـدم الاكتراث والإعجاب والغَزَل، وآلاف من الإشارات تكوّن وحدها مُعجَماً عجيباً من حركات الجسم الإنساني وسكناته، بدون صوت. وما يعادل الرمز في معناه في اللغات الأوروبيـة وفي سائر لغات العـالم لا يعدو أن يكـون إيماءً دالاً متفقا عليه بين متفاهمين. أليس كـذلك؟ والإجابـة «نعم» أو «لا» سهلة وواضحـة قاطعة، بالإشارة فقط، وبدون ألفاظ.

دلالات الرموز

هذا النوع من الرمـوز يُدرك مدلوله بسهولة وبالتكـرار والملاحظة العفوية، أثناء التعـامل مع المجتمع المحيط، وقـد يُستخدم لتقـوية التعبير بـالصوت لا سيما في الخطابـة، وإلقـاء الشعـر، والأداء المسرحي، وغيرهـا من معـارض التفاهم. كما أنه وَلَدَ فنًّا قائما بذاته هو فن (التمثيل الصامت) وكذلك (الرقص المعبّر)، (البانتوميم)، أو مـا كان يسمى قديما عند اليـونان (ميم) أو ميموس) وهو رقص دينيّ نابع من الأسـاطير الوثنية الخاصة بالمعبـودات البائدة، يصوّر مواقف معينة لتلك المعبودات، أصبحت ذكراها أعياداً تحتفل بها المعابد. ومن اللفظة اليـونانية «ميمـوس» بأخذ الآراميون في الشام كلمـة «مومـوس» لـراقصة المعبد، التي تسربت بـدورها إلى العـربية الفصحى منـذ الجاهلية الأولى بلفظ «مُـومِس» التي لم تكن تماما من صنف الـزواني أو البغـايا بل كـانت في هـذه الأزمان السحيقة (فنَّانة) لها وظيفة معلومـة عند الأصنام ومع الكهنة. وما تزال راقصة المعبد موجودة في الهند وتايلاند وفيتنام وغيرها من بلدان شرق آسيا وجزر المحيط الهادي.

وهناك دلالات بالرمـوز تحتاج إلى تعليم وتوقيف وحفظ. كإشارات المرور، وإشارات المنائر البحرية والجوية في كل ميناء ومطار، وإشارات التنبيه الصوتي في سيارات الإطفـاء والإسعاف والنجـدة والشرطة، والعـلامات المرسـومة على أرض الطريق للتحذير أو لتوجيه المرور، والرايات المختلفة الألوان التي ترفعها السفن عند الدخول إلى الموانئ، والتي تشير إلى بلد السفينة، ونوعها، وهل تم تفتيشهـا أم لا، وهل كُشِفَ عنها صحيـا ووبائيـا وإداريا، أم مـا تزال تنتظر ذلك؟ وكذلك الرايات السوداء التي ترفع على شواطئ المصايف لتحذير الناس من عـاصفة على البحـر، وعـلامات أخـرى عـائمة على سطح الماء تمنع هـواة السبـاحـة من الـذهـاب في البحر إلى أبعـد منهـا، ورايـات تحذيـر تعلق على الشاحنات والنـاقلات لبيان أن حمولتها تتجاوز طولها حتى لا يرتطم بها سائق آخر خلفهـا، وإشارات صائتة أو مضيئـة على شاشة الحاسب الكهـربي لبيان الخطأ أو الخلل في التشغيل، ومثل ذلك في أجهزة الضبط والمراقبـة في الرحلات الجوية والفضائية، وما لا يكاد يحصى من الرموز والإشارات التي تدرك بالحفظ والتلقين، ومنها رموز المواد الكيماوية: الغـازات والفلزّات والعناصر والمركّبات ومـا إليها ممـا تـزدحم بـه الجداول والقوائم، ومثلـه في عـالم الهندسـة والعمارة، والزراعة، والصناعة، والطب، والصيدلة.



الدور اليهودي فيه

بقلم:
أ.د. حسن ظاظا

دلالات الشعار اليهودي

ومـا زلنـا حتى الآن في الجانب السهل البسيط المنطقي من عـالم الـرمـوز. وهناك فصيلة أخرى **يحمل الرمز فيها اسم «الشعار»**، وهو صورة مركّبة تُخفي وراءها دلالة طـويلة أو قصيرة، فالجناح ـ على سترة الإنسـان ـ يعني أنه ينتمي إلى مهنة الطيران والملاحـة الجوية، والخُطّاف أو (الأنجر) للبحّـارة، والخطوط الحادّة المتكررة للمتصلين بـالكهربـاء، غير الشّعارات العسكـرية على الـذراع والأكتاف والصدر ولكل منها دلالة أيضا. وفي ميدان الشعارات ترفرف الأعلام والرايات، وكل منها يحكي قصة، أو يذكّر ببيت من الشعر، أو يلخّص وجهاً هامًّا من العقـائد السياسية والاقتصادية لهذه الدولة أو تلـك، أو يصوّر ظاهرة سياحيـة جذّابـة فيها، أو يجمع الطمـوح السياسي والالتـزام الديني والتـاريخ الأسطوري على رقعة العلَم، مثل الرايـة الإسرائيلية: فأرضها بيضاء نقية! بين شريطين زرقاوين تـوصيةً بالمحافظـة على الصلاة اليهوديـة التي تجب في الفجر عنـدما «يتبيّن الخيط الأبيض مـن الخيط الأزرق»! وقد اختلف شرّاح الشريعـة عنـدهم في «المِشنا» و«التلمـود» حول تحديـد هذا اللـون: أيّ أزرق هو؟ فقـال بعضهم «الأزرق الكحلي» وآخـرون «الأزرق المخْضَرّ» كلـون الكُـرّاث، وفسره سعديـا الفيومي، أشهـر علمائهم ورؤساء طـائفتهم في بغداد العبـاسيين (توفي سنة ٩٤٥م) بأنه «الأسمنجوني» وهي لفظة فـارسية معناها «بلون السماء». ثم على رقعة العلم البيضاء بين الشريطين الـزرقاوين تتوسط نجمة سـداسية زرقاء أيضا، يتقاطع فيها مثلثان متساويا الأضلاع رأس أحدهما إلى أعلى ورأس الآخر إلى أسفل، يسمونها مِجَنّ داود [عليه السلام] ويزعمـون أنها كانت مرسومة على الترس الذي كان يخوض به داود المعارك المظفّرة ضدّ أعدائه، ويزعمون أيضا أنه بقي في عهد ابنه سليمان [عليـه السلام] ماثلا على خاتمه الـذي كان يطبعه على رسائله ومراسيمه. **وكل هـذا من المزاعم غير المتفق عليهـا. ولكـن يبـدو أن الصهيونية قد أخذت برأي سعـديا في اللون السماوي، وبرأي بعض الدراويش من بني إسرائيل في النجمة السداسيـة، فهناك من يشكون في ذلك، ويرون أن هذه النجمة كانت خماسية فقط، وإلى ذلك تشير دوائر معارفهم، حتى ما ظهر منهـا في ظل الصهيـونيـة. وسـواء أكـان هـذا الشكل أم ذاك، فقـد كـانـا من الوحدات الزخرفية الهندسية السهلة المنتشرة في أجزاء كثيرة من العالم القديم، إذ كانت النجمة السـداسية تـرمز إلى بيت النحل الذي يمثل الشكل السداسي فيه أصلح الـوحدات للبنـاء وتخزين العسل**، وفي جهـات أخرى تـرمـز إلى خلق السماوات والأرض في ستـة أيـام، وفي عقـائد مختلفـة كـان المثلث يشير إلى الإنسان، وزوايـاه الثلاث إلى قدراته الثـلاث، أي التفكير والشعور والعمل، وكان التفكير في قمة المثلث، فرسموا مثلثين متقاطعين رَمزاً للإنسان الموزّع بين التفكير المتســامي (رأس المثلث إلى أعلى) والتفكير المنحـطّ (رأس المثلث إلى أسفل). وكثر ذلك في الهند. وأما النجمة الخماسية فجاءَتْ رمزا لأصابع اليد، التي سبقتها بآلاف السنين في المجموعات البشرية البدائية، كأنها تميمة سحرية تدفـع فيها اليـد غائلة الوبـاء والموت وعين الحسود. **وكان اليهـود ـ في كلتـا النجمتين ـ ناقلين عن غيرهـم، كدأبهم في معظم ما عندهم من تـراث يدّعون خصوصيته وأصالته**. ومثله من تلك الشعارات اليهودية القديمة الشمعدان ذو الشعب السبع، شعبة في الـوسط على كل جانب من جـانبيها ثـلاث أخرى، وكـان موجـودا في معابـدهم منذ القرن الخامس قبل الميلاد على الأقل، وهـو مأخـوذ من (شجرة الأنـوار) عنـد البابليين، يصنعـونها من الـذهب ويرمـزون بشموعها السبعـة إلى الكواكب السبعة السيّارة المعـروفة في علم الفلك البابلي، والمعبودة عندهم. ويطـول بنا الحديث لو أوغلنا في البحث عـن بقية الأشكال الهندسيـة الزخـرفية في طفـولة الفنّ القديم، ومـا ترمـز إليه، كـالدائرة والمربّع والشكل المعيّن، وما يكمن وراءها من رموز دينية أو سياسية أو سحرية.

وفي عالم الرموز شعارات مـركّبة يحتـاج شرحها إلى تعليم وروايـة ودراية، ولكثرة طوافها في بلاد الله كثرت شروحها واختلفت وتعدّدت.

ونذكـر مثالا لها شارة الأطبـاء. فقد كانـت هذه الشارة تمثل عصـا رأسية مستقيمة، يلتف حولها ثعبانان حلـزونيان وينجدل أحدهما على الآخر. وتحفظ لنا الآثار السومرية في العراق صـورة لتلك الشارة الطبية من عهد «جوديا» أمير مدينة «لَجَاش» في جنوب العراق، منذ نحـو عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد، ماثلة على كأس لـه، كما وجدت صـور تشبهها في الآثـار البرهمانية الهنـدية، والـزخارف الرمزية السحريّة في الصين. وقال المحللـون: إن العصا المركزية المستقيمة ترمز إلى إله الحكمـة (هرمس عنـد اليونـان) والثعبانـان الملتفان حـولها يمثلان النفع والضرر، مثل الأدوية، ويمثلان أيضا الليل والنهار في الدورة الفلكية الكونية، وقد يمثـلان الذكر والأنثى اللذيـن يقوم عليهما عمران العالم، بعـد أن وضع إله الحكمة حدًّا لصراعهما، وخضعا لأمره، فتحقق السلام. وهناك من فسروا ذلك بأنها رمـز لشجرة الحيـاة، وأشاروا إلى أن صـوراً منهـا وجدت وقـد زُوّد كل من الثعبانين بجناحين رمزا لرسالتها السماوية الإلهية.

وكما نرى فإن أي شعار نقوم بمتابعته وتحليله، وربطه بما أحاط به أو سبقه من طقوس ومعتقدات، يفتح مـا لا يكاد ينتهي من الاحتمالات والتأويلات من المتخصصين في بـدايـات المجتمع الإنسـاني أو في علم النفس أو الحضـارات أو مقـارنـة الأديان أو التقـاليـد والعـادات، مثل دراسات السيرجيمس فـريـزر أو الكسندر كـراب أو إدوارد وسترمارك أو يونـج أو سبايز أو كـرامر، في مؤلفاتهم الكثيرة التي ـ مع دقتهـا ـ ما يزال في نتـائجها نظر، ولذلك لم نشأ أن نقـرن هذا البحث بسجلّ للمـراجع لأن ذلك أمـر يطول، وكثير من هـذه المراجع ليس في متناول كل قارئ، وغير حاسم.

وفي عالم الرمـوز نجد أيضا «الرمز الخيالي»، وهو تجسيد لفكـرة ما بشكل محسوس. فالعدل مثـلا رمزوا له بالميزان تمسك به فتـاة معصوبة العينين، وهي رمـزية واضحـة لا تختلف عليها التأويـلات، لأنها تشرح نفسها بنفسهـا، كما أشار إلى ذلك المستشرق الفـرنسي هنري كـوربان في كتـابه الخيال الإبـداعي في تصوّف ابـن عربي (بـاريس ١٩٥٨م) فعنـده أن رمزيـة التجسيم هي عمليـة إرادية منطقية عقلانية، لا تقتضي عبـور الإنسان إلى مستوى شعوري آخر، ولا إلى أعماق أخرى وراء العقل الواعي، ومن ذلك الكثير مما يسمى الرمزية الأدبية في الشعر والقصة، فهي تجسيـد بالصورة اللفظية لمعان وخـواطر وأفكار مجرّدة هيولانيّة. وفي هذا المضمار تلعب الاستعـارة والمجاز دوراً أساسياً في التعبير. ألا ترانا نقول إن الشاعر «يحلّق» بفكـره في «آفاق» سامية، ويعبّر عن ذلك بألفاظ «مجنّحـة»، وأنه «ألمعيّ» ـــ من اللمعـان والتألق ـــ وأنه «لَـوْذَعي» ـــ من المذاق اللاذع الحرّيـف ـــ بعيد عن «الإسفاف» ـــ وأصله هبـوط الطائر إلى أسفل حتى يلمس التراب ـ، ونقـول: إن له قـريحة «متفتحة» ـــ من الأزهار عنـدما تتفتح عنهـا البراعم ـــ، ونقـول الحب «الجارف» والموت «الأحمر» والحقـد «الأسـود» والرياء «الأصفر» والقلب «الأبيض» والسلوك «المتلوّن»، وما لا يكاد يحصى من



الابتـداعات اللغـويـة التي تتجـرد وتتعدّد وتأتي بكل عجيـب. وهذا كلـه من الرمـوز الفنية الصنـاعية الادارية، والشرط الـوحيد فيهـا أن تكون مفهـومة من القارئين والسامعين، وألاّ تكون المحور لفكر الأديب.

الرمز القصصي

وهناك الرموز القصصية، وهي تصـوير لشعـور مجرّد عن المادّة، بشكل ماديّ فيه حـركة. فالنصر مثلا كان في الرمـزية اليونانية على شكل شـابّة رائعة الجمال، كاملة الزينة، تخطو بخفة ورشاقة، ولها جناحان قويّان، وكأنها تتقدّم بسرعة، حاملـة هذه البشرى. وفتاة رمزية أخـرى تحتضن وعاءً على شكل قرن كبير مُفعَم بالفواكه والأزهار والنباتات اليانعة تنثر منه في كل اتجاه، وكانت رمزاً للخصب والبركـة، ورجل متشنّج العضـلات تنطق مـلامحه بـالألم وقـد حطم السلسلة التي تكبـل يديه، وكـان رمزا للغضب والثـورة، وامرأة واقفـة منكسة الرأس، متشحـة بالسواد من الرأس إلى القـدم، تنظر إلى الأرض وتبكي، وهي رمز الموت والحداد والأحزان.

وقد يأتي الرمز كلامـاً، على شكل مَثَل سائر يحكي قصة ما كقولهم: «سبق السيف العذل» لـلأمر الذي تم نفاذه ولا تجدي فيه المراجعـة، وقولهم: «رجع بخفَّي حنين»؛ وتعبيرات كثيرة من قبيل «ندامـة الكُسَعِي» وكذلك «بـاتَ ليلة نابغية» إشارة إلى السهاد والألم في قول النابغة الذبياني:

فبتُّ كأنَّ العـــائداتِ فَـــرَشْـنَ لِي

هَـــرَاســاً بـــه يُعْلَى فِـــراشي ويُقْشَبُ

ومثل هذه الرموز المركبة يهتـم بها المحللون النفسيون، خصوصا إذا لم تكن منقولـة مُستَمدّة من التراث القـديم، وكانت من ابتكـار قائليهـا. وقد عكف بعضهم على مثل ذلك في الأدب اليونـاني القديم، على أن القـائل كان أول مَنْ نطق بهذا الرمز، وتعقّب بعضهم نفس هذه الظاهرة في الآداب الشرقية القديمة كالهندية أو البابلية الأشورية أو العبرية، ولكن يبدو لنا من الصعب القطع بأن تلك الفكرة كـانت من ابتكار قائلها وواضعهـا في هذا الرمز، لصعـوبة تحقيق ذلك في أمم قديمة كان أكثر أبنائها يعبر عن أفكاره بأمثال أسلافه.

ومن الممكن أن تـدخل في هذا القسم أسماءُ البروج الفلكيـة الاثني عشر: الحَمَل ـ الثور ـ الجوزاء (التوأمان عند الغـربيين) ـ السرطان ـ الأسد ـ العذراء ـ الميزان ـــ العقرب ـــ القوس ـ الجدي ـــ الدلـو ـ الحوت (مع الإشـارة إلى أن برج



العـذراء كـان يسمى عند الفلكيين العـرب : السُنْبُلَـة) . وكـذلك أسماء بعض النجوم مثل : الدب الأكبر، والأصغر، والثريّـا ، والنثرة ، والإكليل ، والزهرة ، والسماك الأعزل ، والرامح ، وسُهَيل ، وغيرها . **فقد كان الناس قديما ينظرون إلى السماء ليلا ، ويتخيلون أشكالا مختلفة في المجموعات الكوكبية في هيئة السماء ، تربط بين بعض مفرداتها وبعض خطوط وهمية تـوحي إليهم بالشكل الذي يدل عليـه كل اسم من هـذه الأسماء . بل ربما كـانت هـذه الأسماء بقايـا لأسـاطير وملاحم وقصص لآلهة وأبطال كـانوا يقدّسونها ـ وكثيرا ما يعبـدونها ـ هنا وهناك تحت سماء الله سبحانه وتعالى . وعندما اقترن علم الفلك بعلم التنجيم والعرافة تأكّد اهتمام البشر بهذه الأشكال حتى صوروهـا على مبانيهم ، بل على جلودهم بـالوشم ، وصـار التنجيم علما من علـوم الـرموز فُتِن بـه النـاس ، وكثرت فيـه المؤلفات بجميع اللغات ، ووصل فيه بعض أصحابـه إلى مناصب مرموقة فلا** تسير الجيوش إلاّ بأمرهم ، ولا يصدر قرار إلاّ بمشورتهم ، وما يزال هذا الهيلمان متينا مكينـا في الشرق والغرب ، يدرّ على أربـابه الأموال الطـائلة ، وزعم أولئك المنجمون أن مـواليد برج الحمل يتصفـون بالتحمّس السريع ، والمبادرة القـوية المندفعـة ، وأنه بـرج ناري ، ينـاسبه اللـون الأحمر ، ومن المعادن الحديـد ، ومن الأحجار الكريمة الأحمر . . . إلخ ، ووصفوا برج الثـور بأنه يرمز لكثرة النسل ، وللقـوة العنيـدة ، والبخل ، وهـو برج تـرابي بـارد ، ينـاسب اللـون الأبيض أو الأخضر ، ومن المعـادن النحـاس الأصفر والتـوتيـاء ، ومن الحجـارة الكريمـة الزمرّد . ووصفوا برج الجوزاء بأنه بـرج هوائيّ حارّ يناسبه من الألوان المخطّط ، ومن المعـادن الزئبق ، ومن الأحجـار المائل إلى الحمرة . وأما الأسـد (أو الليث) فوصفوه بـالنُبل والتألّق والفخامة والكرم والشرف والكبريـاء والاستبداد ، وهو برج نـاريّ جافّ ، مـن صفاته العُقـم ، ويناسبه اللـون الأصفر ، ومـن المعادن الذهب ، ومن الحجـارة الياقوت . وأما العـذراء أو السنبلة فهو برج تـرابي بارد جـاف فيه عُقم ، ينـاسبه من المعـادن الزئبق ، ومن الأحجـار اليشب أو الجزع اليماني . وأما السرطـان فهو عنـدهم برج مـائي ، من صفاتـه الصمت ، والقوّة الخفيّــة ، والنضج حتـى التعفُّن ، والسلــوك الملتــوي ، ويجمع بين الحرارة والرطـوبة ، ولونـه هو الأبيض غير الناصع ، ومعـدنه الفضة ، وحجـره الكريم اللؤلؤ . وجعلوا برج الميزان دالاًّ على العـدل ـ طبعا ! ـ والإيمان الديني ، والإلهام الـداخلي ، ووصفوه بـالحرارة والـرطوبـة والعُقم ، ولـونـه كل الألوان الخفيفـة الباهتة ، ومعدنه النحاس ، وحجره الماس . وقـالوا في العقرب إنه برج يدل على الكتمان والحيلة والمثابرة وحبّ الاستطلاع ، والفوضى ، وهو بارد رطب ، معدنه البلاتين ، وحجـره الياقـوت الأصفر . بعكـس القوس فهـو برج نـاري جاف ، وصفوه بـالصراحة والاستقلال في الـرأي والمغامـرة والمرح ، ومعدنه القصـدير ، وحجره الفيروزج . ونسبوا إلى الجدي التوحّـد ، والميل إلى التجريد ، والتقشف ، والتمسك بالمبادئ ، ومعدنه الـرصاص ، والحجارة السوداء . والحوت برج مائي ـ طبعا ــ بارد رطب ، يتصف بلين الجانب وحب المجتمع ، والكآبـة ! ومعدنه القصديـر ، وحجره المرجـان . أما الدلـو فرأوا فيـه حب الناس ، مع انـدفاع في التصرّف ، وهو برج هوائي حارّ ، معدنه الرصاص ، وحجره الدرّ الأسمر .

الرموز الفلكية

ولو أننا تأملنا ما قاله أولئك المنجمون ـ وغيرهم ـ حول طبائع هذه البروج ، لوجدنا أنهم نظروا لاسم البرج الذي أعطـوه للصورة الفلكية التي تخيلوها ، ثم خلعـوا على مـواليده صفـات ــ تخيلـوهـا أيضا ــ من لـوازم هـذا الاسم وتلك الصورة ، **فالأمر كلـه خيال في خيال!** ولكنهم مع الزمن عمـدوا إلى التعقيد في حساباتهم ، فأضافوا إليها حسـاب «المَطالع ، والمنازل ، والقِرانات» أي اختاروا لكل ساعة من ساعات هـذا البرج على توالي أيامه حسب المواليد نجما «يطلع» في تلك السـاعـة ، وآخر «ينـزل» نحو الغـروب ، وثالثـا «يقترن» بظهوره سـاعة



الميلاد ، ليجعلوا هذا الحساب صعبا لا يقـدر عليه إلاّ المتخصصون ، وليزيدوا نبوءاتهم عموماً ومرونة واحتمالا لأوسع التأويلات وقابلية للتصديق!

ومن الـرمـوز الفلكيـة هـذه نـوع خطير يسمّى حصـة الأبـدان ووظـائف الأعضاء. فهو باب من **الطب الإجراميّ الخرافيّ** يسيطر فيه الحَمل على الرأس بكل مـا فيها من تفكير وحـواسّ، والثـور على الرقبـة، والسرطان على القصبـة الهوائية، والتوأمان (الجوزاء) على الصدر والرئتين، والأسد على القلب، والميزان على الذراعين والكفّين، والعقرب على المعدة وبقيـة الجهاز الهضمي، والقوس على أعضـاء التناسل، والجدي على الفخـذين بـالركبتين، والـدلو على الـدورة الـدمـويـة، والحوت على السـاقين والقدمين، والكبـد ومـا يتصل بـه تحكُمُـهُ العذراء. **وهكذا تحوّل السحـرة إلى أطباء يتاجرون بـالتمائم، ويخدعون المرضى المساكين!**

أثر الخرافات اليهودية

وفي عالم الـرموز تتربع الخرافـات اليهوديـة على عروش سرّيـة سحريـة منذ عصور الظـلام الأوروبي في جاهلية العصـور الوسطى، حيث عانت الشعوب المسيحية من تسرب خـرافات التلمـود، وكتب خطيرة أخرى عنـد اليهود مثل **القبالة وهي** نُقُولُ المريـدين عن شيوخهم معلّمي التأويلات الجنونيـة، وكتاب **الزوهر** في الأسرار الإشراقية الصوفية، والشطحات التي لا ضابط لها، مما اجتاح العقلية الأوروبية في المسيحيـة واليهودية على السواء، فظهـر عندهم ما يسمّى «السبت الأسـود». إذ زعموا أن الشيطـان يعقد اجتماعـاً سرّيـا مع أعوانـه من جهابـذة السحر رجـالا ونساء. ومـوعد هـذا الاجتماع كان ليلـة السبت (ليلة العهد القديم اليهودي) أو ليلة الخميس(ليلة العهد الجديد المسيحي)، وكان أطفال يختفـون في هاتين الليلتين، يخطفهم السحـرة يوم الجمعـة أو الأربعاء، فيقتلونهم ليـدهنوا بشحومهم المكـانس السحرية التي يـركبونها ويطيرون بها في الهواء - كما زعموا! - لحضور الاجتماع، وقد وصف ذلك المؤلف الفرنسي **جوليان توندريو** في كتابه **معجم العلوم السرّية**، ويبدو أن هذه الخرافـات قد تسرب بعضها إلى معتقدات شعبيـة عند المسلمين المنحرفين المخدوعين فقـالوا إن يوم الجمعة يحتوي على «ساعة نحس»! وأن يوم الأربعاء مشؤوم، لا سيما إذا وقع في محاق القمر، وبـه يهجو الشاعـر البغدادي الماجن **الحسين بن حجـاج** - أحد معاصري المتنبّي - خصماً له فيقول:

يـــــا أربعـــــاءً لا تَـــــدُورُ   وبِـــــهِ مِحَاقَـــــاتُ الشهـــــورِ

يـــــا كـل شيء مُتْعِـبٍ   مُتعقّـــــد صعـب عسير

وإلى جانب الضحـايـا من الأطفال المخطوفين، كانوا يذبحـون جديا أسود يسمونه «قربـان الشيطان» أو «تيس الفداء*»، ويرقصون بعد الـولوغ في الدم البشري ودم الجدي الأسـود، وكل منهم قـد أدار ظهـره إلى الآخر. أمـا مكـان الاجتماع السرّي فكان في الجبال أو الغابات أو الخرائب.

ولو شرعنـا في ردّ كل رمز من تلك الـرموز إلى أصولـه عند اليهود لطـال بنا الحديث وتفـرع وتشعب، **ونكتفي هنـا بـالإشـارة إلى أن كثيرا مـن العـزائم والطـلاسم المستعملة بين السـوقة في بعـض البلاد الإسـلامية تحتـوي على جمل كاملة من نصوص يهودية - عبرية وآرامية - بلفظها مع تحريف كثير.**

الرموز الماسونية

وفي عالم **الرموز السرية** التي يخفيها أصحـابها عن الناس تحتل الماسـونية مكان الصدارة، وكانت بداياتها في أعالي العصور الوسطى، حيث كان النبلاء يأمـرون بتشييـد الحصـون المنيعـة للـدفـاع عن حـوزتهم، ويستعملـون أقـدر المهندسين، ويغدقون عليهم الأموال الطائلة، ولا سيما إذا اخترع المهندس سرّا من أسرار الـدفـاع، من أبـواب مُضلّلـة، أو كمائن لـلإيقـاع بـالمهـاجمين، أو سراديب خفية يسهل منهـا الفرار إذا اقتحم الأعـداء الحصن، أو مخازن منيعة للمـؤن أو الكنوز. وكـان بعض أولئك النبلاء يخشـون تسرب أسرار الحصن إلى العدو، فكانوا عند تمام البناء يأمرون باغتيال المهندس، حتى يبقى سر الحصن عندهم هم فقط، وباختصـار كان كثير من المهندسين يلقون في النهـاية جزاء سنمّار، وهو مهندس أيضا بنى حصن الخَوَرْنَق للنعمان بن المنذر ملك الحيرة في الجاهلية ثم قتلـه النعمان بعد تمام البناء. ويبدو مـن اسمه أنه كان آراميـا وثنيا يعبد القمـر، إذ أظن أن اسمه كان « سِنْ (إلـه القمر) ومَارْ أي السيّـد» فيكون معنى سنمار (القمـر هو السيّد). أمـا في الغرب فكـان معظم المهنـدسين من اليهود. ولمّا كثر فيهم القتل كوّنوا هـذه الجماعة السرية للـدفاع عن أنفسهـم، واتفقوا على أن تودَع نسخة من الخطـة المعمارية للحصن في مخازن الجماعة، فإذا أصاب المهندس سوء بيعت للأعداء بكل أسرارها وذهب ثمنها إلى الورثة، مع التوصية بتسريب هذا القرار حتى يعرفه النبلاء فيكفوا عن قتل المهندسين خوفا من تسليم الخطة للأعداء. من هنا جاءت كل رموز اليهود إلى أسرار الماسونية. **وأول ذلك مـا يسمـونـه «المحفل الماسـوني»، وهـو مبنى الإدارة والاجتماعـات لأعضاء الجماعة، وكانت أرضه مغطاة بالبلاط الأبيض والأسود، يرمزون بهما إلى السـالب والموجب في سلوك النـاس، وفيهـا ثلاثـة أماكن مفـروشـة بثلاثـة من البُسُط، الأول منها للمبتدئين، والثاني للـرفاق، والثالث للرئيس أو (المعلّم). ولهذا الأخير «عـرش» أو «سُدَّة» تسمى عنـدهم «عرش سليمان الحكيم»! لأنـه أشرف على تشييـد أول معبد لليهـود في أرض فلسطين. وسـدّة المعلّم أو رئيس المحفل يقوم أمـامها عمـودان يحمل أحدهما الحرف (ي) من اسم يـاكين، أحد أبطال اليهـود في قديم الزمـان، والثاني الحرف (ب) من اسم بُـوعَز، وهو رئيس عشيرة من بلاد موآب (الأردن) صـاهر اليهود بالزواج من «رُوث» رمـزا لما تزعمه الجماعة من العالميـة! وفوق هذا العرش نجمة خماسيّة لا سـداسيّة يرمزون بها إلى الخطـوات الخمسة في علم السيميـاء (أي تحويل المعادن الخسيسـة إلى ذهب، علم الصَنْعَة كما سماه العرب قديما).** ثم تأتي الرموز الهندسية: الفرجار والمثلث



والمسطرة، ثم الحجر المكعب إشارة إلى العناصر الأربعة: الماء والتراب والهواء والنار. وفي قلب النجمة الخماسية حرف يختلف من محفل إلى محفل يرمزون به إلى الله أو إلى المعرفة أو المسيح، كما زعم بعضهم أن النجمة الخماسية ترمز إلى العدد المقدس في رياضيات فيثاغورس! ويحيط بكل هذه الرموز إطار على شكل حبل متين، فيه عُقد لا يسهل فكّها، تشير إلى روابط التكافل بين الأعضاء، ويضعون على البساط المحدود عند سُدّة المعلّم صورة «قبر حيرام» (حِرام) ملك مدينة صور في لبنان قديما، وكان شريكا لسليمان ومتعاونا معه في بناء الهيكل. وعند الماسونيين غرام شديد بالرموز لأنها جمعية سرية كما قلت، وبها من الرموز أضعاف ما ذكرت، فقد اقتصرت على الأساسيّ منها دون الفرعيّ والتفصيليّ. ولهم رموزهم بالإشارة إذا أراد أحدهم أن يتأكد أن الآخر من الجماعة أم لا. إشارات بالرأس، وغمزات باليد عند المصافحة، تُحدّد إذا كان العضو من المريدين أو الرفاق أو رئيساً لمحفل.

نماذج وأمثلة

ولما كان اليهود على مدى ألفين وخمسمائة سنة ــ أي منذ السبي البابلي ثم التشريد اليوناني والروماني ــ موضع كراهية وريبة من كثير من أمم الأرض، فقد أتقنوا كل فنون التعمية والتخفي التي كانوا ــ وما يزالون ــ يصطلون بنارها إلى الآن، فظهر فيهم منذ محاكم التفتيش في أسبانيا والبرتغال اليهود «المارانوس» وهم الذين يبنون معابدهم على شكل الكنائس المسيحية الكاثوليكية بكل شاراتها ورموزها من الخارج، وفي داخلها معبد يهودي حقيقي، ومع الزمن أصبحوا فرقة منشقة على سائر اليهود، حريصة على تقاليدها. **وكذلك اليهود «الدونحة» في تركيا الذين يحاكون المساجد الإسلامية من الظاهر، وباطن المعبد يهودي قحّ، وقد لعبوا أدوارا هامة في السياسة التركية منذ ظهور زعيمهم (شباتاي صبي) عام ١٦٦٦ وحتى القرن العشرين،** وبعد موته تبنّى مذهبه اليهودي البولندي **يعقوب فرانك** فظهرت «الفرانكية» في أوروبا، ظاهرها مسيحي وباطنها يهودي، وبقي كل فريق على مبدئه لا يتنازل عنه.

وفي عالم الرموز تطالعنا **الرموز الخفية المستغلقة، أي الطلاسم.** وكانت قديما أكثر انتشارا منها الآن، لرواج الخرافات بين البشر قبل انتشار العلم والثقافة ومعرفة القراءة والكتابة. أذكر أنني رأيت في مدينة القاهرة ـ في حيّ من أقدم أحيائها وأشهرها فقرا وزحاما ـ امرأة قد علقت مكنسة بخيط، تتدلى عند باب دارها، تخرج كل صباح فتهز هذه المكنسة ثم تعود إلى دارها، وحيّرني هذا الأمر وأنا طالب في المدرسة الثانوية، ورحت أسأل عنه من أعرف من الناس، فلا أظفر بجواب، وأخيرا سألت بعض قراء القرآن على الموتى، فسألني: أين تسكن تلك المرأة؟ ولما أخبرته صاح يلعنها هي وزوجها، وأخبرني أنهما يحترفان تجهيز الموتى لدفنهم، وأنها تهز المكنسة حتى «تكنس» الناس بالموت أو الوباء فيزيد ربحهما. وعلى الرغم من ادّعائي (العقلانية) فقد اعتراني قلق شديد وتشاؤم تركت لأجله السكنى في هذا الحيّ! وعلى ذكر المكنسة، فقد كانت عندنا خادم عجوز يزعجها الزائرون إذا بقوا إلى ساعة متأخرة من الليل، لأنها تريد أن تنام، ولا تستطيع ذلك حتى ينصرف كل الزوّار. فكنت أراها تُحْضر المكنسة وتغرس فيها إبرة، وأخبرتني أن هذا العمل السحري يخرج الغرباء من



البيت حتما. وبالملاحظة الدقيقة تأكدت من أن ذلك من باب الخرافات، وأن كل المكانس والإبر والمسلاّت والدبابيس لا تستطيع تخليص البيت من ضيف ثقيل.

الرموز في الأحلام

وتأتي أخيرا **الرموز المختلفة التفاسير،** وهي الأحلام التي نراها في النوم، والتي وقف منها الإنسان حائرا منذ عرف النوم أجفانه، فهو يرى وعيناه مغمضتان، ويتحرك وهو راقد في فراشه، ويتكلم مع غيره وليس أحد غيره، وقد يتكلم بصوت مرتفع يسمع من حوله من الساهرين. ما السر في هذا؟ وما هي دلالته؟ وقصص هذه الأحلام تملأ الملاحم القديمة، والأساطير الآتية من طفولة الزمن. ففي قصة «جلجاميش» البابلية يرى هذا البطل ــ هو وصاحبه «انكيدو» ـ طرفا من هذه الأحلام، ويرى ذلك «زارادشت» أبو المجوسية الإيرانية، ويرى كثير من ملوك العصور القديمة أحلاماً مشهورة، مثل فرعون مع يوسف عليه السلام، ودارا إمبراطور الفرس، وكثير من الأنبياء (منهم يعقوب عليه السلام)، ثم بختنصر الكلداني، والإسكندر الأكبر وأمّه، وأمّ يوليوس قيصر الروماني، وبوذا الهندي وغيرهم. مما حفز بعض القدامى من المفكرين إلى محاولة قراءة هذه الرموز العجيبة، وتأويلها. منهم هوميروس اليوناني صاحب الإلياذة والأوديسة، الذي قسّم موضوعه إلى قسمين: أحلام، تأتي إلى النائم من باب مصنوع من القَرْن، وأضغاث أحلام ـ أي لا تفسير لها ـ تأتي من باب مصنوع من العاج! وألّف أرسطو الفيلسوف اليوناني رسالة موجزة في العرافة بالأحلام، ثم جاء اليوناني أرتميد وروس في أيام الرومان فكتب كتابا كبيراً في تفسير الأحلام، أصبح العمدة في هذا الفن في الشرق والغرب، وورد ذكره عند الكثير من المؤلفين مثل الشيخ **عبد الغني النابلسي** صاحب **تعطير الأنام في تعبير المنام**، والعلاّمة **محمد بن شاهين** صاحب كتاب **الإشارات في علم العبارات**، والإمام محمد بن سيرين صاحب كتاب منتخب الكلام في تفسير **الأحلام**. وكل هذه المؤلّفات وغيرها يدور على قراءة مفهوم الرمز في الرؤيا الصحيحة التي لم يكن صاحبها مكتظا بالتخمة، أو متألما من البرد أو الحر أو المرض، أو مهموما قد أثقلته الكروب فضلاً عن أن يكون متأثرا بمُسْكر أو مخدر، كما يجب أن يكون معتقدا في إمكان صدق المنام. ومع ذلك فإن علماء النفس المحدثين لهم في ذلك مذاهب وخلافات وتفاسير لم يقل بها الأوائل، وفي مقدمة هؤلاء المحدثين **بونج و فرويد ولاكان** وأشياعهم. وهي عندهم لا تَعْدو أن تكون محاولات لقراءة رموز غامضة، في ضوء مفاهيم عصرهم الحاضر.

واشتهر ابن سيرين بصفاء ذهنه في فنّ رموز الأحلام، حتى روى عنه الرواة وقائع عجيبة، منها أنه جاءه رجل فقال: رأيت كأنّ في حجري صبيًّا يصيح. فقال: اتق الله ولا تضرب بالعود! ومنها أن رجلا قصّ عليه مناماً رأى نفسه فيه يشرب من كأس انكسر وهو على كفه، وبقي الماء في يده، فقال له ابن سيرين:

ألك امرأة؟ قال: نعم! قال فإنها تلد، فتموت ويبقى الولد على يدك! فكان ما قال. وجاءته امرأة فقالت: رأيت في المنام أسْكُفَّة بابي العليا وقعت على السفلى، ورأيت المصراعين قد سقطا فوقع أحدهما خارج البيت والآخر داخل البيت. فقال لها: ألك زوج وولد غائبان؟ فقالت: نعم؟ فقال: سقوط الأسكفّة العليا قدوم زوجك سريعاً، وأما وقوع المصراع خارجا فإن ابنك يتزوج امرأة غريبة. فلم تلبث إلا قليلا حتى قدم زوجها وابنها ومعه زوجة غريبة.

ويبدو لنا من هذه الأمثلة القصيرة، ومن كتب تأويل الأحلام ـ وهي معاجم حقيقية للرموز ـ **أن البحث الذكيّ عن القرائن والملابسات له دور في الوصول إلى تفسير لا أقول مؤكد، بل جائز على كل حال، والمران والخبرة وطول الممارسة خير عون على ذلك.**

ومن الرموز المغلقة تماما قراءة المخبّأ في أوراق اللعب، أو بتخطيط الرمل، أو ضرب المحار أو قراءة البقع التي على كبد الذبيحة، أو الاستفتاح بالكتب، المختلفة من نصوص دينية وأشعار، وكل هذه أنواع من الهوَس والقلق النفسي.

واشتهر الإيرانيون باستفتاح ديوان شاعرهم الكبير حافظ الشيرازي. وقد أسرّ إليّ أحد نقادهم المحققين بأن شعر حافظ الشيرازي لا ينطوي على بيت واحد في التشاؤم، فالفأل الحسن مضمون فيه لكل إنسان، بعكس **عمر الخيام** أو ـ خصوصا ـ الشاعر العربي **أبي العلاء المعري**.

عالم غريب

وبعد، فمنذ شعر الإنسان بالجهل أمام المستقبل وهو يحاول التسلل إليه بكل طريق؛ بِكُرَة البلّور، ومندل الزيت، وإناء الزئبق، ومرآة الفضة، والسلسلة النحاسية، وزجر الطير، والتنويم المغناطيسي، وحتى الحسابات الاحتمالية على الحاسب الكهربي، غير القراءة المتعمقة في النبوءات الواردة في رؤيا القديس يوحنّا عند المسيحيين، أو في قصيدة الجلجلوتية وأختها البَرْهِتِيّة بشروحهما، أو غير ذلك من منظومات السحر والعلوم الروحانية والفنون الشيطانية عند الغربيين، مثل كتابات **أجريبا دي نيتسهايم كورنيليوس** في القرن السادس عشر الميلادي، أو **كاليوسترو** في القرن الثامن عشر، أو **ليفي إليفاز** في القرن التاسع عشر، أو **نوسْتراداموس** قبله بثلاثة قرون (وهو أشهر الجميع)، وكثير غير هؤلاء.

وقد أردت بهذه الوقفة عند عالم الرموز أن أشعر القارئ بأنه عالم غريب يجذب الناس أكثر مما تجذبهم الحقائق الجافّة الصارمة، حتى في عالمنا المادّيّ المنهك.

الهامش

(*) سحرة السبت الأسود يتحدثون بهذا التيس الأسود كبش الفداء في إنقاذ الذبيح ابن إبراهيم عليهما السلام.

باب التوبة

شعر: أحمد محمود مبارك

طريقُ النورِ لم يحْجُبْهُ سد | وبابُ التَّوْبِ دوماً لا يُرَدُّ
فما بالُ الهوى يُقْصِيكَ عنهُ | ويدفعُ خطوكَ الغافي ويحدو
بهِ حيثُ الليالي جاثماتٌ | وحيثُ الأفْقُ غَيْمٌ مُسْتَبِدُّ
وحيث الحَصْدُ من حَقْلِ الخطايا | قَتَادٌ وابتلاءٌ لا يُحَدُّ
وتجأر بالشكايةِ يا صديقي | إذا ما جَرَّحَ الكفَّينِ حَصْدُ!
وتهفو للخلاصِ مِنَ الدَّياجي | وأنتَ لسطوةِ الدَّيْجُورِ عَبْدُ
جَنَيْتَ الهَمَّ من شجرِ المعاصي | فهل ترجو بأن يتلوه سَعْدُ
أَيُولَدُ من مخاض الوزْرِ بِشْرٌ | ويُرْجى من ضروع المُرِّ شُهْدُ
فما يُجْديكَ من أملٍ عَيِيٍّ | يكبِّلُ روحهُ بالوهْنِ قَيْدُ
إذا لم يدفَعِ الآمالَ عَزْمٌ | ويرفعها إلى العلياء جهْدُ
ستبقى في ظلامِ الوهم طيفًا | يُكبِّلُهُ القنوطُ ويَسْتَبِدُّ
وإن لم تَسْعَ مُلْتَمِسًا شعاعًا | فلن يمحو ظلامَ الرِّجْسِ وقْدُ

التعريب

بين الواقع والتطلعات

بقلم: د. عبدالستار عبدالحميد دهب

إننا نميل إلى استخدام كلمة «التعريب» بدلاً من «الترجمة»، رغم أن الأخيرة أكثر استخداماً. لأن كلمة التعريب أدق في تسمية الجهود التي قام بها أسلافنا، والتي نجد آثارها في تراثنا، إن أجدادنا عندما التقوا بحضارات شعوب أخرى وقفوا دارسين، ولم يقفوا ناقلين. والترجمة عملية نقل أياً كان منهجها، وأياً كان جهد القائم بها، أما التعريب فإنه يعني جهداً قد بذل لإضفاء المزاج العربي أو السمات العربية على العمل المنقول إلى لغتنا. والتعريب يختلف جداً عن الترجمة سواء أكانت حرفية أو جرت بتصرف فيها، وإذا كانت الترجمة الحرفية ربما تجيء أحياناً ممسوخة فإن التصرف في الترجمة قد يكون مخلاً، وقد يعجز الناقل عن إدراك المعنى المنقول بدقة فيلجأ إلى التصرف هرباً من المعاناة، وليس بذلاً للجهد.

أما التعريب فيعني الإضافة، ليس بالطبع زيادة المعنى، ولكن تحليل الجزء والكتاب أو المقالة وتقريبه من الذهن العربي، وإضفاء اللمسات التي تجعله سائغاً حتى يمكن الإفادة منه لينتقل ويتداول بين الناس.

ولقد أثبتت **المجامع اللغوية** منذ نشوء أول مجمع لها **بالقاهرة** يوم ٣١ شوال ١٣٠٩هـ الموافق (٨/ ٥/ ١٨٩٢م) أن اللغة الفصحى تستطيع عملياً أن تقوم بدور كبير في ميادين العلوم. وجعلت هذه المجامع مهمتها إيجاد مقابلات بالعربية لكل المصطلحات العلمية الحديثة، ثم أنشئت العديد من المجامع في **مصر وسورية والعراق والأردن والمغرب**، كما أصدرت **معاجم علمية** كثيرة منها: **«المعجم الجيولوجي» و«معجم الفيزياء النووية» و«معجم ألفاظ الحضارة» و«المعجم الجغرافي» و«المعجم الفلسفي» و«المعجم الوسيط»** والجزء الأول من **«المعجم الكبير»**. كذلك **أصدر اتحاد أطباء العرب معجماً للمصطلحات الطبية** عنوانه **«المعجم الطبي الموحد»**. وهناك **«معجم الطبيعة» ومعجم عام للمصطلحات في العلوم والفنون المختلفة صدر في اثني عشر مجلدا وشاركت في وضعه مصر وسورية والعراق والأردن والمغرب.**



أعضاء أول مجمع لغوي في مصر

إن الملاحظ في عمليات التعريب والترجمة التي تجرى اليوم في العالم العربي أنها قد تعجز غالباً عن تحقيق الكثير من الفائدة، فبعضها لا يعد تعريباً أو ترجمة ولكنه تشويه للكتاب الأصلي، واعتداء عليه. ولكي نقضي على هذه الظاهرة فإنه من الواجب وضع القواعد التنظيمية لعمليات الترجمة، وسن القوانين التي تمنع غير المتخصصين من القيام بها، ولا يسمح بترجمة المؤلفات العلمية إلاّ لعلماء متخصصين، كما تراجع هذه المؤلفات من قبل متخصص في اللغة بحيث نضمن دقة الترجمة وسلامتها، بالإضافة إلى العناية الخاصة بإعداد المترجمين، وتجميع جهود العاملين في التعريب بحيث يعمل الجميع بروح الفريق، ويحس كل منهم بأنه مكمل لأخيه، وأن غيره يتمم له ما قد يقصر فيه أو يعجز عنه.

فهل آن الأوان لنعيد للفصحى مكانتها بين اللغات، لنكون بذلك قد قطعنا شوطاً كبيراً في ميدان التحرر الفكري واللغوي لا يقل أهمية عن التحرر العسكري؟

وبهذا نكون قد بدأنا مرحلة جديدة من بناء حضارتنا وثقافتنا نصل بها حاضر هذه الأمة بماضيها، ونجعلها امتداداً لأعظم حضارة عرفتها الإنسانية على مر التاريخ.

التعريب ضرورة مرجوة

إن أفضل وسيلة لنجاح التعليم في بلدٍ ما تكمن في اتخاذ **اللغة الأم** أداة له، فاللغة بالنسبة لأي شعب ليست فقط أداة للتخاطب والتفاهم، بل هي تكون جزءاً من عقليته وفكره. ولذلك قيل **« إن اللغة هي الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان »**. فلا سبيل إذن للنهوض لأي شعب من الشعوب إلاّ إذا تمسك بلغته وجعلها أداة تعليم وثقافة.

إن الدعوة إلى تعريب العلوم في جميع المراحل الدراسية ليس سعياً لإثبات وجود الأمة العربية واستقلالها فقط، وإنما لأن التعريب هو السبيل الوحيد لقيام نهضة شاملة في جميع الميادين العلمية والثقافية. وإذا علمنا أن العديد من الشعوب التي تعج بلغات مختلفة يتمسكون بلغاتهم **كبلغاريا ورومانيا** وغيرهما فيدرسون العلوم جميعها بلغاتهم المحلية، بل إن **فيتنام** فرضت تعليم الطب في جامعاتها بلغتها وأصدرت الحكومة قراراً بذلك وتم تنفيذه رغم معارضة الأساتذة والطلبة، فليس بدعاً أن تظهر دعوات تنادي بتعريب العلوم في جامعاتنا، خصوصاً أن لغتنا العربية لها ماضٍ مجيد، كما أن الدراسات الحديثة تؤكد أنها مؤهلة لتواكب التطور العلمي الحديث بجميع فروعه وشعبه.

فالباحثون في تاريخ اللغة العربية يقررون أنه بمجيء **الإسلام** ونزول **القرآن الكريم** عاد للغة الفصحى صفاؤها ونقاؤها، ومع بداية انتشار الإسلام حمل معه العربية إلى البلاد المفتوحة فانتشرت بين أبناء هذه البلاد بشكل سريع لم تستطعه أي لغة أخرى. وفي ظرف وجيز حلّت الفصحى محل اللغات التي كانت سائدة قبل الإسلام كالآرامية والسريانية في الشام والعراق **والقبطية** في مصر **والفارسية** في فارس **والبربرية في** المغرب واستطاعت أن تنتشر في مناطق كبيرة من



الأستاذان حمد الجاسر، وعبد الله بن خميس وبجانبهما مندوب تونس والدكتور موسى أحمد والأستاذ محمد خلف الله أحمد في أحد مؤتمرات مجمع الخالدين.

العالم تمتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى روسيا شرقاً.

وعندما ظهرت حركة الترجمة ثم ازدهرت في عهد **المأمون** وجد المترجمون الفصحى وافية لهم بكل ما يحتاجون إليه من مصطلحات في **المنطق والفلسفة والطب والفلك والطبيعيات وغيرها من العلوم. وهكذا ترجموا الكثير من المؤلفات اليونانية والرومانية والفارسية دون أن يجدوا صعوبة تذكر،** كما حرص العرب في أزهى عصورهم على الاستفادة من التراث العلمي للأمم وللشعوب المجاورة لهم، وكذلك المناطق التي دخلوها في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، وازدهرت حركة التعريب والترجمة في **العصر العباسي**، ونقل العرب كثيراً من كتب الفرس واليونان في مختلف مجالات المعرفة إلى اللغة العربية.

ومنذ ذلك الحين صارت الفصحى لغة العلم والثقافة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، واستمرت كذلك ما يزيد على ألف سنة هي عمر الحضارة الإسلامية، ظهر خلالها علماء كثيرون أثْرَوْا الفكر الإنساني في جميع الميادين **كالرازي، وابن سينا، والخوارزمي، وابن حيّان، وابن رشد وغيرهم**، ولم يتبرم أحد منهم من الفصحى، ولا اتهمها بالعجز والقصور، بل كان يجد فيها اللغة الوافية له بكل ما يحتاج إليه.

وقد اعترف بهذا الدور الكبير الذي قامت به الفصحى في تاريخ العلم والمعرفة كثير من المستشرقين منهم الدكتور «فرنباج» الألماني الذي يقول: **«ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التاريخ بها لا يكاد يأتي عليهم العد، وإن اختلافنا عنهم في الزمن والسجايا والأخلاق قد أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبين ما وراءه إلاّ بصعوبة»**.

وحين بدأت أوروبا تستيقظ من سباتها لم يجد **أبناؤها أمامهم إلاّ الحضارة العربية الإسلامية فاضطروا لتعلم الفصحى حتى يفهموا علومها وينقلوها إلى لغتهم اللاتينية، وكثيراً ما أعجزتهم الترجمة لسعة الفصحى وضيق لغتهم فاضطروا أن ينقلوا مصطلحات كثيرة كما هي لا تزال باقية في لغاتهم إلى اليوم**.

إهمال الفصحى وتهميشها

وبعد عصر النهضة الإسلامية الشاملة مر العرب والمسلمون بحقبة من التخاذل بدأ فيها الضعف يتسرّب إلى الدول الإسلامية فتخلّت عن مكان الصدارة الذي كانت تحتله بين الأمم، وتراجعت بذلك حضارتها، إلاّ أن الفصحى بقيت في قلوب الناس لارتباطها بالقرآن الكريم. ودخل الاستعمار بلادنا وقد وضع في مخططه القضاء على ما تبقى من حضارتنا بعد أن سرق جلها، فحارب القرآن ولغته، وألغاها من التعليم، وأوهم النشء أنها لم تعد صالحة للعصر، وأنه لا سبيل للتقدم إلاّ

بتعلّم لغته والتعليم بها . وهكذا ترسّخت الفكرة في عقول الأجيال فاحتقروا الفصحى والمهتمين بها ونظروا إليها نظرة ازدراء وجفاء .

هكذا يتبين لنا أن فكرة إهمال الفصحى وتهميشها ليس نابعاً من كونها قد ضعفت يوماً ما عن مواكبة العلوم، ولكن لأن الاستعمار فرض علينا لغته فرضاً في وقت لم يكن لنا فيه حول ولا قوة، وإلاّ فإن لغة استمرت أداة للعلم والمعرفة ما يزيد على ألف سنة لهي جديرة بأن تكون لغة العلم الحديث لما تملكه من خصائص تمتاز بها من غيرها من اللغات العصرية .

خصائص اللغة العربية

● فاللغة العربية هي اللغة القومية لما يزيد على مائة وخمسين مليوناً من العرب، وهي اللغة الروحية لما يزيد على مليار من المسلمين، وهذه صفة لا تملكها أي لغة أخرى .

● **تحتوي اللغة العربية على أربعمائة ألف مادة، وكل مادة تتفرع إلى كلمات عديدة مما يجعلها تحتوي على مئات الآلاف من الكلمات،** في حين **نجد الفرنسية** لا تحتوي إلاّ على ٢٥٠٠٠ كلمة **والإنجليزية** على ١٠٠٠٠٠ كلمة فقط، وهذا يدل على أن اللغة العربية هي أغنى اللغات فيما يخص المفردات .

● اللغة العربية **لغة اشتقاقية** تقوم على أبواب الفعل الثلاثي، لذلك فإن خزائنها من المفردات يمكن أن تزداد دائماً، لأن الاشتقاق يسهل إيجاد صيغ جديدة من الجذور القديمة . تحمل كل الكلمات المشتقة من أصل ثلاثي معها المعنى الأصلي بخلاف غيرها من اللغات الاشتقاقية . فمشتقات «علم» : عالم، علم، أعلم، علّم، نجد مقابلاتها في الفرنسية كالتالي : Savant, Science, informer, enseigner وهذه كلمات بعيدة عن الأصل savoir .

● اللغة العربية سهلة كتابة وقراءة، فهي تقرأ كما تكتب، وتكتب كما تملى، إلاّ بعض القواعد القليلة، بخلاف اللغات الأخرى **كالإنجليزية والفرنسية والألمانية .**

هذه بعض خصائص الفصحى تدل على مدى سعتها وقبولها للتطور مع تطور الفكر الإنساني، وقدرتها على مواكبة العلوم من جديد بإيجاد مصطلحات علمية جديدة اعتماداً على هذه القواعد .

وعلى سبيل المثال فإن تعريب الطب أصبح ضرورة قومية تحتمها المصلحة العربية، فاللغة العربية هي أم اللغات وأصل كثير من اللغات خاصة المستخدمة في تدريس الطب حالياً، وهي ليست عاجزة عن استيعاب المصطلحات الطبية، بالإضافة إلى أن النهضة الأولى للطب بدأت على يد اللغة العربية وعلماء الطب العربي في العصور الإسلامية المزدهرة، مما يتطلب أن تجتهد كليات الطب بالجامعات العربية في تعريب الطب مرحلياً حتى نتمكن بعد ذلك من إعداد البرامج والأبحاث الجيدة في العلوم الطبية الحديثة باللغة العربية، خاصة أن دول أوروبا التي حقّقت تقدماً باهراً في هذا المجال ظلت فترة طويلة تدرّس الطب عن العرب وباللغة العربية إلى أن تمت ترجمته مرحلياً للغاتها الأصلية .

ونحن نرفض - كما رفض آخرون - الدعوى القائلة بعجز اللغة العربية لأن لديها من المصطلحات ما يكفي لمواجهة التعريب، حيث إن اللغة العربية لغة عالمية وغنية بكل المصطلحات والمعاني . كما أن عملية الترجمة نجحت في كثير من البلاد منها : **اليابان والصين وإيطاليا وأسبانيا، فهذه الدول يتم فيها تدريس الطب بلغاتها الوطنية وأصبح لديها أطباء كثيرون أكفاء . وكذلك بدأت سورية تدريس الطب باللغة العربية وحقّقت نجاحًا ملموسًا .**

وعن دور **المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية** فإنها تحاول جاهدة إتمام تعريب الطب، وتحرص على اهتمام جميع المؤتمرات التي تنظّمها في مختلف البلدان العربية بتعريب الطب والعلوم الطبية، كما تسعى لإقناع كليات الطب بالجامعات العربية للقيام بالتعريب .

مستقبل التعريب

إن المستقبل العلمي الإسلامي لا يتحقق إلاّ بالربط بين الإيمان والعصر، ولحسن الحظ فإن الإسلام لا يمنع التطور، ولا يكره التجديد، ولا يرفض المعاصرة، ولكنه يدفع إلى التقدم ويحقّقه، **ويمكن أن يكون التعريب طريقاً لمستقبل علمي إسلامي إذا استهدف الإلمام بالجديد والمبتكر في الحضارة العالمية، وفهم كيفية استخدام العلم في تطوير حياة الإنسان، وتخفيف أعباء الحياة،** وعندئذ يكون لا بد من العناية باللغة العربية والقرآن الكريم، ومحاولة فهمها فهماً علمياً، فلا يكون عالماً عربياً مسلماً من أجاد في فرعه وهو لا يعرف أساس لغته وتعاليم دينه . وإن العلم تخصص وتكامل، ولا بد للعلم من اللغة ليكون واضحاً، والعالم العربي أو العالم المسلم سيوجه نتائج أبحاثه آخر الأمر إلى بني قومه الذين يجب أن

أعضاء المجمع العلمي العربي السوري في أوائل تأسيسه





يفهمهم ويفهموه. كذلك فإنه لا بد من أن تقوم الدراسات التي تؤكِّد وتبرهن لغير المسلمين ولكل الذين لم يدركوا بعد ولم يعلموا أن الإسلام دين علم ولا يصادم بنصوصه أو روحه أو حضارته وتراثه العلم وقوانينه، وأن باب الاجتهاد مفتوح لمن يستطيعه ويقدر عليه، ويتمكن من أن يفيد الناس بعمله.

إننا يجب أن نهتم بالتعريب وليس بمجرد الترجمة، فنناقش الفكر العالمي عندما ننقله إلى العربية ونبدي فيه وجهة نظرنا، ولا نأخذه كمسلّمات، أو ننظر إليه نظرة العجز والقصور أو الانبهار.

تعريب المصطلحات

إن الشيء الوحيد الذي يجب أن يحظى بعناية خاصة هو **تعريب المصطلحات العلمية، وذلك** بتحديد العبارات أو الكلمات التي تعبر عن المفهوم العلمي لكل مصطلح علمي جديد بألفاظ يمكن كتابتها ونطقها باللغة العربية **ويجب ألا نفتعل مشكلات وهمية في هذا السبيل لا يراد من ورائها إلاّ تثبيط الهمم، ثم نقف أمامها مكتوفي الأيدي عاجزين. فليس من الضروري تعريب المصطلح العلمي بعبارات أو كلمات موجودة بحرفيتها أصلاً**

في اللغة العربية لأن هذا يعني جمود اللغة، ولم تكن اللغة العربية جامدة في أي وقت من الأوقات، وحظها من الألفاظ الدالة على المعاني المختلفة واسع لا يدانيه اتساع في أية لغة أخرى. ولقد استطاعت بذلك أن تستحدث نظائر لكثير من الكلمات الأعجمية في خلال تطورها المستمر، واتصالها بالحضارات القديمة، ولم نسمع مطلقاً أن علماء المسلمين الأوائل قد اصطدموا بعقبة اللغة عندما ترجموا علوم اليونان أو الرومان.

وتعليقاً على الجدل العقيم الذي يثار دائماً بمناسبة وبغير مناسبة حول موضوع تعريب المصطلحات العلمية نستطيع أن نقول هنا باختصار في هذا المجال إن المصطلح العلمي قد يكون مدلولاً لمعنى يتعلق بالأداء، وفي هذه الحالة يكون من الأفضل الترجمة إلى كلمات عربية سليمة كما حدث عند ترجمة ألفاظ للطائرة، والمحرِّك، والتيَّار، والمقاومة، والإجهاد، وطاقة الحركة، والتكامل والتفاضل، والقصور الذاتي... إلخ.

إننا في حاجة إلى تنظيم عملية الترجمة في كل الدول الإسلامية والعربية. **والأمل أن تكون هناك مراكز للترجمات التي تتم في هذه الدول يمكن الاتصال بها لتلافي تكرار الترجمة، وأن تصب بيانات هذه المراكز في مركز واحد بحيث يستشار هذا المركز قبل البدء في أي عملية ترجمة.**

مقترحات وتوصيات

ومما تقدم أرى أن السبيل لإثراء عملية التعريب والتأليف باللغة العربية يكون عن طريق:

(١) إحياء التراث العلمي، ونشر الكتب العلمية العربية القديمة.

(٢) إنشاء مؤسسات وجمعيات للعاملين في كل علم من العلوم في الوطن العربي الإسلامي تعمل على تقدم هذه العلوم، وعلى تأليف الكتب العلمية باللغة العربية، وتعريب ما يكتب باللغات الأخرى عنها.

(٣) توحيد الجهود وعدم بعثرتها، والتنسيق بين جميع الجامعات العربية والإسلامية حتى لا يعرّب كتاب في أكثر من جهة، وتشجيع أساتذة الجامعات والمتخصصين على تعريب الكتب الجامعية والعلمية وتأليفها، وإشراك أكبر عدد من العلماء المختصين في شتى العلوم، في المجامع اللغوية وهيئات التعريب.

(٤) تشجيع المجامع اللغوية وهيئات التعريب والمكتب الدائم للتعريب في الرباط ومكاتب الترجمة والنشر ومؤسساتها في البلاد العربية والإسلامية على وضع المصطلحات وإعداد النشرات والدوريات.

(٥) إنشاء مركز للتعريب والنشر والتوثيق يقوم عليه عدد من العلماء في العلوم المختلفة، ويقوم على تعريب أهم الكتب العلمية والدوريات والملخصات والبحوث، ويضم معهدا لتخريج المترجمين.

(٦) توجيه طلاب الدراسات العليا «الماجستير والدكتوراه» لإعداد أبحاثهم في المصطلحات والتعريب:

أ ـ بالعودة إلى كتب الأقدمين، واستنباط الألفاظ العلمية العربية منها.

ب ـ بوضع كلمات في كل الاختصاص لما استحدث من ألفاظ علمية.

(٧) تدريس العلوم الكونية والتطبيقية باللغة العربية في السنة الأولى الجامعية وفي سائر السنوات تباعاً.

(٨) وضع معاجم موحدة للمصطلحات العلمية في كافة مجالات العلوم وفروعها وبتقيد جميع العاملين في هذا المجال بالمصطلحات الصادرة في تلك المعاجم، والعمل على توفير أمهات المراجع باللغة العربية وكذلك الدوريات العلمية، وإصدار المجلات الخاصة بنشر مختصرات عربية لكل البحوث الأجنبية المهمة.

المراجع

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ـ زيغرد هونكة. ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي.

(٢) التعريب وأهميته والمصطلحات العلمية واللاتينية والعالمية وأسماء الأجانب الثابتة وكتابتها بالعربية ـ عبد الحميد إبراهيم. المؤتمر الثقافي والعربي الثامن القاهرة، ديسمبر ١٩٦٩م.

(٣) المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ـ مصطفى الشهابي. معهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية ١٩٥٥م.

(٤) تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله. اللسان العربي، المجلد الثامن، الجزء الأول، ١٩٧١م.

(٥) تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه. الطبعة الخامسة. دار المعارف، مصر، ١٩٧٣م.

عندما

حكم المسلمون أسبانيا

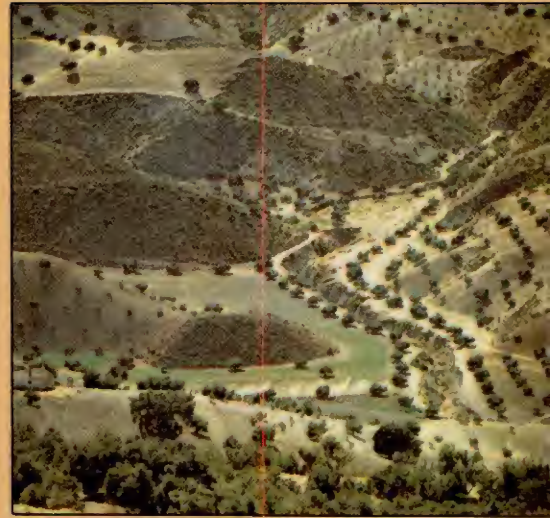
ثمانية قرون

إعداد: قسم الترجمة



عاش الفاتحون المسلمون في أسبانيا لمدة ٨٠٠ سنة وتركوا تراثهم الثقافي وراءهم مثل راحات الأيدي هذه التي تزين أحد الجدران

في القرن السابع الميلادي وفد العرب المسلمون من الشرق الأوسط إلى داخل شمال إفريقيا وعبروا مضيق جبل طارق ومنه بلغوا شبه جزيرة أيبيريا، وقد حكموا أسبانيا لمدة تزيد على ثمانية قرون، وتركوا إشاراتهم وعلاماتهم وآثارهم في كل مكان وصلوا إليه، وخلفوا وراءهم تراثاً ما زال حياً في أسبانيا، مما أدى إلى تغيير روح أسبانيا وقلبها للأبد.



عبدالرحمن الداخل أول من قام بزراعة الموالح في إسبانيا

الفاتحون المسلمون

كان النبي **محمد عليه الصلاة والسلام** قد لاقى مقاومـة عند نشر **الإسلام** بين قبائل **شبه الجزيرة** العربية، ولكن عند انتقاله إلى جوار ربه عام ٦٣٢م كان **الإسلام** قد انتشر في جميع أرجائهـا، وبعد هذا انتشر **الإسلام** في أنحـاء العـالم، فمن عـاصمـة المسلمين الجديدة في **دمشق** اتجهت الجيوش شرقاً إلى **الهند وآسيا الوسطى** وغرباً في اتجاه **النيل والشمال الأفريقي**، وبعـد مـرور قـرن على ظهـور الإسـلام ارتفعت أصـوات المآذن في مسـاجـد تنتشر في دول تمتـد من **المحيـط الأطلسي** إلى حـدود **الصين** في إمبراطورية يزيد اتساعها على **الإمبراطورية الرومانية** في أوج مجدها.

وقـد أطلق التـاريخ الغـربي على الفـاتحين المسلمين لأسبانيـا اسم Moors وتعني **المغاربة أو البربر أو العرب**، ومن المحتمل أن يكون سبب هذا أن الفاتحين وصلوا إلى **أسبانيا** عن طريق **المغرب**، ولكن الفاتحين أنفسهم لم يستخدموا هذا المصطلح فقد كانوا من **العرب المسلمين من دمشق والمدينة**، قادوا جيوشاً من بربر **شمال أفريقيا** الذين اعتنقوا الإسلام، وتزوج معظم الجنـود من عائلات **أسبانية أو قوطية جرمانية** وفـدت منـذ زمن إلى **البلقان** واستقرت في **أسبانيا**، أو اتخذوا من الجواري ذوات الحسن زوجات لهم، و من هذا الخليط في الأجناس سادت حضـارة الفاتحين المسلمين ــ كما نفضل أن نطلق عليهم ـ لمدة دامت ثمانية قـرون، الأمر الذي أدّى إلى تغيير قلب **أسبانيا وروحها** إلى الأبد.

جبل موسى في المغرب يرتفع خلف مضيق جبل طارق الذي يفصل طرف أسبانيا عن أفريقيا بحوالي تسعة أميال فقط.

فتح الأندلس

كان **طارق بن زياد** قد انطلق في ربيع ٧١١م في اتجاه الشمال من الجبل الذي عُرف بـاسمه فيما بعد ومعه اثنا عشر ألف مسلم إلى **ريو دي باربيت** في جنوب **كاديز** حيث تقـابل مع الجيـوش المتحـدة لملك أسبانيـا القوطي **رودريك**، وهنـا أطلق ابن زياد صرختـه المشهـورة مخاطبـاً جنـوده **«العدو من أمامكم والبحر من ورائكم فأين المفر؟»** ثم سحب سيفه وقال: **«لدينا اختيار واحد وهو الفوز»**.

وعنـدمـا دارت المعـركـة بين الجانبين أصيب **رودريك** بجـرح مميت لم يبرأ منه، ثم تقهقـر جيش الأسبان وأصبحت الغلبة **للمسلمين**.

وفي تتبع رحلة طـارق بن زياد في اتجاه الشمال نجده بعد انتصاره السريع في **باربيت** تحرك بسرعة وسهولـة وسقطت المدن الأسبـانية الـواحدة تلـو الأخرى في قبضته، وفي بعض الأحيان كانت المدن تستسلم على أيـدي سكانها الـذين عانـوا من ظلم **القوط** الجائر. وفي بدايـة ٧١٢ م وبعد سلسلـة من الانتصارات المتـلاحقة بلغ أتبـاعه أبواب عـاصمة ملوك القوط في **توليدو أو طليطلة** كما أطلق عليها **العرب**، وانتصروا على الجيوش المسيحية التي لجأت إلى المناطق شبه الجبلية في الشمال.

وقد ظلت **طليطلة** لمدة ٤٠ سنة بمثـابة الموقع الحصين للمسلمين، وحـالياً استعـادت مكانتهـا

كقلعة حدودية عندما أُنشئت فيها مدرسة عسكرية ضخمة.

مخطوطات وفنون عربية

في عام ١٠٨٥م نجح الفونس السادس في استعادة طليطلة، ورغم هذا ظلت للمدينة طبيعتها المتسامحة. واستمر هذا عدة قرون وخاصة عندما قام الملك الفونس السابع بإنشاء مدرسة للترجمة في القرن ١٣، وفيها كان العلماء المسلمون والمسيحيون يتعاونون في ترجمة المخطوطات العربية إلى اللغة اللاتينية، مثل «أعمال في الجبر والهندسة» للخوارزمي ومن اسمه جاء مصطلح «لوغاريتم» وتعني أس التضعيف للرقم بضربه في ٣، وكذلك «تعليقات على أرسطو» لابن رشد، وكتاب «القانون في الطب» لابن سينا الذي ظل بمثابة المرجع الطبي القياسي لأوروبا طوال خمسة قرون.

وقد ظلت طَوَالَ بمثابة العاصمة الدينية لأسبانيا فظل القساوسة يحكمون بصفتهم رجال الدين، وبالتالي شيدوا كثيراً من الكنائس، وحولوا كثيراً من المساجد إلى كنائس. وفي الوقت الحالي تم استرداد المساجد القديمة، وفتحت أبواب كثير من القصور الفاخرة لزيارات العامة كمتاحف تعرض تراث طليطلة الزاخر، وقد أعلنت المدينة كلها أثراً وطنياً.

وفي متحف طليطلة توجد آثار للمسلمين رغم أنها لم تستخدم أبداً لهذا الغرض، فقد كانت في الأصل قصراً بني في القرن ١٤ ويعد القصر مزيجاً





إبريق صغير من البرونز من المحتمل انه كان يُستخدم لحفظ زيت الزيتون - من آثار الفاطميين.

www.ahlaltareekh.com



سيف وغمد يخصان آخر الملوك المسلمين في الأندلس محمد أبو عبد الله

قلعة قصر الحمراء الرائع في القرن الرابع يعكس عشق الفاتحين للزينات الشرقية والتناظر الهندسي وهنا يبدو فناء الأسود وبه نوافير تمنح خيال واحة رطبة وهكذا أصبح ملجأ رمزيًا من قيظ الصحراء الذي هرب منه أجداد الفاتحين.

رائعـــاً من العمارة **القوطيـة والعربيـة**، فقاعـات الاستقبال والردهات المرتفعـة والأقواس والطاقات كلها صُنعت بطريقة yeso و هو فن تسيده العرب وفيه كانت تنحت الجدران الجصية بنماذج باهرة من الزهـور والأشكال الهنـدسية والخط العـربي. ومن المعروف أن هـذا الفن يتطلب الصبر والسرعـة عند تنفيـذه إذ إن النحت يتم نقشـه وتشبيكـه قبل أن يتصلب الجص ويجف.

ولا تزال الفنون العربية القديمة مزدهرة وخاصة الفن **الدمشقي**، وهو فـن تزيين المعـدن بترصيعه بـالذهب والفضـة والجواهـر، وكـذلك صناعـات الأرابيسك والرسـوم المتشابهة والمتناظـرة من الأزهار والخطوط والأشكال الهندسية.

جانب مظلم

على أن الجانب المظلـم من **طليطلة** يتمثل في معرض **هيرماندر** لأدوات التعذيب القديمة، ويقع داخل إحدى الكاتدرائيات ويضم أدواتٍ لتحطيم الجماجم، وأسياخاً حديدية تحمى على النار ويوسم بها الجلد، وآلات تعـذيب معلاة لخلع المفـاصل، وقـراصات لخلع الأظـافر، وعـذراء حديـدية كـان الشخص المعـذب يجبر على احتضانها وعنـد ذلك تخرج مسـامير حـادة من آلاف الثقـوب تخز لحمـه وتدميه في آلام رهيبة.

وكانـت هذه المعروضـات قد جُمعـت بناءً على طلب **مجلس الثقـافة** في المدينة للتـذكير بضحايـا التعذيب النفسي والبدني في أنحاء كثيرة من العالم، ويخيل للمرء أنه يلمح أشباح ضحايا التعذيب وهم يجوسـون في شـوارع المدينـة من الضحـايـا الأوائل للتعصب **الكاثوليكي** المتنامي. ففي عام ١٤٦٩م تزوج حاكم أورجون **فرديناند** بأميرة **كاستيل إيزابيلا** وكان هدف الـزواج توحيد **أسبانيا المسيحية** تحت

حكمهما، لذا اتفقا على توجيه الحروب المستعرة ضد المسلمين في الجنوب ولم يكتفيا بهذا بل أقاما محاكم التفتيش الدينية الأسبانية عام ١٤٨٠م. وقبل أن تنتهي بعد ثلاثة قرون من إنشائها عُذبَ آلاف المسلمين وقتلوا واقتيد ما يقرب من ثلاثة ملايين مسلم إلى المنفى بما فيهم رجال أعمال وفنانين وفلاحين وعلماء، وسرعان ما وجدت أسبانيا نفسها ضحية لأعمال تعذيبها.

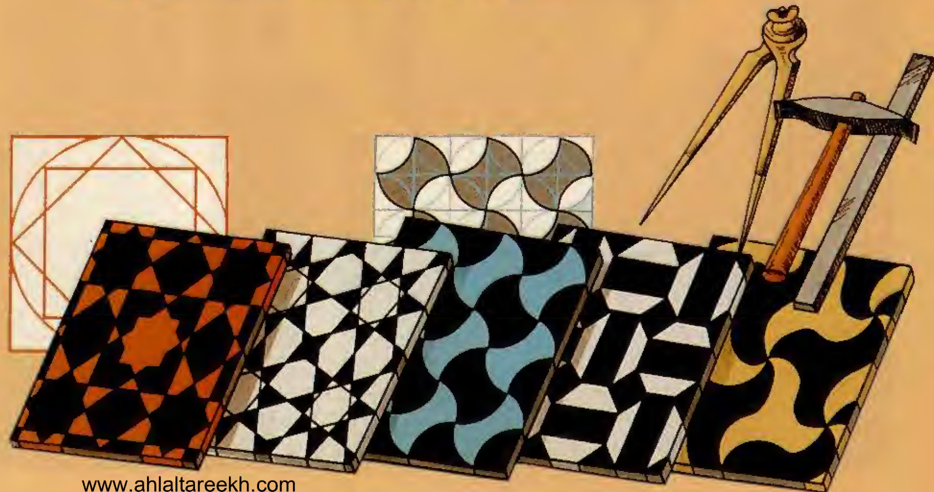
قرطبة الزاهرة

في أراضي الأندلس وعبر المدرجات الخضراء التي تنتشر بها أشجار الزيتون والكروم والحمضيات ضربت الحضارة الإسلامية بجذورها العميقة في الأراضي الأسبانية، وقد يكون هذا هو السبب في أن أجزاء أسبانيا التي تقع على ساحل البحر المتوسط تعد مرآة للمغرب وفيها يشعر العرب بأنهم في وطنهم وخاصة عرب الصحراء.

في عام ٧٥٦هـ أنشأ الأمير عبد الرحمن الأول عاصمة له في قرطبة على الضفاف الخصبة للوادي الخصيب في قلب الأندلس، بعد أن هرب من مذبحة قضت على أفراد أسرته في الشام، وفيما بعد ولمدة ١٥٠ سنة تحت حكم عبد الرحمن الثالث وخلفائه ازدهرت قرطبة وأصبح يعيش فيها نصف مليون نسمة وتضم ٢١ ضاحية و ٥٠٠ مسجد و٣٠٠ حمام عام و٧٠ مكتبة وأميالاً عديدة من الطرق المعبَّدة التي تنيرها المصابيح الملونة، وبهذا أصبحت قرطبة أكبر مدينة في أوروبا الغربية ووقفت على قدم المساواة مع بغداد كواحدة من مراكز الحضارة العظيمة في العالم.

ويعد هواء الصباح البارد هو أنسب وقت للتجول سيراً على الأقدام في أنحاء قرطبة، ويضم حي المسلمين في العصور الوسطى حارات ودروباً ملتوية ضيقة حتى إنه عند نشر منديل يد يمكن أن يصل إلى جانبي الحارة المتقابلين، وفي الحارات توجد تماثيل لأبناء قرطبة المشهورين مثل الفلاسفة العرب: ابن حزم وابن رشد، وتزين المنازل المنظمة البيضاء أصص من زهور القرنفل ونبات العنز، وفي كثير من أبواب المنازل الخشبية الضخمة نجد مقبضاً حديدياً ضخماً على شكل يد من خمسة أصابع يقول البعض أنها تمثل أركان الإسلام

باستخدام الفرجار ومقياس الاستقامة ومطرقة لقطع القرميد صنع الفنانون المسلمون أشكالا هندسية معقدة على القرميد.



الخمسة الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج.

وكما هو الحال في المدن الإسلامية تطل منازل **قرطبة** على العالم الخارجي بواسطة نوافذ صغيرة من الحديد مع وجود رواق واسع يضم شمل العائلة في الداخل، وحتى الآن تشتمل مساكن كثير من الأسبان على رواق تتوسطه نافورة وتحيط بها أصص النباتات الخضراء وأشجار البرتقال.

جامع قرطبة

يعد **جامع قرطبة** عروس المدينة وفي عام ١٩٨٦م احتفل بمرور ١٢٠٠ سنة على إنشائه، وكان **عبد الرحمن الأول** قد أرسى دعائمه، وبعد ذلك تمت توسعته وصقله ليصبح اليومَ خلاصة فن العمارة الإسلامية. في رواق المسجد حيث تزدهر أشجار البرتقال كانت توجد نوافير للماء الجاري ومنها كان المصلون يتوضؤون استعداداً للصلاة، وفي صحن المسجد الذي تبلغ مساحته ٦٠٠ × ٤٥٠ قدماً تمتد غابة من اليشب والمرمر في شكل ٨٥٠ عموداً مصنوعة من الحجر الصلد المتضمن بلورات حمراء وبيضاء، وترتفع فوق هذه الأعمدة تيجان مزينة بزخارف دقيقة ومتنوعة تعلوها أقواس مزدوجة على النمط العربي، كذلك كان للمسجد ١٩ مدخلا للأبواب في حين أن الأعمدة كانت تمتد إلى صفوف من أشجار البرتقال توجد في الفناء.

وفي المحراب وبين الأقواس المرمرية المتخذة شكل المروحة المتعرجة تبدو في الخلف فسيفساء رائعة صنعها عمالٌ من **القسطنطينية**، وفي الماضي كان حكام قرطبة يؤمون المصلين وقت الصلاة كما يبدو من إحدى الكتابات في المكان وفيها كتب «شكراً لك يا رب لأنك هديتنا إلى هذا المكان».

من بين أركان الجامع تبدو بصعوبة كاتدرائية قديمة وكان **الكاثوليك** بعد غزوهم للمدينة ولمدة ٣٠٠ سنة يقيمون شعائرهم بها وحدث أن أقنع أحد القساوسة الملك **تشارلز الرابع** بإنشاء كنيسة في قلب الجامع رغم أصوات الاحتجاج التي ارتفعت وقتها، وفيما بعد وعندما تفقد **الملك تشارلز** المكان أعرب عن خيبة أمله قائلاً «بإنشائكم شيئاً ما في مكان عام، دمرتم ما كان يعد في الماضي شيئا فريداً».

من صور التعصّب

وفي **قرطبة** تقوم عدد من الكنائس الصغيرة بتنظيم ما يسمى بالأسبوع المقدس وفيه يصطف آلاف من أهالي **قرطبة** في الشوارع الضيقة والشرفات الحديدية لمشاهدة المواكب، ويعكس التوقد الديني عندهم روح التعصب الذي دفع **مسيحيي العصور الوسطى** إلى طرد المسلمين من البلاد.

وعلى صوت قرع طبول يصل من بعيد، يظهر جمع غفير من ٢٠٠ شخص أو أكثر يتشبهون بالأشباح ويرتدون ملابس سابغة وأقنعة مدببة طويلة تغطي وجوههم ويحمل كثيرون شموعاً يتصاعد منها اللهب، بينما يرزح آخرون تحت ثقل صليب ضخم من خشب السنديان، وعندما يشتد قرع الطبول تظهر منصة على ضوء الشموع من أحد الأركان يحملها نحو ٣٠ شخصا وتحمل منظراً دينيا ما حيث تشترك ٥٠ كنيسة في هذا الاحتفال بتقديم منصات يحمل كل منها منظراً دينياً مختلفاً.



الجامع الكبير في قرطبة بني عام ٧٨٦م وقد ركبت بداخله كنيسة بعد الاستيلاء على المدينة وفي الصورة يرتدي بعض الأشخاص ملابس الأشباح في الاحتفال بالأسبوع القدس كما يطلق عليه.

وعندما تتوقف الطبول تنطلق إحدى السيدات في الغناء ثم يتبعها الآخرون.

الزهراء: القصر والمدينة

يُعَدُّ قصر الزهراء في **قرطبة** أكبر القصور في وقته، وقد شيده **عبد الرحمن الثالث** على بُعد خمسة أميال من شمال غربيّ المدينة عند أقدام **سيرا مورينا**، وقد استغرق بناء القصر ٢٥ سنة وانتهى العمل فيه عام ٩٦١م، وتحت حكم ابنه وخليفته **الحكم الثاني** تحول إلى ما يشبه مدينة صغيرة لها جدران مزدوجة يصل سُمك كل منها إلى ١٥ قدما وتحوط القصر لمسافة نصف ميل مكعب. ويذكر أحد التقديرات حول أفراد أسرة الحكم وقادته العسكريين ووزرائه ومترجميه وعماله وكاتبيه وأصحاب الحوانيت أن عددهم بلغ نحو ٢٠,٠٠٠ شخص بالإضافة إلى ١٢٠٠٠ من رجال الحرس و ٦٠٠٠ من الحريم.

وعندما وصل الأنثروبولوجيون إلى المكان عام١٩١٠ م كانوا يسيرون على الأطلال فلم يعد باقياً من القصر شيء ماعدا بعض أشجار الزيتون وعدداً من الأعمدة المتساقطة وتيجانها، وكانت المباني الحديثة قد زحفت على مقر إقامة **الخليفة** وكذلك على ٤٠٠ منزل ومسجد وسوق قديم وحدائق ومغاطس وحديقة حيوان، وبالجهد تَمَّتْ استعادة واحد من المباني وهو قاعة اجتماعات فخمة كان **الحكم الثاني** يستقبل فيها السفراء من الشرق والغرب.

على أن قصر أو مدينة **الزهراء** تقدم دروساً لا يمل التاريخ من تكرارها وهي مآل القوى العظمى إلى زوال، فبعد مرور ٥٠ سنة على تأسيسها سقط القصر الكبير وأعملت فيه يد السلب والنهب وسُوّي بالأرض. ثم تنازعت عدد من دويلات المدينة وذابت **الخلافة**، وتلا هذا تحول كثير من الأمراء المسلمين إلى زبائن عند الأمراء المسيحيين في الشمال وأصبحت الحدود الدينية في الغالب الأعم لاغية، فمثلاً الفارس المسيحي الشهير **«السيد»** (اشتق اسمه من الكلمة العربية **السيد**) كان يغير تحالفه تبعاً لرياح السياسة، فهو يحارب من أجل أمير **زراجوزا** ثم يساعد الملك المسيحي ولا يلبث أن يتسلط على المسلمين في **فالنسيا** وهلم جرا.



رسالة بحثية عن تربية الخيول محفوظة من مخطوطة تعود إلى القرن ١٤.



اسطرلاب من النحاس يعود إلى عام ١٠٦٧م استخدمه الفاتحون في دراسة الفلك والجغرافيا



ركاب حديدي كان يستعمله الفاتحون عند امتطاء ظهر الفرس، ما زال يستخدم حتى اليوم

إشبيلية وقصور الكزار

عندما سقطت طليطلة أرسل المسلمون في طلب جيش من البربر، وبالفعل قدموا من المغرب لوقف التقدم المسيحي ولكنهم استأثروا بالسلطة لأنفسهم وعملوا على توحيد أسبانيا الإسلامية مع شمال أفريقيا التي حكموها من عاصمتهم في مراكش، ثم انغمسوا في الترف تدريجياً. لذا بعد نصف قرن قدمت موجة أخرى من بربر الشمال الأفريقي لتقتلع بربر الموجة الأولى وتحل محلهم. وفي عام ١١٧٠م قام الحاكم البربري الجديد يعقوب ابن يوسف بنقل العاصمة إلى إشبيلية، ومن مئذنة السلطان يعقوب في إشبيلية يمكن التمتع بمشاهدة مناظر خلابة حتى الآن، وهذه المئذنة هي واحدة من ثلاثة أبراج متماثلة أمر ببنائها السلطان يعقوب ويوجد الآخران في الرباط ومراكش.

وعندما دمر المسيحيون مسجد يعقوب تركوا مئذنته كما هي ووضعوا في أعلاها دوارة للرياح برونزية ضخمة أو جيرالادا ويُعرف المكان حالياً باسم جيرالادا و تستخدم حالياً بمثابة منارة لأكبر كاتدرائية قوطية في أوروبا.

وإجمالاً يمكن القول إن إشبيلية هي «سرّ» أسبانيا، ولهذا السبب اختار بيزيت إشبيلية كمسرح لأحداث أوبرا كارمن الشهيرة، وفيها تنتشر قصور وحدائق الكزار وحلبات مصارعة الثيران ورقص الفلامنجو وعزف الجيتار.

وكان الملك المسيحي بيدرو القاسي أو غليظ القلب كما كان يُلقب، قد بنى داخل جدران الكزار المرتفعة قصراً له عام ١٣٥٠م حيث استلهم روح العمارة الإسلامية في غرناطة التي تعكس تصميماتها التداخلات الثقافية على مر الأزمان، ولذا نجد على جدران حجرة النوم الملكية شعارات النبالة تحمل ملامح أسد جامح قائم على رجليه ورافع يديه، بينما تزين جدران قلعة كاستيل ذات الأبراج كتابات عربية.

وتعد قصور وحدائق الكزار في إشبيلية نموذجاً رائعا للعمارة الإسلامية في أسبانيا حتى إنها تزيد عن كونها مجرد متحف، ويقول د. رفاييل مانزانو أمين متحف الكزار: إن هناك أسطورة شهيرة ترتبط بأشجار الخوخ الكثيرة في الكزار، ذلك أن الملك الرومانسي «المعتمد» في القرن ١١ والذي كان معروفاً أيضاً كشاعر تزوج من فاتنة من الشمال، ورغم سعادة الزوجة بوصفها ملكة لكنها كانت تشعر بالحنين إلى الثلوج المتساقطة في موطنها الشمالي، لذا أمر «المعتمد» بزراعة الكزار بأشجار الخوخ البرية، وفي كل ربيع منذ ذلك الوقت وحتى الآن تزدهر البراعم المتفتحة في لون الثلج الأبيض.

قلعة قصر الحمراء

في سيرا نيفادا حيث الثلوج الدائمة كانت تجري فصول مأساة المسلمين، فعندما سقطت قرطبة أمام هجوم المسيحيين عام ١٢٣٦م وتلتها إشبيلية بحوالي ١٢ سنة، تقلصت أراضي المسلمين وأصبحت لا تزيد على ٢٠٠ ميل عبارة عن قلعة طويلة ذات برج مضلع الشكل، تقع في جنوب شرقي البلاد وتمتد من جبل طارق إلى الألمارية. وفي هذه الأوقات كان سلاطين أسرة نصر الدين الحاكمة يحكمون من إحدى النقاط الحصينة في غرناطة، وفيما بين ١٢٤٨ و ١٣٥٤م أنشؤوا قلعتهم الشهيرة: قلعة قصر الحمراء على تل سبيكة، ويطل قصر الحمراء المبني من طين الفخار الأحمر (الاسم مشتق من الكلمة العربية الأحمر) على مكانين، الأول هو منحدرات حي البيكين أو الطرق الملتوية الخشنة للمسلمين، والثاني مدينة أكثر حداثة تمتاز بالضجيج والبهجة والترف وتمتد باتجاه شوارع تظللها الأشجار وتصل إلى سهل فيجا.

ويعد مكان إقامة السلطان نصر الدين في قصر الحمراء من أكثر الأماكن التي يتوجه إليها زائرو أسبانيا، خاصة أن بقاء مقر السكنى كل هذه القرون في حالة جيدة يعد أمراً أقرب إلى المعجزة، رغم أن هناك من استباح الإقامة فيه، فضلاً عن تآكل أجزاء منه بفعل الإهمال. وفي هذا المكان تتكلم الجدران إلى من يعرف العربية بالطبع، وفي الحدائق العليا يوجد بيتان من الشعر لهما قافية واحدة لأحد الشعراء يشكر فيهما الله لبلوغه هذا المكان الرائع.

أناشيد ونغمات عربية

ظهر كثير من الشعراء العرب في أسبانيا وخاصة أن العديد من حكامها مثل المعتمد وعبد الرحمن الأول كانوا من الشعراء. ولأن تعاليم الإسلام كانت تحرم صنع تماثيل منحوتة، لم يزدهر

تقويم الأحداث

٧١١م	قاد طارق بن زياد جيش البربر والعرب لفتح أسبانيا وسرعان ما استسلم له الجنوب الأسباني.
٧٣٢م	ألحق تشارلز مارتيل هزيمة بالعرب قرب بواتييه - فرنسا وبهذا أوقف تقدم العرب في أوروبا.
٧٧٨م	حاول الملك شارلمان غزو أسبانيا ولكنه لم يفلح.
٨٠٠م	قام البابا ليو الثالث بتتويج الملك شارلمان على أنه الإمبراطور الروماني المقدس في محاولة لتوحيد أوروبا المسيحية.
٩٠٠م	صعود نجم العرب في أسبانيا رغم استمرار المسيحيين في الاستيلاء على مدنهم وقد أصبحت قرطبة مركز الثقافة العربية.
٩٢٩م	كان عبد الرحمن الثالث أول من نال لقب خليفة في أسبانيا.
١٠٦٦م	اكتمل الغزو النورماني لإنجلترا بمعركة هاشيخ وقد أصبح وليم الفاتح ملكاً.
١٠٨٥م	سقوط طليطلة على يد الملك ألفونس السادس.
١٠٩٤م	استولى الفارس المسيحي المعروف باسم «السيد» على فالنسيا وقد استردها المسلمون بعد ثماني سنوات.
١٠٩٥م	بداية الحملة الصليبية الأولى.
١١٨٥م	استيلاء ألفونس الأول حاكم أورجون على المدينة الإسلامية في زراجوزا.
١١٧١م	استولى البربر - الموجة الثانية - على مرسيا ووحدوا أسبانيا الإسلامية والمغرب وجعلوا لهم عاصمتين في إشبيلية ومراكش.
١٢٣٦م	استولى المسيحيون على قرطبة.
١٢٤٨م	استولى المسيحيون على إشبيلية ودفعوا المسلمين إلى أقصى الجنوب، وفي نفس العام بدأ العمل في قصر الحمراء في غرناطة.
١٢٧٥م	غزا بربر من فاس أسبانيا وهزموا مسيحيي كاستيل.
١٣٤٠م	هزم المسيحيون البربر في سالادو في أسبانيا وهكذا جاءت نهاية تاريخ طويل من الفتح المغربي إلى نهايتها.
١٣٤٧م	اجتاح مرض الطاعون أوروبا وتسبب في مقتل عدد يقدّر بنحو ٢٥ مليون شخص.
١٤١٥م	أنشأ الأمير هنري الملاح مدرسة للملاحة في ساجيرس بالبرتغال.
١٤٥٣م	نهاية حرب المائة عام بين إنجلترا وفرنسا واختراع حروف المطبعة المتحركة على يد جوتنبرج في ألمانيا.
١٤٦٩م	زواج فرديناند حاكم أورجون بإيزابيلا أميرة كاستيل.
١٤٩٢م	دخول فرديناند وإيزابيلا قلعة قصر الحمراء في غرناطة محطمين آخر نقطة حصينة للمسلمين، وقد قاما بتمويل رحلة كريستوفر كولمبس إلى العالم الجديد بعد هذا بعام واحد.

ولا غالب إلا الله

كتابات بالخط المغربي تعلو الأقواس



أرابيسك على شكل كروم ونباتات متشابكة



كتابات بالخط الكوفي استخدمت في تزيين القصر





رسوم متداخلة استلهمها الفنانون من البيئة البدوية

الرسم أو النحت بين المسلمين. وبدلاً من ذلك وجهوا طاقاتهم الإبداعية إلى اللغة، ومع وجود ثروة لا تنضب من المفردات اللغوية بأصواتها الطنانة الضخمة والخط العربي الجميل كانت اللغة العربية صالحة للمزيد والمزيد من الإبداع الشعري، وقد ترجمت بعض الأشعار إلى الأسبانية ولكن الحاجة ما تزال قائمة إلى مزيد من الترجمة.

ومن المعروف أن الشعر العربي نُظم قبل كل شيء لترديده والتغني به، ويقول بعضهم إن أشكال القصائد العاطفية والغنائية وهي **الزجل والموشحات** استلهمت من القصائد الروائية المغنّاة والمعروفة باسم **الأراجيز** وأيضاً قصائد شعراء الغرام في جنوب فرنسا بين القرنين ١١، ١٢، ومازال أغاني **الفلامنجو العميقة** ذات الألحان البطيئة تتبع الطرق والأناشيد التي تعود إلى هذا الزمن الضائع، وفي **فاس وتطوان** لا تزال نفس الأشكال والنغمات موجودة، وقد وصلت إلى **المغرب** مع ما تبقى من **مسلمي أسبانيا** الذين بَقُوا في البلاد خلال قرون محاكم التفتيش الرهيبة.

آثار المسلمين في جبل طارق

لا تقتصر آثار المسلمين الفاتحين على أسبانيا، ولكن في مستعمرة جبل طارق يوجد الكثير من آثارهم، منها قلعة أنشأها خلفاء **طارق بن زياد**، وإن كانت المتاجر والمخازن والشوارع المزدحمة بالمرور وأحواض بناء السفن قد زحفت على الآثار، كل الآثار تقريباً، ما عدا شيئاً واحداً هو اسم المضيق نفسه الذي تسمى باسم الفاتح الكبير **طارق بن زياد**.

في الطريق إلى القلعة تبدو بقايا الفاتحين في شكل بوابات عربية وحمامات ذات قباب وحارات ضيقة، وعن طريق درج حجري منحدر نصل إلى فناء القلعة الذي يوجد به مجمع مبانٍ من المساكن المرتفعة الحديثة بجانب برج القلعة الذي يبلغ ارتفاعه ٥٠ قدماً ويشرف على البلدة ومينائها.

وكان الملك المغربي **أبو الحسن** قد أعاد صقل البرج واستكمل بناءه عام ١٣٣٣م، وواجه البرج ١٤ محاولة لحصاره، وفي مرات عديدة كان المدافعون عنه يواجهون الجوع والظمأ رغم هذا لم يتمكن أي جيش من الاستيلاء عليه بالقوة.

وهناك أجزاء من القلعة ما تزال تستخدم حتى الآن، فالجدران العالية بجوار البرج تستخدم حتى اليوم كسجن وقد طُليت الزنزانات حديثاً ويوجد بالقلعة ما يبدو أنه أصغر ملعب كرة قدم مضغوط في فناء السجن، وبالهبوط عدة درجات إلى أسفل نجد صفاً من الزنزانات المطمورة تحت الأرض وكانت تُستخدم للحجز الانفرادي حتى مطلع هذا القرن. وتطالب السلطات ببناء سجن جديد ولكن المساحة لا تسمح بهذا، ففي المستعمرة يعيش ٢٩,٠٠٠ شخص في مساحة من الشواطئ والهضاب لا تزيد على ٢٥ ميلاً مربعاً.

وكانت إدارة المستعمرة قد انتقلت من **أسبانيا إلى إنجلترا** عام ١٧١٣ م. وعن مزاعم **أسبانيا** في المستعمرة يقول **جون سيريل** رئيس تحرير مجلة **جبل طارق**: «إن **الإمبراطورية البريطانية** تعتبر الآن تاريخاً. وفي عصر الصواريخ قلّت أهمية **جبل طارق** الاستراتيجية، وقد يكون من دواعي سرور

بريطانيا أن تتخلى عن الجبل لأسبانيا ، ونحن الأهالي ترتبط ثقافتنا بكل من الأسبان والإنجليز ولكننا نفضل البقاء تحت العلم البريطاني» .

آخر معقل للفاتحين

البوجرس كان آخر معقل للفاتحين المسلمين وبالتحديد في منتصف الطريق إلى السفح الجنوبي لمال حسن أعلى قمة في أسبانيا، ومازال كثير من البلاد يحمل أسماء إسلامية مثل ماكينة الفخار وبيناء وجبل مال حسن والبوجرس نفسها .

وكان زواج فرديناند وإيزابيلا قد رسم قدر السلاطين في قرطبة إذ عمدت أسبانيا الكاثوليكية المتحدة أخيراً إلى دفع المسلمين من بلد إلى آخر . وفي عام ١٤٩٢ وهو نفس العام الذي قام فيه كريستوف كولمبس برحلته التاريخية إلى العالم الجديد، توجه الإثنان إلى قرطبة ليرغما آخر حاكم مسلم على التخلي عن حكم البلاد وهو محمد أبو عبد الله أو (بوعبدل) كما كان يطلق عليه الأسبان .

وفي الطريق إلى البوجرس وفي مكان يُعرف باسم سيسبيرو ديل مورو أو «تنهيدة العربيّ» يقال إن محمداً أبا عبد الله وقف في هذا المكان لينظر خلفه ويذرف الدمع مدراراً على المملكة التي ضاعت منه . وكما يقول التراث قامت أمه عائشة بتوبيخه قائلة «ابكِ مثل النساء ملكًا مضاعًا لم تحافظ عليه مثل الرجال» وبعد هذا ولمدّة قرن احتفظ المسلمون بجبال البوجرس وأغاروا على أراضي المسيحيين المنخفضة حتى اقتيد آخرهم إلى المنفى عام ١٦٠٩م .

التأثير العربي

في الوقت الحالي يتواصل تأثير العرب على البلاد، ففي ماربيلا يوجد حشد كبير من العرب المسلمين وفي جنباتها يعلو صوت الأذان مردداً «الله أكبر» خمس مرات في اليوم .

وفي جميع أنحاء ماربيلا وبلدة بيرتوبانوس القريبة توجد إشارات عديدة في كتابات عربية تبين الطريق إلى مطاعم لبنانية وأطباء عرب وبنك سعودي وحتى مقبرة للمسلمين، كذلك يوجد مسجد جامع أُطلق عليه اسم الملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية وباني نهضتها الحديثة .

وهكذا تبقى الحقيقة قائمة وواضحة وهي أنّه بدخول المسلمين إلى أسبانيا أصبح في البلاد ديانتان وثقافتان وقارتان، وبينما كان الملوك والسلاطين يتقاتلون بضراوة من أجل أسبانيا كانت الحياة العادية تزدهر على أيدي العرب والقوطيين والقشتاليين والبربر، فقد كان الجميع يعملون معاً في دفع الحضارة الوضاءة التي ساعدت أوروبا على الخروج من دياجير العصور الوسطى .

ومن الممكن أن يكون الفاتحون قد غابوا في أعماق التاريخ مخلفين وراءهم أحلامهم المبعثرة، ولكن المؤكد أن أسبانيا والغرب واقعون للأبد أسرى لِدَيْن الفاتحين عليهم .

هذا الموضوع سبق نشره في مجلة National Geographic عدد يوليو ١٩٨٨م .

مواجع الناس

شعر: عبد الرحيم الماسخ

مَواجِعُ النّاسِ تُبكِيْنِيْ.. وتُقْعِدُنِيْ ۝ عَنْ بُرْئِها.. صَرْصَرٌ تَجْرِي عَلَى سُفُنِيْ

تَدُوْرُ بِيْ في خلاءِ الحُبِّ صاعِدةً ۝ بَيْنَ الوجُوهِ الّتِيْ هامَتْ مَعَ الزّمَنِ

تَزُفُّ لِيْ مِن عُيُوْنِ الصَّبْرِ ما عَلِمتْ ۝ شَوْقِيْ لأيّامِها في السّعْدِ والحَزَنِ

بَراءةً لِفُتاتِ الطَّمْي إذْ رُوِيَتْ ۝ دَماً ودَمْعاً لِتَنْضُو ساجِيَ الكَفَنِ

بَراءةً لِشُواظِ الشّمْسِ ما عَبَرَتْ ۝ «مايو» ولَفْتُ أجِيْرَ الحَظِّ بالمِحَنِ

بَراءةً لِصَدَى فَلاّحَةٍ مَرِضَتْ ۝ بِهَمِّ أيْتامِها بَحْثاً عَنِ السَّكَنِ

بَراءةً لِفَقِيْرٍ واقِفٍ أبَداً ۝ عَبْرَ الطّوابِيْرِ يَرْجُو حَظْوةً لِغَنِيْ

أدُوْرُ يَوْمِيْ وأقْضِي اللّيْلَ مُنْتَبِهاً ۝ يَهْوِي بِيَ اليأسُ والآمالُ تُصْعِدُ فِيْ

هل سبق لك أن تخيلت حال النظام الشمسي بكواكبه وأقماره لو أنّ الشمس ماتت أو انطفأت؟ لا بد أنه سيكون موطنا لظلام دامس، لا تعكر حلكته إلا خيوط دقيقة من إشعاعات ضوئية خافتة آتية من النجوم البعيدة. وهل سبق لك أن فكرت في الآلية التي تصنع وفقها الشمس طاقتها وضوءها؟ وفي الكيفية التي تشعّ بموجبها هذه الطاقة من جوف الشمس إلى سطحها وإلى الفضاء؟

الشمس

أقرب نافذة إلى الأرض

إعداد: عدنان عضيمة

إن دراسة الشمس والظواهر الشمسية لا ترمي إلى مجرد الإجابة عن جملة من الأسئلة المحيّرة التي تراود أذهان الفلاسفة والعلماء بقدر ما ترمي إلى تفهم خصائص النجوم كافة. فالشمس، وبالرغم من أهميتها الحيوية بالنسبة لنا، ينبغي أن ننظر إليها أيضا كنموذج خاص تسمح دراسته بتوسيع مداركنا حول الظواهر التي تحصل باستمرار في كافة النجوم الأخرى.

وكان الفلكي البولندي **نيكولاوس كوبرنيكوس (١٤٧٣ ــ ١٥٤٣م) أول من وضع نظاماً فلكياً بافتراض أن الشمس ــ وليست الأرض ــ هي مركز النظام الشمسي مخالفا بذلك آراء من سبقه من الفلاسفة ورجال الكنيسة التي كان أحد أعضاء (أوكليروسها)**. وكان الفلاسفة اليونانيون قد وضعوا نماذج كونية مختلفة تهدف إلى تصوّر وضعية الكون وترتيب نجومه وكواكبه. أحد هذه النماذج يفترض أن الكون يتألف من **(نار مركزية) central fire** يدور حولها الكوكب الأول الذي أطلقوا عليه اسم **(مضاد الأرض) Counter Earth** تليه الأرض والقمر والشمس وكوكب آخر. ويفترض نموذج آخر وضعه الفلكي الإسكندري **بطليموس Ptolemy** في القرن الثاني قبل الميلاد أن الكون يتألف من أرض مركزية يدور حولها القمر ويليها عطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشتري وزحل بالإضافة لمجموعة نجوم ثابتة.

واليوم، نعرف من خلال البحوث الفلكية أن **الشمس هي مركز النظام الشمسي**، وأنها ليست إلا واحدة من ملايين النجوم التي تنتمي إلى مجرة الدرب اللّبني Milky Way Galaxy.



صورة للشمس، التقطت بواسطة (تليسكوب أشعة اكس) المحمول على المركبة الفضائية (سكايلاب).

ومجرّة الدرب اللبني ليست إلاّ واحدة من ألوف المجرات التي يتشكل منها الكون. ولا بد من الإشارة أيضا إلى أن الشمس نجم يحمل خصائص متوسطة من حيث الحجم والكتلة والحرارة السطحية قياسا إلى النجوم الأخرى.

كيف تنتج الشمس طاقتها؟

تعد الشمس اليوم أقرب نافذة إلى الأرض يمكن من خلالها مراقبة ورصد التفاعلات المدهشة والمعقدة والمتبادلة بين المادة والطاقة التي تسود كافة النجوم الحيّة الأخرى في الكون. وليس من الضروري أن تكون عالما فلكيا حتى تلاحظ من خلال المناظير الفلكية المتطوّرة الظواهر الجميلة والمحيّرة التي تحدث على سطح الشمس عندما تندفع أعمدة الغازات الحارة من سطح الشمس لتتوغل ضمن حقلها المغناطيسي وهي تشعّ الطاقة الهائلة إلى الفضاء ثم تعود من حيث أتت. ولقد وجد أن مصدر كل هذه الطاقة يقع في مركز الشمس.

ولقد وجد علماء الأرض والحياة خلال القرن التاسع عشر الميلادي دلائل دامغة تشير إلى أن الأرض قد اتخذت شكلها الراهن التقريبي منذ مئات الملايين من السنين. وترتبت على هذه الحقيقة مشكلات حيّرت الفيزيائيين وعلماء الفلك حين بدا من المستحيل تفسير الكيفية التي جعلت الشمس مضيئة خلال هذه الفترة كلها وهي تشع كميات هائلة من طاقتها إلى الفضاء. فلو كانت الشمس مؤلفة من مادة قابلة للاحتراق الكيميائي العادي كالفحم مثلا فسوف تشتعل لمدة ٣٠٠٠ سنة فقط.

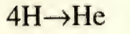
وفي عام ١٩٠٥ قدم **ألبرت آينشتاين** نظرية النسبية الخاصة التي انطوت على بعض الأمل في تفسير هذا السرّ. وكانت إحدى أهم الحقائق التي كشفتها هذه النظرية هي تلك التي تشير إلى أن المادة والطاقة تمثلان مظهرين مختلفين لشيء واحد ويمكن أن يتحولا إلى بعضهما وفق المعادلة:

ط = ك سر٢

وبمعنى آخر، يمكن للكتلة (ك) أن تتحول إلى كمية من الطاقة قيمتها (ك سر٢) ـ **حيث تمثل ك كتلة المادة المتحولة** و(سر) سرعة الضوء في الفراغ البالغة ٣٠٠٠٠٠كم/ ثا ــ إذا توفرت الشروط المناسبة لحدوث هذا التحوّل. ونظرا لكون (سر) مقدار كبير و (سر٢) مقدار هائل فإن من السهل علينا أن نستنتج من هذه المعادلة بأن كمية قليلة من المادة يمكن أن تتحول إلى كمية هائلة من الطاقة.

وكـان من الطبيعي أن ينظـر الفلكيـون إلى اكتشاف **آينشتاين** هذا وكأنه المفتاح الوحيد لتفسير مصدر الطـاقة الهائلة التي تشعهـا الشمس . ومنذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين انصرف رهط كبير من العلماء إلى البحث عـن الآليـة الحقيقيـة والدقيقـة لتحوّل المادة إلى طـاقة . وخـلال سنوات العشرينيـات من القـرن العشرين أظهــر الفلكي البريطاني **آرثر ادينغتون Arthur Eddington** بأن درجة الحرارة في مركـز الشمس لا بد أن تكون أعلى بكثير مما كان يعتقد . وعند مثل هذه الدرجة العالية للحـرارة يمكن لنـوى الهيـدروجين أن تنـدمج مع بعضها لإنتاج نوى الهليوم وفق تفاعل يحوّل كميات تافهـة من الكتلة إلى كميـة كبيرة جدا من الطـاقة . ونظـرا لكون النـوى تندمج تحت درجـات حراريـة عالية فقد أطلق على هـذه العملية اسم (الاندماح النووي الحراري) thermonuclear fusion

تتألف نـواة ذرّة الهيـدروجين (H) من بـروتون وحيـد بينما تتألف نـواة ذرّة الهليـوم (He) مـن بـروتونين ونيـوترونين . وخـلال تفـاعل الاندمـاج النـووي تتحـول نـواتـا هيـدروجين إلى نيـوترونين فيندمجان مع نـواتيْ هيدروجين أخريين لإنتـاج نواة واحـدة من الهليـوم وفق التفـاعل النـووي التـالي :



$4H \rightarrow He$

وخـلال هذا التفـاعل تنتج بعض الطاقـة لأن المتفاعلات (أربع نوى هيدروجين) ذات كتلة تقل قليـلا عن كتلـة النـواتج (نـواة الهليـوم) . وتحسب الكتلة المفقودة خلال التفاعل على النحو التالي :

كتلة ٤ نوى هيدروجين = ٦,٦٩٣×$١٠^{-٢٤}$غ

-كتلة نواة واحدة من الهليوم = ٦,٦٤٥×$١٠^{-٢٤}$غ

الكتلة المفقودة = ٠,٠٤٨×$١٠^{-٢٤}$غ

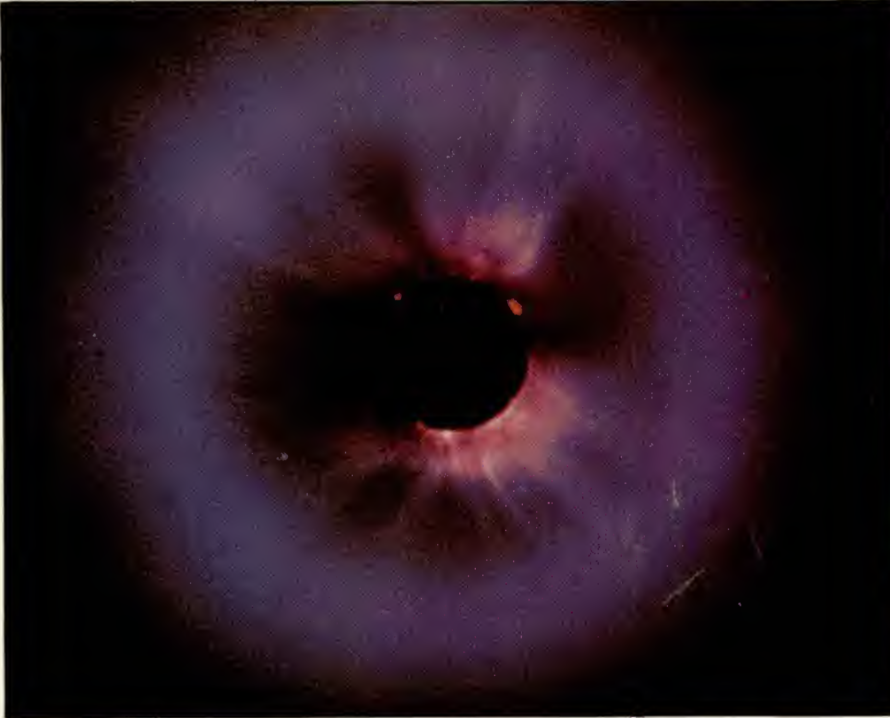
وهـذه الكتلـة المفقـودة تتحـول إلى كميـة من الطاقة تحسب من العلاقة ط = ك سر٢

إن الكتلة الكلّية للشمس تقدر بـ ٢×$١٠^{٣٣}$ غ (أو ٣٣٣٠٠٠× كتلـة الأرض)، وقــدرة التـوهـج الكليـة للشمس تـدعى (السطـوع) luminosity وتبلغ (٣,٩ × $١٠^{٢٦}$) واط . وحتى تنتج الشمس مثل هـذا السطــوع فإن من الضروري أن يتم تحوّل ٦٠٠ مليـون طن من الهيدروجين إلى هليـوم داخل الشمس كل ثـانيـة . وهذا المعـدل الهائل للتحـوّل ممكن التحقيق لأن الشمس تستأثر بكميات هائلة من الهيدروجين تكفيها للاستمـرار في إنتاج الطاقة وفق نفس المعــدل لخمسـة مليـارات أخــرى من السنين . وتجدر الإشارة إلى أن كافة النجوم في الكون تقوم بتفـاعلات انـدماج نـووي مماثلـة ، وبالتـالي يمكن القـول أن الانـدمـاج النـووي لنـوى ذرات الهيدروجين يعد المصدر الأساسي للطاقة في الكون بـرمته . وفي علم الفيـزياء الفلكيـة يطلق مصطلح (النجم المضيء) أو (النجم الحيّ) على كلّ نجم ما تـزال تحدث فيـه تفـاعلات الانـدمـاج النـووي، ويطلق على ما عداه من النجوم التي استهلكت كل وقـودهـا النــووي مصطلح (النجـوم الميتـة)dead stars ، وهي نجوم خبا ضـوؤها بعد أن استهلكت وقودها النووي خلال تـاريخها الطويل . ولا بد من الإشارة أيضا إلى ما يعتقده الفلكيون من أن النجوم الميتـة تشكل نسبـة كبيرة من أصل الكتلـة الكليـة للكون بـالرغم من صعـوبة رصدهـا والتعرف على مواقعها في السماء بعد أن فقدت سطـوعها وبريقها

النموذج النظري للشمس

بــالــرغم مـن أن الشمس تبعــد عن الأرض بمسافة **١٥٠ مليون كيلـومتر** تقريبـا فقد مكنت المناظير الفلكية المتخصصة بـرصدها من اكتشاف معظم الظواهـر الفيزيائيـة التي تحدث قريبـا منها وفوق سطحهـا وحتى في جوفهـا . ويشكل الشرح المفصل لمختلف هذه الظواهـر ما يدعى (النموذج النظـري للشمس) . ويهدف هـذا النمــوذج إلى مســاعـــدة الــدارسين والمهتمين للتعــرف على الخصائص الفيزيـائية الأساسية التي تميّـز كلا من جوف الشمس وسطحها من حيث الضغط والحرارة والكثافة وشدة الحقل المغناطيسي . ومما يسهّل وضع هـذا النمــوذج كـون الشمس نجم لا يعــاني من التغيّرات الفيزيـائية العميقـة . فالشمس ليست في حـالـة تضخّم ولا هي في حـالـة انكماش، كما أنها ليست في حالة من الارتفاع الحراري السريع ولا هي في حالة تبرّد . ولهذه الأسبـاب يقال إن الشمس في حالة توازن مزدوج ، ميكانيكي وحراري .

والتوازن الميكـانيكي عادة مـا يطلق عليه اسم التـوازن المائعي الثـابت وهـو يعني ببســاطـة أن الشمس نجم يمكنه أن يتحمل وزنه الذاتي . ذلك أن الجاذبية والوزن الهائل للطبقة الخارجية من مادة الشمس تحاول أن تضغط بــاقي الطبقـات نحــو الجوف ومن كل الجهـات . وأثنــاء قيـام الجاذبيـة بضغط الطبقـات نحو الـداخل فإن ضغط الغـاز



التقطت هذه الصورة الفريدة لهالة الشمس بواسطة كورونا غراف مزروع في مرصد أرضي في ولاية مونتانا الأمريكية خلال الكسوف الشمسي الكلي الذي حدث في ٢٦ فبراير ١٩٧٩م.

الموجود داخل الشمس يزداد. ويتحقق التوازن المائعي الثابت عندما يصبح ضغط أي طبقة من الطبقات الغازية للشمس كافياً لحمل وزن الطبقات التي تعلوها.

أما التوازن الحراري فيعني ببساطة أن الشمس في حالة من التكافؤ من حيث كمية الحرارة التي تنتجها من تفاعل الاندماج النووي وتلك التي تشعها إلى الفضاء بحيث تظل على سطوعها الثابت بالرغم من الكميات الهائلة من الطاقة التي تنفلت من سطحها كل ثانية. ونظرا لما أشار إليه النموذج النظري للشمس من أن التفاعلات النووية الحرارية لا تحدث إلا في جوف الشمس فإن من المفيد أن نتطرق للكيفية التي تنتقل وفقها هذه الطاقة من مركز الشمس إلى سطحها.

ولقد علمتنا التجربة أن الطاقة الحرارية تتدفق دوما من القطاعات الأكثر سخونة إلى القطاعات الأبرد. فإذا قمت بتسخين إحدى نهايتي قضيب معدني فإن النهاية الأخرى سرعان ما تصبح دافئة. ويدعى هذا الأسلوب لنقل الطاقة الحرارية بالنقل أو التوصيل الحراري. وتختلف الناقلية أو القدرة على التوصيل الحراري من مادة إلى أخرى (النحاس ناقل جيد عكس الخشب)، وهي تعتمد أساسا على طريقة ترتيب الذرات أو الجزيئات المؤلفة للمادة. ولقد بيّنت الحسابات أن الظروف السائدة داخل النجوم كالشمس ليست ملائمة للنقل الحراري مما دفع العلماء إلى محاولة العثور على وسائل أخرى تنتقل بموجبها الطاقة في مادة النجوم.

ولقد وجد أن هناك طريقتين لانتقال الطاقة من جوف الشمس إلى سطحها هما: (الجيشان) convection و(الانتشار الاشعاعي) radiative diffusion. والجيشان هو دورة الغاز عندما يتحرك من القطاعات الساخنة إلى الباردة. وكما هو الحال بالنسبة (للبالون) الحاوي على هواء ساخن عندما يرتفع إلى السماء، فإن الغازات الساخنة ترتفع من مركز الشمس إلى سطحها بينما تنخفض الغازات الباردة نحو مركزها. وتكون محصّلة تأثير هاتين الحركتين هي نقل الطاقة الحرارية من مركز الشمس إلى سطحها.

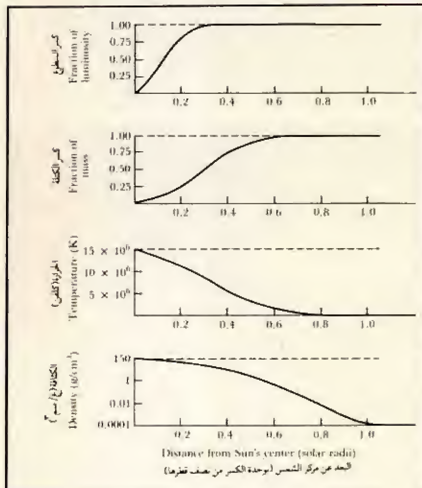
وفي الانتشار الإشعاعي، تنتقل الفوتونات الحاملة للطاقة من جوف الشمس الساخن حيث تُنتج نحو السطح الخارجي الأبرد حيث تتحرر وتنفلت في الفضاء. والمسار الذي يسلكه الفوتون أثناء انتقاله يكون عشوائيا بسبب اصطداماته المتكررة بالذرات والالكترونات الموجودة داخل النجم. وفي المتوسط تستغرق الطاقة حوالى مليون سنة حتى تتمكن من الانتقال من مركز الشمس إلى سطحها.

ويفضّل الفيزيائيون الفلكيون صياغة مفاهيم التوازن المائعي الثابت والتوازن الحراري والنقل الحراري بمجموعة معادلات رياضية تدعى في مجموعها (معادلات التركيب النجمي)، ويسمح حلّها باستشفاف ظروف الضغط والحرارة والكثافة التي لا بد أن تسود مختلف طبقات النجم حتى يتحقق التوازن. ويستعمل الفيزيائيون الفلكيون الحواسيب (الكومبيوترات) عالية السرعة [كالسوبر كومبيوتر طراز سيبر ٢٠٥ CEYBER وكراي ١ ــ ١ CRAY] لحل المعادلات المتعلقة بالتركيب النجمي من أجل تجسيد النموذج النظري المفصل لتركيب النجم. ولإنجاز هذا العمل، لابد للفيزيائي الفلكي أن يستفيد من البيانات الفلكية المؤكدة والمحسوبة من عمليات الرصد بالمناظير الفلكية أو عن طريق الأقمار الصناعية، فمثلا يمكنه الاستفادة من الحقيقة المؤكدة التي تشير إلى أن درجة حرارة سطح الشمس تبلغ ٥٨٠٠ درجة مئوية وأن السطوع الشمسي يبلغ ٣,٩ × ١٠ ٢٦ واطا. وتستعمل معادلات التركيب النجمي للتعرف على الظروف الفيزيائية التي تسود مختلف طبقات النجم من سطحه وحتى مركزه. وبهذه الطريقة، يمكن للفيزيائي الفلكي أن يستنتج علاقة التغيّر بين الحرارة والضغط والكثافة عند زيادة العمق تحت سطح النجم. ولقد أثبتت هذه التقنية الرياضية أن درجة حرارة مركز الشمس تبلغ ١٥,٥ مليون درجة مئوية وأن الضغط هناك يبلغ ٣,٤ × ١٠ ١١ ضغطا جويا.

هكذا تبدو الشمس من خلال المناظير الفلكية الأرضية المزوّدة بالمرشحات الضوئية.



مخططات النموذج النظري للشمس (الشكل ١)



وتمثل المخططات الأربعة المبينة في (الشكل ١) نموذجا نظريا للشمس. وتظهر هذه المخططات كيف أن سطوع الشمس وكتلتها وحرارتها وكثافتها تختلف باختلاف البعد عن مركزها. وعلى سبيل المثال، يعطي المخطّط العلوي النسبة المئوية للسطوع الشمسي بدلالة البعد عن مركز الشمس. لاحظ أن السطوع يكتمل عند حوالى ربع المسافة بين مركز الشمس وسطحها. وهذا يدلنا على أن كل طاقة الشمس يتم إنتاجها ضمن كرة مركزية لا يزيد نصف قطرها عن ربع نصف قطر الشمس. ويمكنك أن تلاحظ أيضا من المخططات بأن الكتلة تكاد تكتمل على بعد عن مركز الشمس يساوي ستة أعشار نصف قطرها، ويمكنك أن تستنتج من ذلك بأن معظم كتلة الشمس تكون متجمعة ضمن كرة مركزية لا يزيد نصف قطرها عن ثلاثة أخماس المسافة بين مركز الشمس وسطحها. ومن ثم، يمكن الاستنتاج ببساطة بأن الطبقات الخارجية للشمس ذات كثافة منخفضة وتحتوي على كمية قليلة جدا من المادة.

وتنتقل الطاقة من مركز الشمس وحتى مسافة تبعد عنه بثمانية أعشار نصف قطرها بالانتشار الإشعاعي، ولهذا فإن هذا القطاع يدعى النطاق المشع. وتكون كثافة المادة من نهاية القطاع المذكور وحتى سطح الشمس أقل من $\frac{١}{١٠٠}$ غ/ سم٣ مما

يجعل الجيشان أكثر فاعلية في نقل الطاقة إلى سطح الشمس من الانتشار الإشعاعي. ولهذا السبب يقال إن للشمس (نطاقا جيشانيا).

الكرة المضيئة

بالرغم من أن معظم الفلكيين المعاصرين يستخدمون مصطلح (سطح الشمس)، فإن الشمس لا تمتلك سطحا على الإطلاق. ولو افترضنا أنك امتطيت مركبة فضائية ورحت تخترق بها طبقات الشمس المختلفة فإنك ستواجه غازات متزايدة الكثافة دون أن تقع على حدود واضحة للطبقات التي توجد في طبقات الأرض. وتبدو الشمس من خلال المناظير الفلكية المتخصصة برصدها وكأن لها سطحا متميزا، وتفسير ذلك يكمن في وجود طبقة متميزة في جو الشمس يأتي منها أغلب الضوء المرئي. وهذه الطبقة التي لا يتعدى سمكها ٥٠٠ كيلومتر تدعى عادة **(الكرة المضيئة) Photosphere** وتقدر درجة الحرارة فيها بحوالي ٥٨٠٠ درجة مئوية.

والكرة المضيئة هي الأخفض في ثلاث طبقات تشكل بأجمعها جو الشمس حيث تعلوها طبقتان أخريان هما: **الكرة الملوّنة** Chromosphere **ثم الهالة Corona**. وعند أطوال موجات الضوء المرئي يستحيل رصد الطبقات الأخفض من الكرة المضيئة لذلك يطلق على كل ما تحتها من طبقات مصطلح (جوف الشمس).

ويؤثر الجيشان في الطبقات الخارجية للشمس على مظهر الكرة المضيئة. فتحت ظروف الرصد الجيدة، وباستعمال مرشحات ضوئية داكنة لحماية عيني الراصد، يمكن في أغلب الأحوال أن تلاحظ على سطح الشمس شبكة من البقع السوداء. ويطلق على هذه الظاهرة مصطلح (التحبّب)granulation لأن هذه البقع تبدو في مظهرها كالحبّات أو الدمامل فوق سطح الشمس.

ويبلغ قطر الحبّة الواحدة حوالى ١٠٠٠ كم، وتكون كل حبة محاطة عادة بمجموعة من الحبّات المضيئة الأصغر مساحة. ولقد ساعد اكتشاف ظاهرة التحبّب الفلكيين على تحديد طريقة حركة الغازات الشمسية بعد أن لاحظوا أن الغازات الحارة تتصاعد من داخل الحبّات ثم تبرد وتنتشر على حوافها لتغطس بعد ذلك عائدة إلى جوف الشمس.

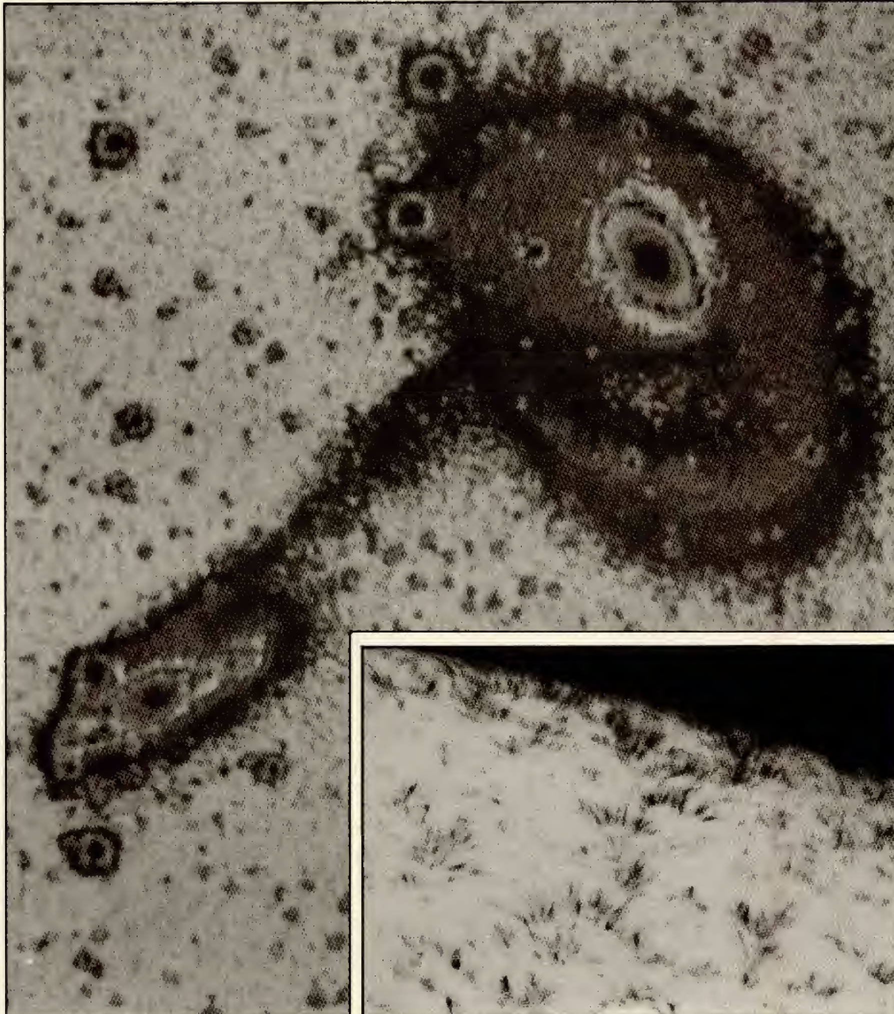
وتبدو الكرة المضيئة خلال المنظار الفلكي أقل سطوعا من ناحية طرفها الأبعد عن مركز الشمس وأكثر سطوعا من طرفها الأقرب إلى مركز الشمس. ويطلق على هذه الظاهرة مصطلح (الإظلام الطرفي)limbdarkening وهي توحي بأن الغاز القريب من الحافة الخارجية أقل سخونة من الغاز الأعمق.

الكرة الملونة والهالة

الكرة الملونة Chromosphere هي الطبقة الوسطى في جو الشمس وتقع بين الكرة المضيئة والهالة الشمسية. ويبلغ سمكها ١٠٠٠٠ كم، وترى على شكل شريط قرنفلي اللون عندما يحجب القمر الكرة المضيئة خلال الكسوف الكلّي للشمس. وتظهر في الصورة (انظر الشكل٢) الملتقطة باستعمال مرشح خاص الكرة الملوّنة بتراكيبها الضوئية المتميّزة. لاحظ التراكيب المظلمة التي تشبه الفُرَش (جمع فرشاة) وكأنها سنابل قمح نبتت على الكرة الملوّنة. ويطلق على هذه التراكيب اسم (الأشواك) spicules، وهي عبارة عن نفثات من غازات تندفع بعيدا عن الشمس. وترتفع الشوكة النموذجية بسرعة ٢٠ كم/ ثا حتى تصل إلى ارتفاع ٧٠٠٠ كم عن الكرة المضيئة حيث تقذف محتوياتها من الغازات بعيدا عن الشمس خلال عدة دقائق. وتشكّل الأشواك واختفاؤها ظاهرة مستمرة تحدث دون انقطاع في الكرة الملونة، حيث يتشكل منها حوالى ٣٠٠٠٠٠ شوكة كل حوالى عشر دقائق.

وتشكل الهالة الشمسية الطبقة الأبعد في جو الشمس وتمتد من قمة الكرة الملوّنة وحتى ملايين الكيلومترات بعيدا عن الشمس حيث تندمج هناك

شكل٣



شكل٢

بالرياح الشمسية التي تتدفق باستمرار من الشمس إلى الفضاء المحيط بها.

ونظرا لأهمية الظواهر الفيزيائية التي تحدث باستمرار في هالة الشمس فقد حازت على قسط كبير من اهتمام الفيزيائيين الفلكيين. *

البقع الشمسية

يعد تشكّل البقع الشمسية sunspots من أهم الظواهر الدورية التي تحدث على سطح الشمس حيث تبلغ عددها الأعظم خلال دورة زمنية مدتها ١١ سنة. والبقع الشمسية عبارة عن قطاعات مظلمة ليس لها شكل محدّد وتتشكل ضمن الكرة المضيئة. وتتميّز البقعة الشمسية الواحدة بجوفها المركزي المظلم الذي يدعى (الظلّ) umbra ويكون محاطا بقطاع أقل إظلاما يدعى (شبه الظل) penumbra (انظر الشكل ٣). وبالرغم من أن البقع الشمسية تختلف عن بعضها كثيرا من حيث المساحة والشكل فإن للبقعة النموذجية قطرا يصل إلى بضعة عشرات ألوف الكيلومترات.

وتبدو البقع الشمسية عبر المنظار الفلكي مظلمة بالنسبة لسطح الشمس، لأنها أبرد من قطاعات الكرة المضيئة التي تجاورها. وتتراوح درجة حرارة البقعة الشمسية النموذجية بين ٤٠٠٠ و٤٥٠٠ درجة مئوية، فهي بذلك أبرد بحوالي ١٠٠٠ درجة من قطاعات الكرة المضيئة العادية.

وفي مرات نادرة، تكون مجموعة معينة من البقع الشمسية كبيرة للحد الذي يمكن معه رؤيتها بالعين المجرّدة (لا تنس أبدا أن تستعمل المرشحات الضوئية الداكنة المخصصة للنظر إلى الشمس لحماية عينيك وأنت تراقبها). ولقد سجل قدماء الفلكيين الصينيين مثل هذه المشاهد قبل ٢٠٠٠ سنة. وكان العالم الإيطالي جاليليو أول فلكي يتمكن من دراسة البقع الشمسية بالتفصيل بواسطة المنظار الفلكي. ولقد توصل جاليليو من دراسته للبقع الشمسية إلى تحديد سرعة دوران الشمس حول نفسها عن طريق تتبّع الحركة الظاهرية للبقع الشمسية ضمن قرص الشمس. ووجدأن الشمس تدور حول نفسها دورة واحدة كل حوالى أربعة أسابيع (انظر الشكل ٤) وتدوم البقعة الشمسية النموذجية حوالى شهرين، ولهذا يمكن رصدها خلال دورتين شمسيتين متتاليتين.

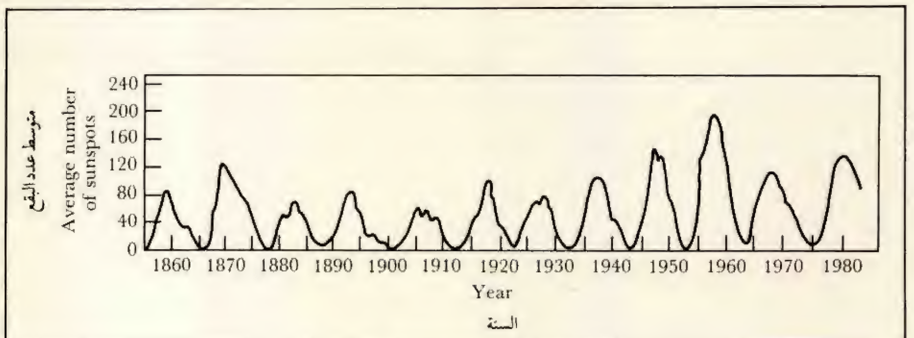


شكل ٤

وبيّنت عمليات الرصد الدقيقة التي أنجزت مؤخرا أن الشمس لا تدور حول نفسها ككتلة واحدة كما يدور الجسم الصلب، ووجد أن المناطق الاستوائية تدور حول محور الشمس بسرعة تفوق سرعة دوران المنطقتين القطبيتين حوله. والبقعة الشمسية القريبة من خط استواء الشمس تستغرق ٢٥ يوما حتى تتمّ دورة كاملة حول محور الشمس، أما عند خط العرض ٣٠ درجة إلى الشمال أو الجنوب من خط استواء الشمس فتستغرق البقعة الشمسية ٥ ,٢٧ يوما لتتمّ دورة واحدة. ويبلغ دور الدوران (زمن دورة كاملة) عند خط العرض ٧٥ درجة شمالا أو جنوبا بالنسبة لخط استواء الشمس حوالى ٣٣ يوما، ويمكن أن يصل هذا الدور إلى ٣٥ يوما عند القطبين. وتدعى ظاهرة اختلاف سرعات دوران القطاعات المختلفة للشمس بظاهرة (الدوران التفاضلي) differential rotation.

ومن الجدير أن يشار هنا إلى ما أظهرته عمليات رصد الشمس خلال عدة سنوات من أن عدد البقع الشمسية يتغير بشكل دوري، ففي بعض السنوات يكون عددها كبيرا، وفي سنوات أخرى لا يبقى منها شيء على الإطلاق. وتدعى هذه الظاهرة (دورة البقع الشمسية) sunspot cycle. ويوضح المخطط البياني (الشكل ٥)أن متوسط عدد البقع يتغير تغيراً دورياً وأن الدور مقداره ١١ سنة. ويطلق على الفترة التي تكثر فيها البقع الشمسية اسم (فترة البقع الشمسية العظمى) كالتي حلّت في سنوات ١٩٥٩م و١٩٧٠م و١٩٨٠م وكانت أثناءها الشمس ملأى بالبقع الشمسية. كما يطلق على الفترات التي تختفي فيها البقع أو تكاد اسم (فترة البقع الشمسية الصغرى) كالتي حدثت في سنوات ١٩٦٥م و ١٩٧٦م و ١٩٨٦م.

وأثبتت عمليات الرصد التي أنجزتها مقاييس الطيف المحمولة على القمر الصناعي الأمريكي (MMS) المتخصص في رصد الشمس أن التوهج الشمسي يتغير بشكل طفيف بين فترتي النشاط الشمسي الأعظم والأصغر. وأظهرت البيانات أن الشمس تكون أكثر سطوعا أثناء فترات البقع الشمسية العظمى.



شكل ٥

* انظر مقالنا «هالة الشمس النشيطة» في العدد ٨٨ من الفيصل، تموز/ يوليو ١٩٨٤م.

الشرق في عيون الغرب



الصقر - رسم بالألوان المائية - كينيث ليلي - المدرسة الإنجليزية .

لقاء مع: د. السيد عبد العزيز سالم

رؤية فكرية وتاريخية للواقع

أجرى الحوار: أبو تمام أحمد ميرغني

يشهد التاريخ بين صفحاته بثبات الركائز الإسلامية في أهم بقاع الوطن العربي الممتد في رقعته. ويأتي تاريخ الحركات الفكرية الحضارية في المغرب العربي امتدادا لظلال النور وامتداداً لشعاع الجزيرة العربية.

ولقد أسهمت جامعاتنا العربية في حقل الدراسات التاريخية بإبراز الأثر الإسلامي عبر العصور المتعاقبة في أرض الوطن العربي، وتناول مؤرخونا القدامى والمحدثون العديد من القضايا التاريخية، للكشف عن جوانب الشخصية العربية الإسلامية، وامتد مفهوم التاريخ ودور المؤرخ العربي سعيا وراء الحقيقة، من خلال حلقات متشابكة يتواصل في نظمها «الحدث» و«الزمان» و«المكان».

يتناول اليوم الحوار رُؤية فكرية تاريخية للدكتور **السيد عبد العزيز سالم رئيس قسم التاريخ بجامعة الإسكندرية،** وممثل مصر الدائم في منظمة التراث العربي. والدكتور السيد سالم عمل مستشارا ثقافيا لمصر في مدريد وتلقى أوسمة تقديرا لجهوده، وتقرر تعيينه عضوا في أكاديمية الفنون الجميلة بأشبيلية، وعضوا تشريعيا بالمعهد الأسباني العربي وله كشوف أثرية ترجع إلى العهد الإسلامي، كما شارك بجهوده في قاعات المحاضرات بالجامعات العربية ومنها جامعة أم القرى في مكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض.


د. السيد عبد العزيز سالم

تاريخ الحضارة الإسلامية

● ارتبطت الحياة الفكرية في الأندلس بتاريخ الجزيرة العربية والشام على مر العصور، وتبرز فيها ملامح الحضارة الإسلامية العريقة منذ تألق النهضة الإسلامية والتحامها بالتاريخ الإنساني. مادوركم في مجال تأريخ الحضارة الإسلامية؟

□ تشغلني قضايا الحضارة الإسلامية بوجه عام، فقد شاركت في تناول تاريخ العرب القديم ووضعت يدي على تخصص دقيق هو تاريخ جزيرة الأندلس، وأصدرت عدة بحوث في تاريخ العرب قبل الإسلام، وعقدت علاقة علمية بين الحياة العربية، وتناول الأدب الجاهلي مع الأخذ في الاعتبار تأكيد ارتباط تاريخ الأدب قبل الإسلام بالحياة العربية، ولا يمكننا وضع الحدود بين الجانبين. وكرست جهدي قرابة أربعين عاما في خدمة التراث الإسلامي، وأصدرت العديد من المصنفات في التاريخ الحضاري للإسلام فيما يخص المشرق الإسلامي و المغرب، تناولت قضايا المغرب الإسلامي في دراسة شاملة تختص بالمراحل المتعاقبة لتاريخ المسلمين في المغرب منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر الموحدين، وأضفت إلى المكتبة العربية دراسة لتاريخ المسلمين منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة الأموية في قرطبة، وخصصت دراسة تتناول أحوال المسلمين في قرطبة، وتابعت العصور التاريخية المتعاقبة: عصر الولاة، وقيام الدولة الأموية وعصر الخلافة الأموية من منظور الاهتمام بدراسة الحضارة الإسلامية التي أسهمت فيها رجالات المجتمعات الإسلامية بجهود بارزة على المستوى الحضاري معنويا وماديا في قرطبة، فتحدثت عن مواطن العمران ومراكزه ومراحل التطور، وحرصت على ربط الأحداث في قرطبة بالمحيط الخارجي حولها، وتناولت بالدراسة الطبوغرافية أهم المواضع التي ورد ذكرها في المصادر العربية القديمة، وتناولتُ الآثار والصناعات والنشاط الزراعي والحياة العلمية والفنون بما يمثل المعالم الإسلامية البارزة في قرطبة، بالإضافة إلى تحليل المظاهر الحضارية وتألق العصر الإسلامي قبل سقوط المدينة في أيدي الأسبان عام ٦٣٦هـ. وتمكنت من طرح المفهوم التاريخي الموضوعي لنؤكد أن قرطبة مدينة العلم ومنارته.

وقدمت مؤلفات عديدة تناولت مدينة المرية قاعدة أسطول الأندلس والبحرية الإسلامية في

المغرب والأندلس، وأبرزت ملامح النهضة في الأندلس المتعلقة بالمساجد والقصور، وترجمت دراسة عنوانها «الإسلام في المغرب والأندلس»، قدمها ليفي بروفنسال باللغة الفرنسية، ثم ترجمت «فنون الإسلام في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطين» دراسة قدمها مينول جوميث. أما الدراسات الإسلامية التي تناولت عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية وعصر الدولة العباسية، فقد شغلتني إلى حد بعيد. واستمر اهتمامي قائما بالتاريخ العربي والمؤرخين القدامى والبحارة الإسلاميين في مصر وبلاد الشام.

تأثير وتأثر

● للتراث الإسلامي علاقة وثيقة بالأجواء المحيطة في المجتمعات المجاورة عبر التاريخ لا سيما المناخ الحضاري للمجتمعين الفارسي والبيزنطي، ثم انطلقت محاور الأصالة في دائرة التأثير والتأثر على نطاق العلوم والنظم والفنون والآداب. ما تعليقكم؟

□ احترمت الشعوب العربية التراث وتعهدته بالرعاية، ولم يأنف العرب من الأخذ بها لا يتعارض مع مبادئ الإسلام من المناهل العديدة، الفارسية والبيزنطية، في العلوم والحكمة والفكر والتاريخ والنظم الإدارية والسياسية، وأخذ العرب العديد من العلوم الهندسية عن الهنود. أما التراث الإسلامي فنراه يجمع أبرز حضارات البلاد، وأصبح للمسلمين حضارتهم وفنونهم وفلسفتهم الخاصة المتميزة، ووجدنا قرطبة في العصر الإسلامي منارة العلم في القارة الأوروبية، كما كانت بغداد مركزا حضاريا، وكانت الفسطاط مشعلا للتاريخ الإسلامي.

الصقل الحضاري

● اعتناق الإسلام أحيا الملكات الفكرية في المجتمعات المتباينة، وأرسى قواعد الإنسانية في البادية والمدن، مما أتاح للإمبراطوريات حق الدخول في ظل الإسلام والإفادة منه، فانطلق المجتمع الإسلامي في نشر الحضارة. كيف ترون أثر الملكات الفردية في هذا المجال؟

□ ساندت الملكات الفكرية الحية في المجتمع العربي قديما أوجه التطور والتحضر في البادية وفي كثير من المدن، وصقلت الحضارات المتفاعلة في المجتمع العربي مواهب المبدعين الذين أفادوا من العناصر الفكرية الكائنة في المجتمع، واستوعبوا الحضارات الطارئة على مجتمعهم، ثم أفرزوا رحيقا للحضارة الشامخة، تركت بصمتها في العالم قروناً طويلة وساعدتهم ملكاتهم الفكرية على نظم الشعر والخطابة تعبيرا عن وجدانهم واتجاهاتهم العقلية في صدق وأمانة. وأصبح الشعر العربي سجلا حافلا ومرآة تعكس العادات والتقاليد الاجتماعية والطبائع النفسية لأهل البادية، والعوامل التي هيأت لسكان البادية التعمق والتأمل في أجواء الكون فصدرت الفلسفة نابعة من إحساسهم بعناصر المكان وجغرافية الموطن وأحواله، وتفتقت أذهانهم عن علوم الفلك والنجوم والكهانة، **وأدركوا جميعا أبعاد الأديان السماوية قبيل ظهور الإسلام**، مما جعلهم متأهبين عند ظهوره لاعتناق الدين الحنيف وفتحوا العالم بسواعدهم بفضل إيمانهم العميق، وحققوا أعظم الإمبراطوريات على إثر الفتوحات المثيرة.

> لا ينقصنا إلا أن نعي سبيل الهدى وسيادة العالم لنكون خير أمة، وإلا عُدنا إلى الجاهلية الأولى!

توازن المجتمع الإسلامي

● واجه القادة المسلمون الأوائل مخاطر جمة لإقامة المراكز الاقتصادية الحيوية في الجزيرة العربية والمجتمعات المجاورة، ورغم ذلك استكملوا بناء الصرح الإسلامي الذي أرسى دعائمه النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه. هل من إضاءة لهذا الجانب؟

□ تعرضت الجزيرة العربية لظروف قهرية طوال الفترة الانتقالية التي سبقت ظهور الإسلام مباشرة، وأول عناصر التوتر الاجتماعي التي اجتاحت المجتمع العربي توالي غزوات الأحباش فالفرس، وثاني العناصر المؤرقة تعرض الحجاز وحواضرها المستقلة إلى مخاطر عديدة، واعترت مكة المكرمة مظاهر التوترات القبلية والانقلابات الخطيرة، في حين تألق موقف قريش باعتبارها مركزا حيويا في الجزيرة العربية، وملتقى للقوافل التجارية بين الجنوب والشمال، أما يثرب - والتي عرفت بعد الإسلام بالمدينة المنورة - فقد كانت مركزا لطائفتين، طائفة عربية نزحت من اليمن منذ تهدم سد مأرب وعلى رأسهم جماعات الأوس والخزرج، تألق منهم الأنصار، أما الطائفة الثانية فمنهم اليهود والغرباء نزحوا بعيدا عن مجتمعهم، ليجدوا يثرب ملاذاً للسيادة والإقامة بها، وفوجئ المجتمع العربي الإسلامي بهم يتآمرون على النبي ﷺ، محاولين عرقلة دعوته، والتفرقة والإيقاع بالمسلمين، مما دفع النبي ﷺ للتصدي لمواقفهم الشائنة فتشرد طغاتهم خارج نطاق الحجاز. ومن المؤكد أن عصر الخلفاء الراشدين تميز فيها أبو بكر الصديق انطلاقا من سياسته الحكيمة، منذ أقسم في مقولته: والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه، وذلك لتحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع، وإحقاقا لفروض الطاعة والولاء بصدد أحد أركان الإسلام الخمسة ألا وهو الزكاة، باعتبار أن إيجاد التوازن الاقتصادي في المجتمع أول أساليب معالجة التوترات الحادة بين أفراده وطوائفه.

□ تنقصنا روح الجماعة، وخلافاتنا طارئة، والتاريخ سيعطي كلًّا حقه.

وأسفرت عزيمة **أبي بكر الصديق** وحزمه الصادق عن التمكن والقدرة على إعادة ألوية الإسلام إلى نصابها الصحيح، والسيطرة على مجتمع الجزيرة العربية. نجح **أبو بكر الصديق** في مهارة فائقة في قيادة جيش المسلمين لقتال **الروم** أعداء الإسلام، والحفاظ على الأمن والسلام في **الحجاز**، وواجه جيش المسلمين أعظم الإمبراطوريات، وانتصر على المتمردين على الإسلام دينا ودولة، ولا شك أن جهود **عمر بن الخطاب** جاءت استكمالا لرحلة الفتوحات، وفتح مصر والشام وفارس ووصول الجيوش العربية والطلائع في عهده إلى حدود المغرب أكبر دلالة على مكانة القيادة في عهد الخلفاء الراشدين.

الكتابات التاريخية والتزييف

● امتزج سجل الحضارة والتاريخ بالواقع والخيال واستكمل المؤرخون رحلة التدوين عبر العصور بما يقتضي الفحص والغربلة. ولعلنا نتذكر هنا إنجازات الطبري والمسعودي على وجه الخصوص. فهل من تعليق؟

□ يشوب الكتابات التاريخية لون من الاضطراب، مرجعه أن عمليات التدوين بدأت في **العصر الأموي** وأن المدونات انتقلت ليتلقاها جيل بعد جيل، فامتزج الواقع فيها بالخيال واعترت الحقيقة ألوان من الظلال. لذلك يصعب الاعتداد بالأخبار التي وردت في كتابات **العصر الأموي**، لابتعادها عن عناصر النقل السوية. أما سجل المدونات في **العصر العباسي** لتاريخ الأمم والملوك فيزخر به جهد **الطبري والمسعودي**، لاسيما **مروج الذهب** أبرز كتاباته. والثقة بالمصادر التاريخية عن كتابات **الطبري** تدعونا للأخذ بالأسانيد التي احتوت عناصر التأريخ والتدوين.

ولا يمنع الأمر المختصين بدراسة الرحلات والآثار والجغرافية أن يفندوا سجلات التاريخ المتلاحقة، بل يدعونا للتحقق في مشاهدات الرحالة ودورهم الرائد في البحث التاريخي والتنقيب بما لا يقبل التزييف.

القيادة الحضارية

● لا شك في اعتبار الرسول صلوات الله وسلامه عليه مثلا أعلى وقدوة إنسانية، وتوضح الشواهد التاريخية مفهوم «الزعامة» بحق، والأثر النبوي خير دليل على ذلك. كيف ترون أثر ذلك على الواقع الحضاري للأمة، في الماضي والحاضر؟

□ يشهد التاريخ وسجلاته المتنوعة الوثيقة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام هو المثل الأعلى. وفي تصوري - مع اتفاق الشواهد التاريخية والوقائع والأحداث - أنه الحاكم المسلم الأول القدوة على مر العصور والأزمنة. والنقلة الخطيرة التي احتوت المجتمعات العربية والإسلامية حتى يومنا هذا مدينة للقائد المسلم السياسي الاقتصادي المعلم الذي كرمه الله عز وجل ووهبه القدرة الفائقة على حمل الأمانة وإدراك مفهوم «الزعامة» و«القيادة» التي تضع علامة على جبين الحضارة الإسلامية الوضاء.

ولا شك أن التاريخ يحفظ **«الأثر النبوي»** ليكون للأجيال المتلاحقة معينا لا ينضب وسكنا للنفس

> مطلوب التحقق في مشاهدات الرحالة ودورهم في البحث التاريخي بما لا يقبل التزييف.

وسكينة للحس ومغنما للعقل وحكمة أثيرة. **لا ينقصنا إلا أن نعي في مجتمعنا الإسلامي السبيل للهدى القويم والطريق إلى سيادة العالم لنكون خير أمة كما قدر المولى عز وجل، وإلاّ عاد المجتمع إلى الجاهلية الأولى. ومهمة التاريخ واضحة في تقدير ذلك.**

إسهام الجامعات

● إلى أي مدى تسهم الجامعات العربية في مضمار العطاء التاريخي؟

□ لا شك أن دراسة التاريخ في المجتمعات المتباينة يستدعي أن تسهم جامعاتنا العربية في الالتفات لتحقيق المستوى العلمي الواعي ليس خلال قاعات المحاضرات والمؤتمرات والدرس فحسب، وإنما بالإسهام في نصيب وافر يتناول الفكر العربي بوجه عام والإسلامي في واقعيته بعيدا عن الصور التاريخية المتوارثة التي امتزجت فيها الحقائق بالصور الخيالية. ولا شك أن المؤتمرات التي تعقد بالبلدان العربية والدول الأجنبية تعالج القضايا التاريخية الإنسانية بفكر أصيل، والمنهج العلمي دليل على انتظام المعرفة التاريخية في نسق خاص.

روح الجماعة

● إحياء روح الترابط والإخاء سبيل يقود المجتمع الإسلامي إلى العدالة، فهي قوام المجتمع والنظام. أليس للإسلام دروس في هذا الصدد يستفاد منها لنتغير من حال إلى حال أفضل؟

□ نادى الإسلام بإحياء روح الجماعة، والحفاظ على الرابطة التي تدعم المجتمعات الإسلامية أينما كانت، وبفضل القيم التي يدعو إليها الإسلام أصبح للأمة الإسلامية مصدر للقوة والأصالة عبر التاريخ، وصارت المكانة على المستوى العالمي دلالة واضحة على قدرة الإسلام على التغيير والتفسير والإبهار. وقديما ظل الهيكل الاجتماعي بلا قانون وبلا دولة سوى أنها جموع بشرية تتدفق في مناطق

مقفرة أو مواطن حيوية، لا يدرك المجتمع حدودا ولا تضع الشعوب نظما ويفتقد المرء إلى الدين والدولة معا، وكأن محنة قابيل وهابيل توارثتها الأجيال. أخطاء يتوارثها الأبناء عن الآباء، تذبح روح الجماعة وتأوي نيران الهمجية، إلى أن بزغ نور الإسلام والحضارة والمجتمع الأصيل. وليكن في حسبان الشعوب والمسلمين في زمننا المعاصر أن الخلافات التي تعتور المنطقة العربية والخليج هي أزمة طارئة لا داعي للخوض في تفاصيلها أو توجيه اللوم والعتاب أو إقامة محكمة دولية عربية.

فالتاريخ يلقّن المخطئ دروسا من كلمات، ويحفظ للإنسانية صورا من نور وأخرى باهتة، ودم الإنسان الحر يفرض عليه أن يتنفس الحرية والعدالة ويبحث في فؤاده عن مبادئه الإسلامية الأصيلة.

التزام المؤرخ

● **النهج القويم للمؤرخ الحصيف يتطلب التزامات شتى، فماذا عنها، وعن الكفاءات في مجال التأريخ؟**

□ يلتزم المؤرخ الحصيف بالحقائق التاريخية، وينبني التوثيق العلمي والمنهجي ليس على النصوص التاريخية فقط، وإنما تَبرزُ الابتكارات والأفكار الجديدة. ولا شك أن «منتجمري وات» كتب كثيرا عن الجزيرة العربية وتاريخها وشارك في العديد من المؤتمرات في الجامعات العربية وعلى رأسها الجامعات السعودية، ومع الجهد الدؤوب في المؤتمرات التاريخية تتجدد الصفحات ويشهد التاريخ المعاصر بوجود الكفاءات في التأريخ. وإنْ كان جيل التلاميذ لا يزال يبحث عن الطريق، قد لا يدرك في أحيان كثيرة معنى كتب التاريخ ودروسه في المدرسة والجامعة والإعلام. وأعتقد أن جيلا لا يلم بتاريخ أمته يشبه إلى حد بعيد الطائر الذي يهجر عشه محلقا في فراغ، كلما طار وقع!

العقلية العربية

● **العقلية العربية احتوت الاتجاهات الفكرية القديمة المتنوعة، حتى أبرزت «الشخصية الإسلامية» التي نعرفها من خلال حضارة المسلمين. كيف ترون هذا التمثّل الآن؟**

□ تشير الدلائل إلى أن العقلية العربية تقبلت الثقافات الأجنبية وسارعت إلى امتصاصها فتشربتها، ثم نشطت مرة أخرى فبثت فيها أصالتها، وأظهرتها للملأ. والتراث الثقافي دخل حوزة العرب، أوصلته المراكز الثقافية القديمة دون تجمد، وتوفرت الظروف التي أكدت أهمية الميراث الثقافي للأمم التي خالطها العرب. ومنذ فجر التاريخ الإسلامي أصبح لفظ العربي يُطْلَقُ على كل من اعتنق الإسلام وتكلم باللسان العربي وكتب بالعربية، فحفظ لنا التاريخ الطب العربي والفلسفة العربية والرياضيات العربية من خلال مفهوم يحتوي مجموعة المعارف الأصلية.

إننا نُسَلِّمُ بالمبدأ العام للتأثر، فالظواهر الفكرية والحضارية لا يمكن أن تعيش بمعزل عن تيارات المجتمع المتنوعة. ومن اليسير علينا إدراك الاتجاهات العلمية والإنجازات الفكرية للأقطار العربية قديما وحديثا وتفاعلهم مع الأحداث للحفاظ على الشخصية الأصيلة.

عذريٌّ في هذا العصر

شعر: أحمد عبدالله بيهان

من بني عــــذرةَ جــــاءَتْكَ ركــــابي
تلتقــي الأرواحُ في محرابــــــــــه
ويعـفُ الجسـمُ إلاّ خفقـــــــــةً
جئتُ مـن خيمـــة «ليلى» حــــامـــلاً
الهوى في شِرْعتي بـــــــاعثـــــهُ
جئتُ يــا سمــراءُ . . مفطـور الحشـا
لم أزل أبحـث عـن بعضي فـــــــوا
لَمَعَ البرقُ على مبسمهــــــــــا
ثــم قــــالـت: ويحه جُـنَّ الفتـى
عـــــدْ إلى خيمـــة «ليلى» والتمِسْ

مستهــام القلب مسلــوب الصــواب
خلجـــاتٍ من حنينٍ وتصـــابِ
من فــؤاد ســالَ كــالشمع المذاب
عفّتي . . طهـري . . نحـولي واكتئـابي
فتنـــة الأرواح لا سحــرُ الإهــاب
مـن بني عــــذرةَ وافتْكِ ركـــابي
أسفــا . . إنْ لم أجــدْ فيكِ رغـــابي
وتلظَّـتْ من حيـــاءٍ واضطـــرابِ
أخطأ العنـــوانَ . . عــذريُّ الطــلابِ
عنـدهـا بعضَ عــزاءٍ وجـوابِ . . ؟!

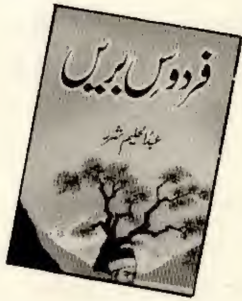
الاتجاه الإسلامي في الرواية الأردية

بقلم: د. سمير عبدالحميد إبراهيم









إذا كانت اللغة الأردية قد ظهرت وانتشرت على يد الدعاة المسلمين فلا عجب أن يبدأ فن القصة والرواية في الأدب الأردي معتمداً أساسا على الفكر الإسلامي الأصيل. ولن نناقش في مقالنا هذا بدايات هذا الفن أو أول قصة نثرية أردية، كما لن نناقش تطور كتابة القصة والرواية الأردية، بل سنركز على الاتجاه الإسلامي في الرواية الأردية التي تطورت في رحاب الفكر الإسلامي.

يُقال إن أول كاتب لقصة أردية ويدعى **عيسوي خان** (ولد ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م) كان يقوم بتدريس **القرآن الكريم** للأمراء في زمان **محمد شاه وأحمد شاه** (١١٣١ هـ ـ ١١٦٧هـ)، كما أن كاتب القصة الثانية ويدعى **إن شاء الله خان** (توفي ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م) كتب قصته عن موضوعات الحمد والنعت أي مدح الرسول ﷺ، ثم كانت قصة **«نو طرز مرصع» لعطاء حسين تحسين** (عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م) وهي القصة التي أخذ عنها أديب الأردية **«مير أمن»** قصته التي ذاعت في الأدب الأردي باسم **«باغ وبهار» أي الروضة والربيع**. وكانت القصص المذكورة تضم في قسمها الأول حكايات متداخلة وفي قسمها الثاني مجموعة من النصائح تقوم أساساً على تعاليم الدين.

أما **شاه عالم ثاني** الامبراطور المغولي (بالاسم فقط) الذي سلبه **الإنجليز** كل شيء فراح يسلي نفسه بالأدب شعرا ونثرا وخاصة بعد أن سُملت عيناه عام ١٢٠٢ هـ/ ١٧٨٨م) فكتب قصة بعنوان **«عجائب القصص»** كان يمليها على الكتاب، وهي قصة سهلة الأسلوب جزلة الألفاظ، خالية من المهجور والمبتذل، وهي من الناحية الفنية تتشابه مع القصص التي كتبت من قبل، فالكاتب يسوق حادثة تلو أخرى دون اتباع لما يسمى اليوم بالحبكة القصصية، كما لا يوجد لديه تصور للزمان ولا للمكان، إلاّ أن شخصياته كلها مسلمة تؤمن بالله وبالرسول وتطيع أحكام الله وأوامر الرسول، فها هوذا **ملك الروم** (مسلم طبعا) لا يستطيع أن يجبر ابنته على الزواج من **«شجاع الشمس»** لأن هذا «يخالف تعاليم رب العزة ويخالف سنة الرسول الكريم»، ولأن الشخصيات كلها مسلمة فلا يأس من روح الله. وحين أصاب اليأس الأمير **«شجاع الشمس»** قال له ابن الوزير **اختر سعيد**:

« أيها الأمير، إن من يجتهد في هذه الدنيا عليه أن يؤمن إيمانا كاملا بأنه سيجد ضالته، فقط اطرد عنك اليأس وازرع بداخلك الأمل وبفضل الله ستنال التوفيق من الله في اليوم الموعود».

والقصة تلقي الضوء على السلوك الإسلامي وكرم الضيافة كما تلقي الضوء على العادات التي راجت في بلاط الأمراء المسلمين آنذاك.

وتمضي السنوات، وينبهر مسلمو **شبه القارة الهندية** بادئ ذي بدء **بالحضارة الغربية**، فأخذوا يقلدونها، وبدأت القيم الإسلامية الأصيلة تتراجع إلى الوراء، وكاد **المسلمون** أن ينسوا أن لهم ديناً وتاريخاً وحضارة وثقافة ومجتمعا وتكويناً خاصاً منفصلا عما يدور حولهم. ثم أفاقوا عام ١٨٥٧م، فكانت الثورة على **الإنجليز**، وتوالت الهجمات على المسلمين من كل جانب بعد فشل الثورة، وكانت حركة **جامعة عليكره**، وشعر بعض قادة المسلمين بضرورة إعطاء المسلمين جرعات من التعليم الديني جنبا إلى جنب مع جرعات التعليم الغربي، وعارض البعض الآخر هذا الرأي لا لشيء إلا لأنهم أرادوا الحفاظ على القديم كما هو.

نذير أحمد وروايته مرآة العروس

وبدأت مرحلة جديدة في عصر **الأدب الأردي** حاول فيها الأدباء إحياء الماضي وإظهار الأعمال الجليلة للسلف الصالح وظهر أدب هادف له رسالة على يد **حالي وشلبي النعماني وسيد سليمان الندوي ونذير أحمد** وغيرهم، وظهر نثر أردي حديث انطلاقا من حركة **جامعة عليكره**، على يد مؤيديها ومعارضيها على السواء، وصدرت روايات أردية



عبرت حاجز التطور الزمني. فها هوذا **الشيخ (مولانا) نذير أحمد الدهلوي** الذي ولد في أسرة عرفت بالزهد والتقوى (عام ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠م) يبدأ حياته الأدبية عام ١٢٨٦ هـ وينال جائزة عن روايته «**مرآة العروس**» وبعدها ينال جائزتين عن روايتيه: «**بنات النعش**» و «**توبة النصوح**».

ينقسم أدب الرواية عند نذير أحمد إلى فترتين:

الأولى: من عام ١٢٨٦هـ/ ١٨٦٩م إلى عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤ م كتب فيها **مرآة العروس وبنات النعش وتوبة النصوح**.

الثانية: من عام ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م إلى عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م كتب فيها **فسانة مبتلا وابن الوقت والأيامي ورؤيا صادقة**.

وتختلف الخلفية الاجتماعية والعوامل والدوافع الخاصة لكل مرحلة من المرحلتين عن الأخرى، فالرواية الإصلاحية عند **نذير أحمد** أو الرواية الهادفة كانت ملحقاً لحركة **سيد أحمد خان مؤسس جامعة عليكره**، وقد اهتم **نذير أحمد** بإصلاح الحياة داخل البيت الإسلامي وداخل الأسرة المسلمة، وهكذا تناولت روايات الفترة الأولى إصلاح المرأة، حيث ركّز على القضايا التي يقوم عليها عماد الحياة الأسرية في البيت المسلم أو ما يطلق عليه اختصارا «حسن المعاشرة». أما روايات الفترة الثانية فتميزت بموضوعاتها التي أحاطت بالقضايا القومية والاجتماعية.

بدأ **نذير أحمد** يفكر في كتابة الرواية الهادفة كجزء من تعليمه لبناته إذ شعر بضرورة مثل هذا الفن الروائي وأهميته لجذب الفتيات وبالتالي تعليمهن دروس الأخلاق. يقول:

«أردت لبناتي كُتباً يمكن أن تجذبهن وتشدهن للقراءة، فبحثت ونقبت فلم أجد، وهكذا بدأ هذا العبد المسكين تصنيف كتاب يتناسب مع عمر كل واحدة منهن... وهكذا كن يقرأن ما أكتب كل حسب قدرتها...».

والحقيقة أن نذير أحمد اهتم بتعليم المرأة وجعلها هدفا لكتاباته الروائية، ففي مقدمته **لمرآة العروس** يقول: إن النساء يجب أن يقمن بمساعدة أزواجهن في جميع أمور الحياة، وأن يكن لهم خير مستشار، أما من حيث كونهن أمهات فيجب عليهن تربية أبنائهن تربية رفيعة، فهذا من واجبهن، وهذا بدوره يفرض عليهن أن يتعلمن تعليماً عالياً ويطلعن على العلوم المختلفة حتى يتمكّن من أداء واجبهن على الوجه الأكمل، وفي رواية «**توبة النصوح**» تناول مسألة تربية الأولاد، وصور **نذير أحمد** المساوئ الاجتماعية التي ظهرت في أعقاب التغير الاجتماعي، ووضع تصوره للإصلاح الاجتماعي على أساس الحفاظ على القيم الإسلامية، وهذا نلاحظه في رواية «**مرآة العروس**» حين ينقد التقاليد القديمة والإسراف وينقد الزوج الذي يترك بيته ويلهو هنا وهناك ويوضح نتائج الإسراف وعواقبه الوخيمة وقيام الخدم باستغلال سيدة البيت البسيطة الساذجة. أما في روايته «**بنات النعش**» فقد عمد إلى إصلاح الجانب الفكري والأخلاقي للأمة، إذ كان كبار الناس يخجلون من العمل وينظرون باحتقار إلى أصحاب الحرف، وكان الأغنياء في شوق لاستعراض ثرواتهم بينما فقدوا عاطفة الإيثار والتعاطف مع غيرهم من المسلمين. ومن خلال روايته يوضح **نذير أحمد** مفهوم المساواة الإنسانية قائلا: إن الإنسان إذا نظر للآخرين باحتقار وهو في «فخ الثروة والجاه» ونسي أن خدمة خلق الله فرض وواجب عليه فإن مثل هذه الثروة تكون (**أيسى دولت دينا كاجنجال وعاقبت كا وبال**) سوء حظ له في الدنيا ووبالا عليه في الآخرة.

ويرسم نذير أحمد صورة لإنسان يجتهد ويتعب إلا أنه يشعر بالراحة وهدوء البال، ويرسم صورة أخرى لإنسان مثالي يحفظ دينه، عفيف النفس حسن الخلق، وهو يريد بذلك أن يثبت أن معيار العزة والشرف ليس في الحسب و النسب ولا في الثروة والمال بل في عمل الإنسان وسلوكه.

ويكشف عن العديد من التقاليد الجاهلية التي سيطرت على الحياة الاجتماعية وشاعت حتى نالت درجة الدين والإيمان في شريعة الناس مثل عبادة القبور، التعاويذ والسحر الأسود، التنجيم وغير ذلك من البدع والخرافات التي عمت المجتمع في زمانه. واستخدم **نذير أحمد** أسلوب السخرية والمزاح من أجل الإصلاح وشدد على الأمور التي تتنافى مع تعاليم الدين وخاصة تلك التي تتعلق بحقوق المرأة.

عارض النقاد روايات نذير أحمد نظرا لسيطرة الطابع الإسلامي على كتاباته مما أضاع الحبكة القصصية، إلا أن **نذير أحمد** طوّر في رواياته تدريجيا، وهذا يتضح في روايته «**مبتلا**» التي رسم فيها صورة لحياة القرية وما يدور فيها من حوار بين ملاك الأراضي والزُرّاع والقضايا المتعلقة بهم وما يدور من خداع ولعب في أحكامها، هذا بالإضافة إلى تصوير الحياة الزوجية وما يقع من غبن في حق المرأة أحياناً وابتعاد الرجل عن العدل إذا ما حدث وتزوج بأكثر من واحدة وما يلي ذلك من تشابك في قضايا الميراث، ويؤكد في النهاية ضرورة اتباع الإسلام وشريعته. وهكذا تتسع دائرة الحياة الاجتماعية للرواية، كما يجيد الكاتب تصوير الجانب النفسي لشخصياته.

أما رواية «**الأيامي**» فهي رواية بمعنى الكلمة كتبها **نذير أحمد** بأسلوب جديد وتجربة جديدة، والشخصية الرئيسية في روايته شخصية سيدة متحررة تدعى «**آزادي بيغم**» (آزادي تعني الحرية) كأنه يقول «الست أو مدام حرية»، عملت البيئة المحيطة بها بالإضافة إلى عوامل أخرى على تشكيل سلوكها وشخصيتها، والكاتب حين يعبر عن الحب في روايته فهو حب الزواج، الذي هو صورة لنجاح الحب الحقيقي بمختلف جوانبه، والرواية تنقد الفكر المتحرر والسلوك المتحرر بالإضافة إلى نقد الغلو في الدين. والكاتب يقدم نموذجاً للمزج بين القديم والحديث والصراع بينهما، وهو ما كان يدور أصلاً على المستوى الاجتماعي، ثم بدأ يغزو الحياة العائلية داخل البيوت. وفي رواية **الأيامي** هذه يتعرض الكاتب كمصلح اجتماعي للشخصيات الدينية التقليدية التي تاهت بين البدع والخرافات متناسية أصول الدين الحقيقية،

وقد أبدع في هذا لأنه كان يتحدث عن تجارب ذاتية .

شخصية الأمة

وفي روايتيه «**ابن الوقت**» و « **رؤياصادقة**» يعالج أهم قضايا حياة الأمة الإسلامية واتجاهاتهاوإن كان موضوع كل من الروايتين يختلف عن الآخر. في الرواية الأولى يبين نتيجة التقليد الأعمى للحياة الإنجليزية، **فابن الوقت** بطل القصة يخضع لتأثير **المستر نوبل** ويترك أسلوب حياته كمسلم هندي ويترك طريقة الحياة الإسلامية محاولا تقليد الحياة الإنجليزية، وقد فهم الناس أنه يشير إلى **سيد أحمد خان**، بينما الكاتب يذكر أنه يشير إلى نفسه دون أحد غيره. ويرى **نذير أحمد** أن تشبُّه المسلمين بالإنجليز في مأكلهم وملبسهم ومشربهم أمر يتعارض مع الإسلام، وهو حين عارض **سيد أحمد خان** أوضح له بالدليل أن الشريعة الإسلامية سمحة وميدانها رحب فسيح وذلك بدلا من أن يقول له: «**من تشبَّه بقوم فهو منهم**». دعا **نذير أحمد** الأمة الإسلامية إلى التمسك بشخصيتها الإسلامية وسلوكها القويم وذاتيتها آملا أن تحقق الأمة الرقيّ والتطور من خلال ثقافتها ودينها. يقول على لسان شخصية تدعى «**حجة الإسلام**»:

«إن لم يبق للأمة دينها وإن لم يبق لها لباسها وإن لم يبق لها أسلوبها الحضاري وإن لم يبق لها علمها وإن لم تبق لها لغتها فقد اختفت بالضرورة ملامحها القومية، ثم كيف يمكن أن يتم الإصلاح وأي أمل يرتجى منها، لو أردنا إصلاح بيت ما فإن هذا لا يعني أن نخلع أساسه ونطيح به بعيدا».

وعلى لسان شخصية أخرى يقول:

«إن كل ما يلزمنا وينفعنا هي تلك العلوم التي تطور الصناعة والحرف وأنتم ماذا تفعلون؟ تدرسون للناس ما يدفعهم للهرب من أعمال وحرف آبائهم، وما يجعلهم ينفرون منها، بل نرى أنهم قد اتجهوا للدراسة هربا من هذا الذي ظنوه عارا».

ويعارض **نذير أحمد** بشدة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه وإصدار كل من هب ودب فتاوى في الدين. يقول على لسان إحدى شخصياته في **ابن الوقت**:

«إن أي غلام مملوك لا يدري شيئاً عن الدين يصير مجددا ومصلحا إسلاميا، وهكذا يبدأ في إبداء رأيه في أصول الدين».

وفي رواية «**رؤيا صادقة**» يعرض موضوعاً دينياً، والرواية تمتاز بالحبكة القصصية والربط والتسلسل، وهي تدور حول المجتمع القديم في **دهلي** والبيئة العقلية الجديدة لشباب **كلية عليكره** (لم تكن قد تحولت إلى جامعة آنذاك)، وفي الرواية يوضح أن الإسلام يتطابق مع العقل ولا دخل للشكوك والشبهات في عقائد الدين. والرواية تدور عن فتاة تدعى «**صادقة**» ترى أحلاماً تتحقق دائما، ولهذا خافها الناس حتى أهلها إذ اعتقدوا أن بها أثراً غيبياً، وتتزوج الفتاة وتذهب إلى بيت الزوجية وتشاهد رؤيا طويلة (١٠٠ صفحة) هي أساس الرواية وقد عرضها الكاتب في صورة سؤال وجواب.

جاء أسلوب **نذير أحمد** في روايته سهلاً بسيطاً يقول في الفصل التمهيدي الذي يشرح فيه عادة مشاهدة«**صادقة**» للأحلام كل ليلة:

«لا حول ولا قوة إلا بالله. ما هذا الخداع؟ مضى وقت طويل ، ونحن نعتقد أن «**صادقة**» و«**يوسفي**» (هنا يلمح إلى يوسف عليه السلام) أختان شقيقتان، والآن تأكدنا أن هذين اسمان لامرأة واحدة، وربما هي لا شيء أساسا، وقد بدأ الناس يطلقون عليها كما أطلقت عليها أمها اسم «**صادقة**» ذلك لأنها طوال عمرها لم تحدث أحدا برؤيا كاذبة، ولم تصطنع بنفسها رؤيا تقصها على الناس. . . وانتقلت إلى بيت زوجها وأصبح الناس ينادونها**بيوسفي بيغم** لأنها كانت تمتلك موهبة على تفسير الأحلام التي كانت تراها بكثرة وكان تفسيرها دائما في محله. . . والحقيقة أن الإنسان الذي ينام ولا يرى حلما لا يكون من البشر، فعقل الإنسان لا يتوقف ولو لمحة عن التفكير سواء كان صاحبه يقظا أو نائما. . . والحيوانات أيضا تحلم ويفهم أن الحصان يرى بصورة أو بأخرى الأحلام، لقد أهمل الناس عقولهم، إلا أن أحدا لم يستطع أن يدرك كنه الأحلام وماهيتها، أو يدرك أصول تفسيرها، ونحن أيضاً بقينا أسرى لهذا الأمر لفترة طويلة حتى سمعنا حال «**صادقة**»فتركنا كل فكر وعرفنا أن الرؤيا من الأسرار الألهية . . .».

ويأخذ البعض على نذير أحمد إفراطه في استخدام الكلمة والتراكيب العربية دونها ضرورة، كما يسود أسلوبه طابع الخطابة وهنا يستخدم القافية. وها هو حجة الإسلام يقول:

«الدين دواء لكل داء، سكينة لكل اضطراب، ومتاع لكل مشتر، وبشارة لكل طالب، ونجاة لكل مذنب، أي عناية من الله لخلق الله».

الرواية التاريخية

وننتقل إلى أديب آخر يعبر عن مرحلة أخرى من مراحل تطور الرواية الأردية وهو **عبد الحليم شرر**، (١٨٦١م ـ ١٩٢٦م) الذي ولد في **لكهنو بشمال الهند** وتعلم في بلدة قريبة من **كلكتا** وأعاده أبوه إلى **لكهنو** ولم يبلغ السابعة عشرة من عمره، **وشرر**، مثله مثل معظم أدباء الأردية، مدين لحركة **سيد أحمد خان** لما أسدته له من خدمات أدبية، وهو من الكتاب المنتجين فقد طبعت مقالاته في ثمانية مجلدات، كما أصدر ٢٨ رواية وكتب ست مسرحيات، ومن أشهر رواياته «**فردوس برين**» إلاّ أن رواياته الأخرى نالت شهرة كبيرة ومنها: **حسن ابن صباح، مينا بازار، فتح أندلس، عزيز مصر، زوال بغداد، رومة الكبرى، مقدس نازنين** وغيرها، وجميع هذه الروايات تمتاز بالحبكة والترابط وتسلسل الأحداث مما يجذب القارئ، وقد برع **شرر** في تصويره للطبيعة بالإضافة إلى أسلوب الحوار الجذاب.

حين طالع شرر رواية **والتر سكوت Talis-man** استشاط غضبا، لأن الرواية قامت بتصوير شخصية **صلاح الدين الأيوبي** على أنه رجل متعصّب، وكانت الرواية تتناول **الحروب الصليبية** كخلفية روائية، وهكذا بدأ **شرر** في صحيفة «**دلكداز**» كتابة روايته التاريخية الأولى **ملك عزيز فارجينا** وبدأ ينشرها مسلسلة، وفي نهاية الرواية كتب يقول:

«أغلب الظن أن هذه أول رواية من نوعها في الأدب الأردي، وقد أعجب أصدقائي المسلمون بهذه الرواية إلى حد كبير فهي تعرض لشخصيات تنتمي إلى الأمة المسلمة التي يمكنها أن تعيد من جديد إلى الحياة المشاعر التي خبت جذوتها، والهمم التي ضعفت قوتها، كل جملة فيها تشعل



بالحماسة والحمية الإسلامية. ومن المؤكد أن من يقرؤون بتفكير وشوق هذه الرواية من أولها إلى آخرها سوف تموج في قلوبهم دماء العاطفة الإسلامية وسوف يعملون على الوصول بأمتهم إلى مدارج الرقي».

نال **شرر** شهرته أساسا بروايته تلك وهي رواية تاريخية رومانسية، تعبر عن سماحة الإسلام، وترد على كتابات الصليبيين المتعصبين ضد الإسلام وما أثاروه من طعن في الإسلام. أما رواية **«حسن أور انجلينا»** (اور بمعنى «و») فهي رواية تاريخية أيضا تسودها الروح الإسلامية، والخلفية التاريخية للرواية هي **الحرب التركية الروسية** عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ولمس فيها العلاقات بين **إيران وتركيا** وأوضح كيف أن الأتراك الذي وصفوا بأنهم يكتسحون كل شيء أمامهم ينهزمون من **الفرس**، والمفروض أنهم حلفاؤهم لأنهم ينتسبون إلى الإسلام. وفي رواية **«فلورا فلوريندا»** يوضح مسألة «نكران الجميل» لدى النصارى الذين تمتعوا بالحرية وبالحكم العادل في ظل المسلمين إبان حكمهم **لأسبانيا**. وكان هدف **شرر** من كتابته للرواية هو إيضاح الجوانب الوضاءة للمسلمين **بالأندلس** ولم يدافع عن المسلمين فقط بل حمل على **الصليبيين** بعرض أفعالهم المشينة وصورهم المخزية.

لقد تحرك **شرر** وجال برواياته في ربوع العالم الإسلامي. كله وتناول البلاد التي كانت تتطاول عليه: **إيطاليا، فرنسا وروسيا**، واختار الأحداث العظام في التاريخ الإسلامي والفتوحات في **أسبانيا وأفريقيا والهند**، ثم تناول الصليبيين وغزو **فرنسا** بلاد العالم الإسلامي، وعن طريق عرضه للحقائق والأحداث التاريخية قدم لمسلمي **الهند** التاريخ الإسلامي. وكانت مهمة شرر صعبة فقد كان يود أن يعيد وجود العالم الإسلامي كما كان، منذ زمن الرسول ﷺ وعلى مر قرنين حتى يصل به إلى زمانه هو، وهذا أمر يحتاج إلى قدرة على الخيال عظيمة، وقدرة من الجهد والدراسة كبيرة، إلا أن **شرر** صمم على أن يؤدي واجبه، فحلق في عوالم الخيال وأوجد عالماً من العظمة لشخصياته، وعالما من الجمال والبهاء والأعمال العظيمة والبطولات، تقبله القراء بنهم وشراهة دون أن يفكروا في تحليل الأعمال العظيمة والبطولات التي ساقها كما يجب على صفحات رواياته.

إن الأحداث التي ساقها في رواياته، ودراسته للتاريخ الإسلامي أعطته شيئا يشبه خلفية «بانورامية» لرواياته، هذا بالإضافة إلى معرفته بفن القتال والعادات والتقاليد الاجتماعية للمسلمين في الماضي بطريقة ساعدته على نسج أحداث رواياته، وهو يجعل أبطاله شخصيات محببة لدى المسلمين فها هي فارجانا (ابنة أخت الملك ريتشارد) تقع في حب ملك العزيز (ابن صلاح الدين) وتعتنق الإسلام، وساق شرر أحداثا لا تخطر على بال أحد ولا يمكن لأحد أن يصدقها، فها هي تمر من بين العديد من جنود ريتشارد لتصل إلى ابن صلاح الدين. وهنا لا بد أن نشير إلى أن معظم شخصيات رواياته التاريخية لا وجود لها أصلا بل كانت من نسج خياله، وهي شخصيات من الهند وفارس وأفغانستان ومصر والجزيرة العربية وتركيا وروما، ولما كانوا جميعا مسلمين فقد جمعتهم صفات متشابهة وجمعهم فكر واحد وهدف واحد. والمؤلف هنا يريد إحياء المجد التليد للمسلمين وإحياء الحضارة الإسلامية التي كانت تشهد مرحلة الانحدار والتدهور.

وننقل هنا النهاية التي وضعها شرر لروايته **«فردوس برين»**:

«ها هو حسين يتزوج من **زمرد، ويقوم** الشيخ نصير الدين الطوسي علامة زمانه، وبحاثة عصره الذي نال قدرا كبيرا ومنزلة عظيمة لدى **التتار** بعقد نكاح **حسين وزمرد** وبعدها تفرق الجمع كل مضى إلى وجهته...

وانطلق **حسين وزمرد** إلى حيث قررا منذ خرجا من بيتهما إلى أرض **الحجاز وصل حسين مع زمرد إلى مكة المعظمة** وطافا **بالكعبة الشريفة** أمسكا بغطائها ودعوا الله بقلب خاشع وطلبا منه المغفرة...

يا إلهي... اغفر لنا جميع ذنوبنا ونجنا من أخطائنا.. يا إلهي لو كنا اقترفنا ذنبا فاغفر لنا.. واجعلنا من عبادك المقبولين يوم الدين.. يا إلهي.. كانت لنا زلة فقد سيطر علينا الشيطان حتى عميت أبصارنا فلم نفرق بين الخير والشر ولم تكن ذنوبنا وأخطاؤنا عن قصد أنت علاّم الغيوب تعرف ما تخفي الصدور أنت ترى عجزنا فاغفر لنا ذنوبنا...».

وهكذا بقي **حسين وزمرد** في **المدينة الطاهرة** لأيام وبعدها انطلقا ليعيشا بقية حياتهما في **قراقرم**.

وننتقل إلى الرواية الأردية المعاصرة، ورغم أن عمرها لا يتعدى قرنا من الزمان إلا أن مئات الروايات ظهرت ونال القليل منها شهرة بين القراء. ويرى بعض النقاد أن الروايات الجيدة تعد على الأصابع، والرواية الأردية في عمومها تناولت موضوع «الفسادات» أي الاضطرابات الطائفية التي كانت تدور داخل المجتمع في شبه القارة الهندية الباكستانية، فكتب **ايم أسلم «رقص إبليس»** وكتب **رشيد اختر ندوي «١٥ اغسطس»** وكتب **نسيم حجازي «خاك أور خون» أي التراب والدم** وكتب **قدرت الله شهاب «يا خُدَا»** يعني يا الله.

نسيم حجازي والهم الحضاري

وبعد قيام **باكستان** وفي السنوات العشر الأولى ذاع صيت روايات الأديب **نسيم حجازي** التاريخية، ومن بعده كتب **رشيد اختر ندوي** ورئيس **أحمد صفوي وأحمد شجاع باشا** روايات اجتماعية، إلا أن أحدا لم يتناول موضوعات هامة مثل **سقوط داكا وانفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية** مثلا، فمثل هذه الأحداث التاريخية الهامة لم تكن موضوعا لرواية جيدة، واتجه كتاب الرواية إلى عرض صور للمجتمع على نمط كتابات الغربيين فكتب **شوكت صديقي «خدا كي بستي»** أي مدينة «بلدة» الله على نمط كتابات **تشارلز دكنز**، كما كتب **عبد الله حسين** رواية بعنوان **«أداس نسلين» الأجيال الحزينة**، صور فيها مشاهد من الحياة بجميع جوانبها، أما **عزيز أحمد** فقد أبدع في فن الرواية وكتب «كريز» أي الهروب وهو يركز على تصويره لنفسيات شخصياته، أما **الطاف**

فاطمة فقد عالجت في رواياتها العلاقات الإنسانية ومن رواياتها الشهيرة «**دستك نه دو**» أي لا تدق الباب، وابتعدت عن الرومانسية ورسمت خيوط روايتها على الحقيقة والواقعية، وهناك أسماء أخرى مثل **شوكت تهانوي** الذي ابتعد عن اتجاه الألم والحزن وأضحك قراءه في روايته «**بيوي**» أي الزوجة.

ورغم ظهور أدباء جعلوا من موضوعات الجنس والفحش موضوعا لرواياتهم إلا أن أدباء آخرين حافظوا على طهارة أقلامهم ونذكر منهم **أحمد نديم قاسمي** الذي ركز على الرمز كما برع في تصويره للطبيعة وكتب قبل تقسيم شبه القارة متناولا موضوعات **كالخلافة الإسلامية والتجنيد والثورة والكفاح من أجل التحرير**. وكلها كان لها تأثيرها في المجتمع، والكاتب يصور القرية أحسن من تصويره للمدينة، ومن هنا برع في تصوير الاضطرابات التي عمت الهند أثناء قيام باكستان.

تحتل الرواية التاريخية مكانة في الأدب الأردي رغم انتقاد النقاد لها نظرا لغلبة عنصر الوعظ والنصيحة وعناصر الرومانسية، وهذا ما قالوه عن روايات أديب سنعرض له الآن وهو نسيم حجازي.

ولد **نسيم حجازي** في شعبان ١٣٣٢هـ/ مايو ١٩١٤م وتخرج في **الكلية الإسلامية بلاهور** عام ١٣٥٧ هـ/ ١٩٣٨م، وكان التاريخ الإسلامي هو الموضوع الذي جذب اهتمامه حين عمل بالصحافة، فكتب أولى رواياته بعنوان «**داستان مجاهد**» أي قصة مجاهد وبعدها توالت رواياته التاريخية، حتى احتل مكانة خاصة في تاريخ الرواية الأردية، وكانت علاقته **بالأندلس** علاقة خاصة، فهو يرى العصر الذهبيّ للمسلمين هناك، فيعود إليه مرة بعد مرة. ونسيم حجازي حساس تؤثر فيه الأحداث وتختمر بداخله وتخرج ناضجة فيطوعها بقلمه بين السطور. ويحكى أنه بينما كان يكتب روايته «**شاهين**» عرف أن أحد عشر شخصا من أسرته قد استشهدوا أثناء اضطرابات عام ١٩٤٧م، فكان رد الفعل لديه رواية «**خاك أور خون**» أي الدم والتراب. وهي كما يرى النقاد من أحسن وأفضل ما كتب **نسيم حجازي**، فهي لا تسجل فقط حادثة لا تنسى من ماضي المسلمين بل تشير إلى الكثير من الأخطار التي تظهر (وقد ظهرت) في الأفق، والرواية تحكي قصة المأساة التي تعرض لها المسلمون زمن التقسيم، وبالتحديد في أغسطس ١٩٤٧م حين بدأت أعظم هجرة بشرية في التاريخ وحين شهدت منطقة **البنجاب ودهلي وأجمير والمراكز الشمالية** وحتى محافظة **جمون وكشمير** بحارا من الدم البشري تنساب مختلطة مع أمواج الأنهار حتى فاضت فاختلطت الدماء البشرية مع تراب الأرض وتشكلت **باكستان** وظهرت إلى الوجود بالدماء والدموع.

وقد عبّر الأديب عن ذاته بصدق وهو يحكي في بداية روايته عن تلك الشجرة العتيقة في قريته التي اعتاد أطفال القرية أن يتسلقوها واعتاد الشباب والشيوخ أن يجلسوا في ظلها في أوقات الحرّ واعتادت النسوة أن يتجمعن حولها يستقبلن مواكب الأفراح والأتراح، شجرة عتيقة شاهدت طفولة أهل القرية وشبابهم وشيوخهم. تحت هذه الشجرة راح الأديب يتذكر الأحداث، طفولته وصباه وفي أغسطس ١٩٤٧م راحت آلاف القرى **في البنجاب الشرقي** تشهد طوفان «**النار والدم**» وانسكبت دماء الناس على جذور الشجرة العتيقة، دماء أولئك الذين اعتادوا أن يرووها بالماء، وتحت هذه الشجرة أخذت أجساد أولئك الشباب الذين اعتادوا أن يتسلقوها ترتعد. يقول الكاتب:

«رفاقي وأصدقائي، زملائي وأحبابي، وآبائي جثثهم دفنت هناك في حفرة بجوار تلك الشجرة، وأنا هنا باق لا يمكن أن أنسى تلك البسمات التي سلبت من وجه الحياة البريء إلى الأبد، ولا تزال تلك الضحكات يرن صداها إلى الآن، تلك التي ضاعت إلى الأبد، إلا أن هذه الشجرة لا تزال في مكانها حتى اليوم ... آه لو كنت مغنيا لصغت من غصنها نايا، وعزفت عليه عزفا يجلجل في الفضاء، ويعيد إلى الأذهان أنّات الأرواح البريئة التي تنتظر قائد قافلة مجهولة تحت الشجرة».

والرواية تضم أربعة أقسام تحت أربعة عناوين هي: بسمات وضحكات، خوف ورعب، خط أحمر مستقيم، ويا قوم.

بعد هذه الرواية كتب **نسيم حجازي** «**يوسف ابن تاشفين**»، وعن سبب كتابته للرواية يقول:

«في ضوء الشمس ننسى تلك النجوم التي أضاءت أمام القوافل الضالة في ظلمة الليل، فانتصارات كل أمة تنسب إلى رجل عظيم، بينما يظل قلم المؤرخ دائما قاصرا عن ذكر أولئك الجنود المجهولين الذين كتبت فصول التاريخ بمداد دمائهم... هذه الرواية باب من تاريخ **الأندلس** كتب بدماء وعرق مجاهدي أمتنا المسلمة المجهولين فقد كان يوسف بن تاشفين شمسا حملت لمسلمي **الأندلس** رسالة صبح الحرية والبهجة...».

وبعدها كتب **نسيم حجازي** «**آخري معركة**» أي المعركة الأخيرة عن الفتوحات الإسلامية **لمحمود الغزنوي**، أما روايتا «**معظم على**» و«**تلوار توت كيي**» أي وتحطم سيف آخر فقد عبر في الأولى الأديب عن قصة اضمحلال قوة المسلمين في الهند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، وتحكي القصة الأخرى كفاح المسلمين في ميسور بقيادة السلطان تيبو الشهيد. ويتجول الكاتب في العالم الإسلامي فيكتب «**آخري جتان**» أي الصخرة الأخيرة مصورا سقوط **بغداد** ٦٥٦هـ.

يوضح **نسيم حجازي** من خلال رواياته كيف استغل أعداء الإسلام سماحة المسلمين وتحينوا الفرص ليطعنوا بالخنجر - من الظهر - من أحسنوا إليهم. وهذا درس هام فالسماحة والتسامح يجب ألاّ يتجاوزا حدودهما.

كتب **نسيم حجازي** رواياته التالية عن الأندلس: «**اندهيري رات كي مسافر**» أي راحل في ظلام الليل» و«**كليسا أور آك**» الكنيسة والنار ورواية «**شاهين**». أما لماذا اهتم بالأندلس؟ فهو يجيب عن ذلك بقوله:

«لقد بدأت أقلب أوراق تاريخ الأندلس حين قال أحد **الهنادكة** من جماعة **مهاسبها** المتعصبة: إذا كان قد أمكن القضاء تماما على المسلمين وعلى كل أثر لهم في **أسبانيا** بعد حكم استمر ثمانمائة سنة فلماذا لا يمكن أن يتم هذا في **الهند**؟».

لقد ربط الأديب بين أحوال المسلمين في الأندلس وأحوالهم في شبه القارة **الهندية الباكستانية**. يقول:

«إن واحة الحرية تخضر فقط على تلك الأرض التي ترويها دماء الشهداء وحكايات عظمة الأمة



تُكتب دائما بهذه الدماء التي تسيل ساخنة وحين تتجمد الدماء وتجف لا تنفع الدموع».

أطال الله في عمر أديبنا الذي كتب أكثر من أربع عشرة رواية لا يزال لها مذاقها رغم تغير مذاق الزمان، ذلك لأنه اختار لرواياته أحداثاً من التاريخ الإسلامي التي تعيش في دواخلنا وفي نسيج عقولنا وفي قلب قلوبنا.

وأختم بالصورة التي رسمها الأديب للمجاهدين من أولي العزم الذين رفعوا راية عزة الأمة الإسلامية وأعلنوا في إيوانات الحمراء في الأندلس «إن هذه الأرض التي شهدت ذراتها مسيرة أسلافنا لن ترى ذلتنا، وإن هذه السماء التي برقت فيها سيوف أسلافنا لثمانمائة سنة لن ترى أغلال العبودية في أيدينا وإن يوم القيامة الذي سيخضب ثيابنا بدم الشهادة لن يشهد بقع الذل والعبودية السوداء على ثيابنا».

إشراقة

شعر: د. نصر عبد القادر

أضاءَتْ بقلبي شموعٌ وِضَاءٌ ... ورفَّ بصدري نشيدٌ رَخِيمْ
وأبصرتُ نوراً بأُفْقِ السماءِ ... يجوبُ الفضَا . . ويَشقُّ الغيومْ
وطافَ بروحي شعاعٌ شفيفٌ ... ومزَّقَ عني ظلامَ التخومْ
فطرتُ على صهَوَاتِ الرياحِ ... لأدفِنَ فيها زمانَ الوجومْ
وأنثرَ فيها دموعَ البكاءِ ... وأذرو عليها بقايا الهمومْ
وألفيتُ نفسي بجوِّ الحياةِ ... طليقاً . . أرفرفُ مثلَ النسيمْ
وعفوًا أحلِّقُ فوقَ الوجودِ ... وأشدو عليهِ بنايٍ رخيمْ
وعفوًا أعانقُ فلَّ الرياضِ ... وزهرَ الربيعِ البديعِ الوسيمْ
وأرقصُ في ومَضاتِ الضياءِ ... وأَخطِرُ نشوانَ . . فوق النجومْ
وأسبحُ في كلِ معنىً جميلٍ ... كأني أطوفُ جِنانَ النعيمْ
وهَا قد غرستُ بقلبي الجمالَ ... وروضَ الصفاءِ النضيرَ المقيمْ
وأبقيتُ فيه كيانًا وحسًا ... يقدِّسُ سرَّ الوجودِ العظيمْ
وفجَّرتُ فيه من الشوقِ لحنًا ... شفيفًا صداهُ . . كهمسِ النسيمْ
فإما تشتَّت فيه الصدى ... لرعدِ السوافي . . ولفحِ السَّموم
أصادقُ دهري . . وأوليهِ حبي ... وأُهديهِ شوقَ الوليِّ الحميم
فيحنو عليَّ سلامًا وبردًا ... ولو كانَ مثل اتّقاد الجحيم

ثمرة صداقة

في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وفي حي الظاهر العتيق أحد الأحياء الشهيرة بمدينة القاهرة والمتميز بكونه يضم أكبر تجمع نصراني في عاصمة المعز، انطلقت صرخة بريئة من منزل «الخواجة» إبراهيم أفندي عبد الملاك، أحد وجهاء التجار النصارى، معلنة مقدم ابنه البكر «عبده».

وكأي طفل لأبوين نصرانيين، أخذه والده إلى كاهن الكنيسة حيث تم تعميده في احتفال كبير يليق بمكانة والده واسم أسرته.

شب **عبده** في منزل الأسرة الكبير محاطاً بالرعاية والاهتمام، أو ليس هو الولد البكر الذي سيكون ـ مستقبلا ـ الذراع اليمنى للوالد المشغول بتجارته وجني المال من أجل ترك أكبر قدر من الثروة لأبنائه، ذلك الهدف الذي طالما حال بينه وبين الاستقرار في داره مع أبنائه عدا يوم الأحد، يوم النصارى المقدس، حيث كان الخواجة حريصاً على قضائه بين أولاده وتناول الغداء مع الأسرة.

الصداقة بداية الطريق

في ظل هذه الأوضاع شب عبده عن الطوق. دخل المدرسة، وأثبت تفوقاً ونبوغاً، وحين وصل إلى المرحلة الثانوية بدأ يكتشف عوالم جديدة، إذ **كان نظار المدارس آنذاك يتبعون نهجاً تربوياً تعليمياً يعتمد على خلق خلايا علمية تقوم على أساس من التآلف بين الطلاب** الذين يلتقون في الميول، وعبر تلك الخلايا **ارتبط عبده بصداقة وثيقة مع زميلين مسلمين هما محمد توفيق صدقي، وأحمد نحيب برادة.**

لم يكن **عبده** يدري أن صداقته مع هذين الزميلين سوف تكون بداية مشوار طويل على درب الإيمان، مشوار لن يكون سهلاً، أو مفروشاً بالورود، فالأحجار والأشواك تملأ الدرب، لكنها لم تكن لتستطيع أن تعوق أو تحول دون تنفيذ إرادة الله التي شاءت أن تهدي قلب عبده المؤمن إلى الصراط المستقيم.

اعتاد الأصدقاء الثلاثة أن يستذكروا دروسهم معاً، وغالباً كان تذاكرهم في منزل زميلهم **صدقي** لسعة المنزل، الأمر الذي يحقق لهم أكبر قدر ممكن من الهدوء اللازم للاستذكار. **وكان الصديقان المسلمان كلما سمعا صوت المؤذن ينطلق من المسجد القريب مؤذناً للصلاة، يبادران إلى ترك ما في أيديهما من كتب وملازم ويسرعان إلى صحن الدار للوضوء، ثم يؤديان صلاتهما في خشوع واستغراق، فيما يجلس صاحبهما النصراني يتأملهما محرجاً.**

تساؤل

تساءل عبده فيما بينه وبين نفسه: هذان صديقاي، ونحن متفقون على كل شيء، فلماذا نختلف في الملة: ألا يمكن أن تكون ملتهما هي الحق، **وما الذي يمنع أن أتعرف حقائق دينهما علّي أتبين الصواب؟!**

لم يلبث طويلاً وصارح صديقيه بما اعتمل في صدره من مشاعر وأحاسيس. ورغم صغر سنيهما وفرحتهما إلا أنهما وقد خافا أن يكون تصرفه نابعاً من حماسة وقتية نصحاه بأن يتروى في اتخاذ أي قرار بشأن اعتناقه الإسلام، فهو ما يزال طالباً يحتاج إلى عون أسرته المادي، وهو عون سيفقده بالتأكيد إن علمت أسرته بنيته، لكنه طمأنهما، واتفق الجميع على أن يكبوا على الدراسات الإسلامية دون أن يعلم أحد.

نفذ **عبده وصدقي** ما اتفقا عليه وانكبا على دراسة الشريعة الإسلامية، فيما انشغل برادة بالدراسة، وكان ثمرة ذلك أن حصل **برادة** على البكالوريا فيما تعثر صديقاه لإهمالهما دروسهما ورسبا.

كان رسوب عبده محل دهشة أسرته التي عرفته دائماً متفوقاً، لكنها عزت ذلك لكونه يمر بفترة المراهقة ولم يدر بخلدها شيء عن طبيعة جلسات الدرس التي يعقدها مع صديقه.

د. عبده يقترب من الله

ومر عام ونجح الصديقان وقدما سويا **لمدرسة الطب**، وكانت قد نشأت بينهما وبين العلامة **محمد رشيد رضا** علاقة صداقة في الله، وأتاحت دراسة الطب لعبده وبصفة خاصة مادة التشريح أن يقترب أكثر من الله، إذ رأى من خلال تشريحه للجسد البشري عظمة الخالق الذي أبدع وسوى فكان قراره وهو في منتصف الدراسة ولم يبق له على التخرج سوى عامين إشهار إسلامه، لكنه وجد معارضة من صاحبيه اللذين خشيا أن يضيع مستقبله، فنصحاه بأن يبقي إسلامه سراً إلى أن يتخرج ويصبح قادراً على الاستقلال بنفسه بعيداً عن أسرته.

صراع داخل النفس

كان القرار صعباً، فالقلب المؤمن كان يدعوه إلى الجهر بالإيمان، فيما صوت العقل يناشده التروي، مؤكداً أن رحمة الخالق البارئ لا تكلف النفس إلا وسعها، وأنه يكفيه علم الله بما في نفسه إلى أن يكتب ـ عز وجل ـ له الإعلان عن حقيقة اعتقاده في الوقت المناسب.

مرَّ عامان، وأصبح عبده في سنة الامتياز، وجاء شهر رمضان المبارك، ولم يكن بوسعه بالطبع أن يترك هذا الشهر الفضيل يمر دون أن يؤدي النسك الذي اختصه الله ـ عز وجل ـ دون سائر

العبادات الأخرى بأن جعله له ـ جل وعلا ـ وكانت المواءمة بين أداء النسك والظهور أمام أهله أمراً صعباً خاصة يوم الأحد الذي تلتقي فيه الأسرة على مائدة الغداء، فقرر قراره على ادعاء الانشغال بالعمل خلال فترة شهر الصوم وعدم الحضور للمنزل إلا ليلاً لكيلا يلحظ أحد إخوته صيامه . .

الأسرة تعلم السر

لم يغب تصرفه هذا عن ملاحظة أسرته، التي كانت تحيا قلقاً شديداً، إذ إن شقيقه تجسس عليه ذات مرة فوجده يصلي صلاة المسلمين، فأخبر والدته التي لم تصدق حتى رأت بنفسها ونقلت وساوسها إلى والده، الذي عاش بدوره قلقاً لا حدود له، لكن أحداً لم يجرؤ على مصارحة الطبيب الشاب بما يدور في المنزل، حتى جمع والده شتاته ذات يوم وتكلم معه حول هذا الموضوع .

كان باستطاعة عبده أن ينكر لكنه أبى أن يكتم نور الحق في صدره أكثر من ذلك ووجدها مناسبة ليعلن إسلامه أمام أسرته ويدعو والديه وإخوته إلى الالتحاق به على درب الإيمان، وحاول والده أن يرده عن سبيل الرشاد دون جدوى، فقامت قيامته وانطلق لسانه مهدداً ولده الذي لم يملك إزاء تلك الثورة العارمة إلا الاندفاع خارج المنزل دون ملابس أو كتب أو مال .

لم يكن هناك ملجأ يتوجه إليه عبده سوى منزل صديقه **صدقي**. فذهب إليه . ورغم أن **صدقي وبرادة** قد لاماه على تسرعه في إعلان إسلامه لأسرته إلا أن صدقي رحب به وخصص له حجرة منفصلة في دارهم ليقيم فيها إلى حين تستقرّ أموره المادية .

ثورة في بيت الخواجة

الوضع كان مختلفاً تماماً في بيت أسرة عبده، فالخواجة إبراهيم كان ثائراً يزمجر كأسد جريح، والأم يتعالى نحيبها، والإخوة الذكور يتوعدون بقتل «المارق» والبنات يكفكفن دموعهن ويتساءلن ماذا يفعلن عندما يعلم الخطّاب بأن أخاهم قد ترك ملة آبائه . . وتقاطر على المنزل وجهاء الحي من النصارى، جاءوا لمشاركة الخواجة مشكلته والبحث عن حل يمكّن من إعادة عبده إلى حظيرة الكنيسة .

محاكمة القلب المؤمن

وقر قرار الجمع على إرسال **وفد من رجال الكنيسة** لمناقشة عبده لأنه ـ من وجهة نظرهم ـ قد «أضله» رفيقاه صدقي وبرادة، وبالفعل ذهب الوفد وطلب من عبده أن يجري نقاشاً معهم، ولدهشتهم وافق على مناظرتهم، واستهانوا به في البداية، لكنهم ما لبثوا أن أدركوا أنهم بصدد خصم قوي الحجة يعلم عن النصرانية والإسلام الكثير، فطلبوا تأجيل المناقشة أسبوعاً، وكان لهم ما أرادوا،

واستفاد **عبده** بدوره من هذا التأجيل في استشارة صديقه العلامة الشيخ **محمد رشيد رضا**، الذي وجهه إلى الكثير من نقاط الاختلاف والتباين والضعف في النصرانية، فلم يكد يحل موعد المناظرة حتى فوجئ وفد الكنيسة بعبده يفحمهم بأسئلته وإجاباته، فلم يملك الوفد وقد شعر بالحرج أمام جموع النصارى إلا أن يطلب تأجيلاً للتشاور حتى لا يتورط في هزيمة أمام طبيب شاب «مارق» ولم تدم جلسة التشاور طويلاً، فما لبث الوفد وخرج ليعلن للجمع انتهاء النقاش وأن الكنيسة قد قررت طرد عبده من رحمتها!

بصدور قرار الكنيسة بطرده من «رحمتها» تنفس عبده الصعداء، إذ تخلص من محاولات دفعه للردة، وإن كان لم يتخلص من المضايقات، إذ إن كل من عرف قصته من النصارى كان ينظر إليه بحقد وكراهية، فيما كان المسلمون يتعاملون معه بحذر وشك، وفراراً من ذلك قرر عبده قبول وظيفة عرضت عليه في إدارة السجون، وعمل طبيباً في أحد السجون القريبة من العاصمة .

البحث عن النصف الآخر

كان طبيعياً أن يفكر **عبده** في وحشته البحث عمن تؤنس حياته وتكمل نصف دينه، ولأنه حديث العهد بالإسلام، وليس لديه أسرة تبحث عن العروس بدلاً منه فقد اتجه لزميله **صدقي** ليبحث له عن زوجة وفقاً لشروط ومواصفات حددها وغالى فيها، وبعد بحث وعناء عثر صدقي عمن ترضى بصديقه، فلم يكن الأمر سهلاً، فالأسر الكريمة كانت تأبى أن تزوج بناتها لطبيب شاب كان نصرانياً وشهر إسلامه، عن شك في إمكانية رجوعه إلى ملته مرة أخرى، لذا فإن من وقع عليها اختيار صدقي كانت بعيدة كل البعد عن المواصفات التي حددها صديقه، الذي ما أن عرف ـ صدفة ـ بعد اتمام الخطوبة أن العروس ليست بالمواصفات التي حددها حتى ثار على صديقه ورفض إتمام الزيجة مما أوقع صدقي في حرج مع أهل العروس الذين تملكهم الغضب من الإهانة التي لحقت بهم وبابنتهم وصبوا نقمتهم على صدقي .

الشيخ المهاب

كان العرف السائد في أوائل القرن الميلادي الحالي في مصر أن هناك في كل حي مشائخ وجهاء يرفع إليهم ـ عرفياً ـ أي خلاف أو مشكلة تقع في الحي، فيتدخلون لحلها بما كان لهم من كلمة مهابة مسموعة، وهكذا وجد صدقي ما يشبه الاستدعاء للقاء الشيخ **عبد الحميد مصطفى**، أحد نقباء الحي .

ولم يكن بوسع **صدقي** أن يلتقي بهذا الشيخ المهاب، فظل يتهرب منه إلى أن وجد نفسه فجأة في مواجهته في الشارع، فأنبه الشيخ على عدم حضوره لمقابلته، وسأله عن فعلته الشنيعة في حق ابنة الحي، فشرح له صدقي الموضوع من بدايته، حتى تفهم الشيخ الموقف وطلب منه إحضار صديقه عبده لمقابلته .

حضر الطبيبان الشابان لمقابلة **الشيخ عبد الحميد**، واستمرت الجلسة وقتاً غير قصير، استطاع عبده خلالها كسب محبة واحترام الشيخ الذي وجد أمامه شاباً يتفجر إيماناً وحماساً، مما دفعه بعد ذلك حين لم يحضر عبده لزيارته إلى سؤال صدقي عنه، **وطار هذا بدوره فرحاً إلى صديقه ملمحاً أن للشيخ ابنة في سن الزواج وبالمواصفات التي طلبها عبده**

هل كان الطبيب الشاب على موعد مع قدره؟!

هذا ما أحس به وهو يرافق صديقه إلى منزل **الشيخ عبد الحميد** الذي استقبلهما بترحاب وطالت الجلسة إلى أن انتهت بوعد بلقاء قريب، وتكررت الزيارات، إلى أن شعر د. عبده أن الوقت قد حان لطلب ابنة الشيخ، وكلّف صديقه بهذه المهمة وهو يضع يده على قلبه خشية الرفض . إلا أن الشيخ



صورة من حي الظاهر في مدينة القاهرة

فاجأهما بموافقته رغم معارضة أم العروس التي رأت في مثل هذه الزيجة إهانة لابنتها، وتم الزواج في حفل غريب لم تحضره أم العروس ولا أهل العريس.

هل انتهت القصة عند هذا الحد؟!

زوجة فاضلة وأسرة جديدة

لا بالطبع.. فقد سارت الحياة بالدكتور عبده في سعادة مع زوجة صالحة ترعى الله في نفسها وزوجها، وحملت الزوجة، وذهب بها زوجها الطبيب إلى منزل أسرتها لتضع مولودها الأول الذي جاء ذكرا..

وبين فرحة الجميع بالمولود، فجر د. عبده مفاجأة، أصابتهم بالوجوم إذ اختار لولده البكر اسم «عيسى» الأمر الذي جعل أصهاره يتشككون في صحة إسلامه، وقامت ثورة صامتة، حسمها حموه بأن توجه إليه مستنكراً متسائلاً عن سر هذه التسمية، وكأنما كان د. عبده يتوقع مثل هذه الثورة إذ أجاب حماه بهدوء أن لا يخشى شيئاً، فهو مسلم من رأسه لأخمص قدميه، ولن يقبل بغير الإسلام ديناً، وأوضح له أنه منذ اعتناقه الإسلام **قد نذر أن يسمي ابنه البكر «عيسى» حتى يقال «عيسى عبده» تؤكيداً على عبودية عيسى عليه السلام لخالقه.** هنا انفرجت أسارير حميه، وانصرف وهو يشكر الله على الزوج الذي رزقه لابنته، خاصة بعدما علم من د. عبده عن نيته تسمية وليده الثاني «محمداً».

ولم يخلف د. عبده وعده لحميه، إذ أطلق على المولود الثاني اسم «محمد» فاطمأن قلب الأسرة إلى صلاح إسلامه خاصة وأن زوجه كانت تحكي لهم عن الوقت الذي يقضيه في تلاوة القرآن الكريم، وتعليم ابنيه محبة كتاب الله.

بر الوالد المشرك

وشاءت عناية الله وحكمته أن يجيء الخادم إليه ذات يوم ليخبره أن والده قد حضر من القاهرة، وكانت مفاجأة، فها هو الأب الذي ألقى يوماً بولده خارج المنزل وقاطعه سنوات طويلة يجيء إليه بنفسه.

في داخله أيقن د. عبده أن أمراً جليلاً دفع والده إلى الحضور. فهو يعلم دخائل والده جيداً، ويعلم أنه ليس من النوع الذي ينسى أو يتناسى،

ومع ذلك لم يملك إلا أن ينزل لاستقبال والده واحتضانه وسؤاله عن أمه وإخوته.. وبعد قليل صارحه والده بسبب حضوره وهو حاجته الماسة لمال لإنقاذ بيته من البيع في المزاد العلني، ولأنه استنكف أن يطلب مالاً من ولده فقد دعاه إلى شراء البيت حفاظاً على اسم الأسرة ولعلمه أن ولده لن يطالبه بإيجار ولن يطرده إلى الشارع، وما كان من القلب المؤمن إلا أن قام بهدوء وأحضر صرة بها كل ما يملك من مال وأعطاه لوالده قائلاً له أن يدع البيت كما هو باسم الوالد وأن يتقبل المال هدية فضرب الأب كفاً بكف في حسرة وألم فهاهو الابن الذي طرده من المنزل ينقذه من الطرد، وأخذ المال وانصرف.

أزمة عائلية

ولم ينتبه د. عبده إلى أن زوجته قد سمعت ما دار بينه وبين والده من حوار، وأنها رأته يعطي الوالد كل ما في خزانته من مال، فكانت ثورتها عارمة، لأنه بفعلته هذه يحرم أطفاله من مال هو حق لهم، خاصة بعدما سمعت رفضه تسجيل منزل والده باسمه، مع معرفتها بأنه في حالة موت والده لا يحق له أن يرثه انطلاقاً من **القاعدة الشرعية التي لا تورث المسلم الكافر والعكس.** وفي لحظات كانت الزوجة قد لملمت ملابسها وملابس صغيريها وتوجهت إلى منزل والدها.

لم يحاول د. عبده منعها، لإدراكه أنها في حالة غضب شديدة، ولأنه أحس بأنه بالفعل قد أخطأ في حق أطفاله بالتنازل عن كل ما يملك، لكنه تمسك بإيمانه بالله، وبأنه ـ عز وجل ـ لن يتخلى عنه، وهذا ما حدث بالفعل إذ بعد يومين فقط وجد زوجته عائدة برفقة والدها الذي احتضن زوج ابنته معاتباً، وتكلم معه بلغة الأب الحريص على مصلحة ابنه شارحاً بأدب جم أن زوجته لا تعتب على مساعدته لوالده، لكنها تعتب على كونه أعطاه كل ما يملك ناسياً مصلحة أولاده الصغار أيضاً، فصمت د. عبده لحظات ثم خاطب حماه بقوله والله يا عم أنني ما فعلت هذا إلا اتباعاً للأمر القرآني الكريم: **«وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً»** هنا لم يملك حموه إلا أن رفع يديه إلى السماء داعيا الله أن يتقبل منه وشاكراً الخالق أن وهب ابنته زوجاً يملك مثل هذا الإيمان النادر.

وفاته

هكذا كان د. **عبده إبراهيم**. إنساناً مؤمناً يرعى الله في كل تصرفاته وأعماله، وحتى لحظة وفاته وهو بعد شاباً في نحو الرابعة والثلاثين من عمره، مخلفاً وراءه زوجة وأربعة أبناء ذكور وطفلة كانت وقت وفاة أبيها في الأشهر الأولى من عمرها.

مات د. **عبده إبراهيم** شاباً، لكن سنوات عمره القصير كانت ثرة، غنية بالتقى والصلاح وأعمال الخير، مات مخلفاً وراءه ذكرى عطرة وأعمالاً طيبة محال أن تمحى من الذاكرة.

رحم الله د. **عبده إبراهيم**، وجازاه عن حسن إسلامه خير جزاء.

هامش:

بتصرف عن كتاب «رجال ونساء أسلموا» الحلقة الأولى، عرفات كامل العشي، ط ٢ ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣م، دار القلم، الكويت.

الكتابة الجيدة تعلم أم اكتساب ؟

بقلم : د. علي بن صالح الخبتي

تعتبر الكتابة والقراءة على التوالي من أصعب المهارات اللغوية الأربع وأسهلها نسبيًا الاستماع والتحدث . ولأن القراءة والكتابة تعتبران مهارتين إدراكيتين Cognitive skills . ولأن البحث فيهما مرتبط إلى حد كبير بعلم الإدراك Neurology وعلم النفس Psychology وعلم الإنسان Anthropology وعلم الاجتماع Sociology وعلم اللغة Linguistics ولأن هذه العلوم، وخاصة علم الإدراك، ما تزال بدائية فإنه لا يوجد بين أيدينا الآن طريقة واضحة ومتكاملة لتخريج قارئين جيدين أو كتّاب على مستوى جيد بمجرد تخريجهم من أي برنامج تعليمي . . ومع ذلك فإن الأبحاث مستمرة لمحاولة سبر أغوار هاتين المهارتين ومعرفة كُنهِهما .

والقراءة تعتبر أحسن حظًا من الكتابة بالنسبة لنتائج الأبحاث التي تم التوصل إليها وذلك للأسباب التالية :

١ - أن القراءة تعتبر أسهل من الكتابة لأن القراءة عملية استقبال بينما الكتابة عملية إنتاج .

٢ - أشار الباحث الدكتور ستيفين كراشن **Stephen Krashen** إلى أن للكتابة قواعد ورموزًا شفرة **Written Code** لابد من الإلمام بها . . وهذه الرموز تحتوي على عناصر وأجزاء في منتهى التعقيد، ولذا فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال تدريس هذه الرموز في فصل دراسي . وأعطى كراشن مثالاً على هذه العناصر فقال إن واحدًا منها فقط هو الإلمام بقواعد اللغة . . وإذا كان لا بد لمن يتعلم كيف يكتب بطريقة صحيحة أن يتعلم كل ما يعرفه علماء النحو، فإن هذا الدارس يستحق أن يكافأ بدرجة الدكتوراه لقاء هذا العلم . . وفي هذا إشارة واضحة إلى الصعوبة التي لا تزال تواجه الباحثين والمتخصصين في علم اللغات في الحصول على طريقة متكاملة لتدريس مهارة الكتابة .

إن المتتبع لبرامج التعليم في وطننا العربي يجد أن هناك مشكلة مشتركة تتضح من شكوى المهتمين بالقطاع التعليمي من أن الدارسين بشكل عام يعانون من مشكلة الكتابة، ولا بد أننا قد سمعنا مشكلة هنا أو هناك من خريج جامعي يجد صعوبة في كتابة طلب خاص به للالتحاق بوظيفة معينة بعد تخرجه . . ولعل المشكلة بالإضافة إلى ما تعانيه أبحاث هذا المجال كما ذكر سابقًا تكمن في الأسباب الآتية :

أولاً : عدم الإلمام الكامل بماهية وطبيعة الكتابة إلى حد أن البعض يعتبر أن تعليم قواعد اللغة فقط يؤدي إلى زيادة مهارة الكاتب بدرجة كبيرة . . وتجد أن دروس الكتابة وتصحيح أوراق الدارسين تركز بشكل كبير على قواعد اللغة فقط .

ثانيًا : عدم متابعة أبحاث الكتابة ونظرياتها ومحاولة تطبيق ما يتم التوصل إليه من نتائج .

ثالثًا : عدم وجود المدرس الباحث الذي يستطيع أن يبحث بنفسه باستخدام عينات من طلابه عن المشكلة التي يواجهها طلابه بسبب ضعف كتابتهم ويترجم هذه الأبحاث إلى تطبيق عملي يسهم بواسطته في رفع كفاءة طلابه في هذه المادة .

رابعًا : التركيز على عناصر معينة تحتويها قواعد الكتابة لتدريسها وإهمال باقي العناصر.

خامسًا : التركيز على طريق التعلم **learning** وإهمال جانب الاكتساب Aquisition والطرق التي تساعد عليه .

سادسًا : في بعض الفصول الدراسية لا تأخذ مادة الكتابة ما تستحق من الاهتمام بل أن البعض يعتبرها فترة ترفيه، وتوضع في نهاية الجدول الدراسي في آخر اليوم . .

هذه الأسباب مجتمعة في نظري أدت إلى هُزال برنامج تعليم الكتابة وبالتالي ضعف مستوى كتابة الدارسين .

البحث عن الحل

يجب أن نقول في بداية اقتراح حلول لهذه المشكلة أنه لا يوجد ما يسمى **بالحل الصحيح Right Answer** . والأبحاث الموجودة الآن في هذا المجال تختلف باختلاف قناعات الباحثين وفلسفاتهم . . . وقد انقسم الباحثون - وبطبيعة الحال طلابهم - إلى قسمين رئيسيين فهناك المؤيد **لطريقة التعلم** وهناك المؤيد **لطريقة الاكتساب** وهما طريقتان على طرفي نقيض . . ونستطيع أن نقول إن هناك قسمًا ثالثًا كان نتاجًا طبيعيًا لهذين القسمين ونجد فيه الذين بقوا في المنتصف ينتظرون هنا وهناك ليأخذوا مميزات كل طريقة ويسمى هذا الصنف «الانتقائيين» **Ecletic** .

وطريقة التعلم تقضي بتنفيذ عناصر الكتابة وتحليلها وتفتيتها ومن ثم تعليمها عنصرًا عنصرًا حتى يتم الإلمام بها جميعًا .

وفي هذا صعوبة كبيرة لعدم إمكان ذلك ولهذا تعرضت هذه الطريقة للنقد الشديد . . وقدمت طريقة الاكتساب بديلاً عنها لتعليم الكتابة وتحسين مستوى الدارسين في هذه المادة المهمة .

وطريقة الاكتساب تعتمد اعتمادًا كليًا على القراءة . . وقد قال الباحث فرانك سميث Frank Smith : إن القراءة هي الطريق المؤدية إلى الكتابة .

وتوصل الباحث **درسل** (وآخرون) **Dressel** وارنولد **Arnold** إلى أنه ليس هناك فرق بين من يتعلمون الكتابة عن طريق تكليفهم بالكتابة بصفة مستمرة وبين من يتم تكليفهم بالكتابة نادرًا . . وبعبارة أخرى : إن تعلّم الكتابة عن طريق الكتابة نفسها هي طريقة غير مجدية لأن التركيز في هذه العملية هو عن **طريق التعلم Learning** وليس عن طريق **الاكتساب Acquisition** .

وإذا استبعدنا التعلم كطريقة لتعليم الكتابة وتبنينا الاكتساب تبعًا لما توصلت إليه آخر الأبحاث فماذا يعني الاكتساب ؟ وكيف يتم تعليم الكتابة عن طريقه ؟

الاكتساب مصطلح استخدمه علماء النفس في تفسير ظاهرة تلقي اللغة الأم من البيئة المحيطة بالطفل في سنه المبكرة والمراحل التي يمر خلالها الطفل حتى يصل إلى مرحلة تحصيل وهضم النظام اللغوي للغة الأم فهمًا وتحدثًا عند سن الخامسة في الغالب الأعم . . وخلال هذه الفترة وفي جميع مراحل الاكتساب ليس هناك من يشرح للطفل قواعد اللغة وطريقة تركيب الجملة . . فيما نراه عند سن الخامسة وفي آخر مراحل الاكتساب هذه يستطيع أن يفهم جملاً لم يسمعها من قبل ويستطيع أن يركّب جملاً ويتحدث بها ولم يكن قد سمعها من قبل أيضًا . . وتكون لغته سليمة بالرغم من أن النظام اللغوي يحتوي على قواعد لغوية معقدة لا نستطيع إن أردنا اللجوء إلى طريقة

«التعلم» تقديمها للأطفال في هذه السن المبكرة عن طريق توزيعها في منهج وتدريسها لهم . .

أبحاث الكتابة في اللغة العربية

يرجع الاهتمام بالكتابة في اللغة العربية ومعالجة مشكلاتها إلى عصر بعيد. وبالرغم من أن ما كتب حول هذا الموضوع لم يكن خاضعًا لأسس البحث العلمي إلا أنه، وكما أسلفت، يجب أن يستفاد منه بحجة أن هذه الكتابات تعالج مشكلات اللغة العربية . . وضمن من كتب عن الكتابة في اللغة العربية **أبو هلال العسكري** المتوفى سنة ٣٩٥ للهجرة في كتابه «**الصناعتين الكتابة والشعر**». وقد توسع **أبو هلال العسكري** في شرح الكثير من الوسائل البلاغية التي يجب معرفتها، إلا أنه أيضًا خصص بعض الفصول لشرح القواعد الأساسية للكتابة والأدوات التي يحتاجها الكاتب . . وذكر أن أهم خاصية يجب أن يتمتع بها الكاتب هي معرفته للغة العربية ليتمكن من تصحيح ألفاظه والوصول إلى المعنى . . وكذلك معرفة الحساب وعلم المساحة والأزمنة والشهور. . كما أكد على ضرورة معرفة قواعد التخاطب التي يجب أن تتبع في مختلف أنواع الكتابة كالأمر والنهي والشكر والاعتذار. . وذكر أن الكاتب يجب أن يتمكن من مخاطبة كل فريق في المجتمع باللغة التي تتناسب ومكانته الاجتماعية . .

ويرى **الدكتور بدوي طبانة** أن استخدام اللغة في الأداء واستخدام الصور البلاغية والألفاظ الملائمة «عبقرية» لا تعلم وإنما هو ذوق يكتسب عن طريق مخالطة الأدباء وقراءة روائع الفنون الأدبية والاطلاع على أمثلة البيان الخالد الذي يؤدي إلى إرهاف الذوق وسعة الأفق ومعرفة الطريقة التي تؤدى بها المعاني الدقيقة . . وقال **الدكتور طبانة** «**ولقد علمت أن الجاحظ والبديع والخوارزمي في الكتّاب، وأبا نواس وأبا تمام وأبا العلاء في الشعراء كانوا مضرب المثل في كثرة القراءة وسعة الحفظ وكان «فلوبير» لا يقع في يده كتاب إلا استوعبه ولم يعالج «روسو» الكتابة إلا بعد أن حفظ مونتيني وبلوتارك**» ص ٣٦٣.

ويتفق الدكتور **محمود الصيني** مع الدكتور **طبانة** في الإلمام بالكتابة عن طريق الاكتساب لكن الدكتور **الصيني** يرى أن أفضل وسيلة للإلمام باللغة واكتساب مهاراتها هي الإلمام بكتاب الله الكريم . . ويقول الدكتور الصيني «**وهذا أيضًا يفسر لنا السلاسة اللغوية (في القراءة والكتابة) التي يكتسبها الكثيرون ممن يحفظون القرآن الكريم أو يكثرون من تلاوته بصوت مسموع**» ص ٢٢١ . كما يرى الدكتور الصيني أن اكتساب المتعلمين قوة لغوية عن طريق القرآن الكريم مسئولية تتحملها وسائل الإعلام والأجهزة التعليمية .

وأجدني أميل إلى ما ذهب إليه **الدكتور الصيني** لسببين. الأول: اتفاق ما ذهب إليه مع الأبحاث والدراسات التي أشارت إلى أن مهارات الكتابة تكتسب ولا تعلم. ثانيًا: بما أن الأبحاث أشارت إلى وجوب ربط المتعلم لمهارات الكتابة بنماذج جيدة من النصوص حتى يستطيع أن يكتسب أسرار جودتها فإن الدكتور الصيني قد خلص إلى أن القرآن الكريم يكسب هذه المهارة . . ونحن جميعًا نعرف تمام المعرفة أنه لا يوجد نص يتصف بعمق الفكرة، ووضوح المعنى، وجزالة اللفظ وعذوبته وحسن التراكيب وبلاغتها أفضل من كتاب الله الذي تحدى الله سبحانه وتعالى به الثقلين في أن يأتوا بمثله فقال في سورة الإسراء: ﴿**قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا**﴾ آية (٨٨).

وبسبب عمق معاني القرآن كانت تؤلف كتب في النحو والصرف والبلاغة يستفاد منها في الوصول إلى معاني القرآن وإعجازه كما ذكر لنا ذلك **أبو هلال العسكري** حين قال «**إن أحق العلوم بالتعلم وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله الناطق بالحق الهادي إلى سبيل الرشد**» ص ٩ . ومن الكتب التي كتبت في هذا الصدد كتاب «**النكت في إعجاز القرآن**» للرماني وكتابي «**أسرار البلاغة**» و «**دلائل الإعجاز**» لعبد القادر الجرجاني و «**الكشاف**» للزمخشري و «**تأويل مشكل القرآن**» لابن قتيبة الدينوري .

وخلاصة القول نرى ما يلي :

١ - أن طريقة الاكتساب بلا شك طريقة جديدة وواعدة لكنها تحتاج إلى المزيد من الأبحاث . . وتبنيها والتركيز عليها من قبل المهتمين والباحثين في هذا المجال قد يؤدي إلى تلافي بعض العيوب والإجابة على بعض الاستفسارات التي ما تزال بدون إجابة .

٢ - رأينا من خلال استعراضنا لبعض الكتابات والأبحاث والدراسات أن اكتساب مهارات الكتابة يتم عن طريق قراءة نصوص جيدة . . وإذا كنا نتفق على أن القرآن الكريم هو خير نص مكتوب بالعربية على الإطلاق فإنه من الضرورة بمكان إيجاد طريقة علمية يتم بواسطتها الاستفادة من قراءة القرآن الكريم والتعرف على أسرار سلاسة اللغة ومتانتها . . والطريقة التي تؤدي بها وحدة الموضوع ووحدة التركيب والمعاني البليغة مما هو موجود في كتاب الله ومن ثم اكتسابها . كما أنني أرى، إلى جانب ذلك، إعطاء الدارسين بعض النصوص التي كتبها كتاب يحفظون القرآن الكريم لاطلاع المتعلمين على الكيفية التي تم بها انعكاس الإلمام بالقرآن الكريم على كتاباتهم .

٣ - متابعة الأبحاث والدراسات التي قدمت في هذا المجال في مختلف الجامعات للاستفادة من منهج بحثها العلمي وإعادة تطبيقها على طلابنا باستخدام نصوص عربية .

٤ - إعادة النظر في طريقة ومنهج مادتي القراءة والكتابة وذلك بالاستفادة مما خلصت إليه الأبحاث والدراسات إلى هذه اللحظة .

المراجع العربية

١ - القرآن الكريم

٢ - أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر (الطبعة الثانية)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٤م.

٣ - د. بدوي طبانة: البيان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى (الطبعة السابعة)، دار الرفاعي الرياض ١٩٨٨م.

٤ - د. عبدالعزيز عتيق: علم البيان (الطبعة الأولى)، دار النهضة العربية. بيروت ١٩٨٥م.

٥ - د. محمود إسماعيل الصيني: «الكتابة العربية وأثرها في تكوين العادات اللغوية السليمة» في مجلة كلية الآداب السعودية، السنة الرابعة، المجلد الرابع الرياض ١٩٧٥ - ١٩٧٦م - ص ٢١٧ - ٢٣٦ .

المراجع الأجنبية

(1) 8 Arnold, L. Writers cramp and eyestrain 8 are they paying off0 English Journal 1964. 53:10-15.

(2) 8 De Vries, T. Reading, writing frequency and expository writing. Reading Improvement 1970. 7: 14-19.

(3) 8 Dressel, P., Schmid, J., and Kincaid, G. The effect of writing frequency upon essay 8 type weiting proficiency at the college level. Journal of Educational Research 1952. 46:285-293.

(4) 8 Krashen, S. Principles and Practice in Second Language Acquisition New York: Pergamon Press. 1982.

(5) 8 Krashen, S. Writing: Research, Theory, and Application. Oxford: Pergamon Institute of English. 1984

(6) 8 Smith, F. Reading like a writer. Language Arts 1943. 60: 558-567.

البيّنة

● **هل البيّنة هي الشهود ويكفي هذا عند الحاكم؟**

محمود بن عبد المقصود سليمان

ج.م.ع، المنوفية

□ ذكر في كتاب [المحلّى] لابن حزم أن البينة يُراد بها الشهود والقاضي بعلمه، أي علم القاضي مع الشهود (جـ ٩/ ٤٢٨)، وكذا جاء في **الروض النضير** (جـ٣/ ٤٢٣)، وقال **ابن فرحون والزيلعي** بأن البيّنة اسم لكل ما يُبين «**تبيين الحقائق**» (جـ٤ ص ٩١)، **والطرق الحكمية** ص (٢٨ و ٨٣) وكذا **تبصرة الحكام** (جـ١ ص ٢٠٢).

والذي يتبين لي أن البينة هي الشهادة المكتملة الشروط بحق.

وهذا يكفي عند الحاكم إذا حصل وكان المدَّعى عليه سليم العقل والنفس، وقد وردت الشهادة في أكثر من آية كما في سورة **البقرة آية ٢٨٢ و٢٨٣ والطلاق آية ٢**.

وكذا حديث: «**البينة على المدعي واليمين على من أنكر**» وهو صحيح وهو عند **البيهقي** بسند صحيح.

والمقصود أن القضية إذا جعلت بين شخص وآخر فجاء أحدهما بشهود بالغين مسلمين عدول مميزين عقلاً أُمناء فهذه بينة قوية مالم تُرد بأقوى منها من الشخص الآخر.

حكاية ابن الصياد

● **جرى كلام طويل حول ابن الصياد هل هو المسيح الدجال الذي سوف يظهر أم لا؟**

حمود حمدي بدران

سليم براك زيدان

ج.م.ع.، المنصورة

□ يقول **الإمام القرطبي** فيما نقله في **فتح الباري** ٦/ ١٧٣ «كان ابن الصياد على طريقة الكهنة يخبر بالخبر فيصح تارة ويفسد أخرى، فشاع ذلك ولم ينزل فيه وحي إلخ». **وابن جرير الطبري** يرى أن **ابن الصياد** إنما هو كاهن، كذلك قال **الخطابي** الذي توسع في طرح أمره (**ابن الأثير الجزري** في **جامع الأصول** ١٠/ ٣٦٢) وهذا رأي **الحافظ البيهقي** (**فتح الباري** ٣/ ٣٢٦)، وهذا هو ما مال إليه **الإمام النووي** (**شرح مسلم** ١٨/ ٤٦) وهذا الذي أميل إليه وتدل عليه النصوص.

جاء في كتاب **الفقه لأبي نعيم بن حماد** فيما بينه **ابن حجر** قال «**ذكر نعيم بن حماد شيخ البخاري** في كتاب **الفتن** أحاديث تتعلق بالدجال إلى قوله: وهذا لا يمكن مع كون **ابن الصياد هو الدجال** ولعل هؤلاء [يريد **ابن حجر** من قال من العلماء أنه الدجال] مع كونهم ثقاة تلقوا ذلك من بعض أهل الكتاب».

قلت وقد يكون اجتهاداً منهم على ما غلب على ظنهم من حال **ابن الصياد وهيئته**.

وهذا ما توصلتُ إليه في حال ابن الصياد وبالرجوع إلى ما أشرت من مراجع تكون الصورة أكثر تفصيلاً.

أصح الأسانيد

● **ما هي أصح الأسانيد التي ثبتت؟**

س.أ.ن، أ.م.ن

الرياض - كلية أصول الدين.

□ من أحسن ما وقفت عليه جواباً عن هذا السؤال ماقرأتُهُ في كتاب **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** ص ٤٩٣ جـ١، جاء ما نصه: **اختلف العلماءُ في أصح الأسانيد فقال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري** أصح الأسانيد: **مالك عن نافع** مولى ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهم.

وقال **الإمام أحمد أصحها: الزهري عن سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنهم**.

وقول **عبد الرزاق بن همام اليماني**: أصحها ما رواه زين **العابدين على بن الحسين** عن أبيه حسين **عن علي رضي الله عنهم**.

وقول **عمرو بن علي الغلامي**: أصحها ما رواه **محمد بن سيرين البصري عن عبيدة السلماني الكوفي عن علي** رضي الله عنهم.

وقول **يحيى بن معين**: أصحها ما رواه **سليمان** ابن مهران الأعمش عن إبراهيم النخعي **عن علقمة عن قيس عن ابن مسعود** رضي الله عنهم أجمعين.

قال **زكريا الأنصاري** في شرح ألفية العراقي: والصواب عدم التعميم مطلقاً بل يُقال أصح الأسانيد عند البخاري **عمر عن سالم عن أبيه**.

وأصح أسانيد المكيين سفيان بن عيينة عن **عمرو بن دينار عن جابر رضي الله عنهم أجمعين**.

وأصح أسانيد المدنيين **مالك عن نافع** عن **ابن عمر**.

وأصح أسانيد المصريين الليث بن سعد عن **يزيد بن أبي حبيب** عن **أبي الخير عن عقبة بن عامر** رضي الله عنهم.

وأصح أسانيد اليمانيين **معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة** رضي الله عنهم.

ولعل هذا من أحسن ما نظرته مختصرا لمثل هذا السؤال، ويمكن لكما ولبقية من معكما من الطلاب البحث والتوسع في مطولات الجرح والتعديل، والضعفاء والمتروكين، وكذا نظر كتب المصطلح ومن أهم ما قرأته (**علوم الحديث**) لابن الصلاح وكذا (**قواعد التحديث**) **لجمال الدين القاسمي**، وعودوا كذلك إلى (**نصب الراية...**) **للزيلعي** وكذلك (**المغني عن حمل الأسفار في الأسفار**) **للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي**.

تجربة محمد سعيد العريان في
الرواية التاريخية

بقلم: د. حلمي محمد القاعود

لا ريب أن «محمد سعيد العريان» وجد في الرواية التاريخية مجالا أرحب وأفضل للتعبير عن مشاعره وآماله وطموحاته تجاه وطنه وأمته، وهو المجال الذي كان هدف كتاب كثيرين في زمانه وبعد زمانه، ولا ريب أنه كان على دراية بما يكتبه كُتَّاب الرواية التاريخية الآخرون من أمثال علي الجارم ومحمد فريد أبي حديد وعلي أحمد باكثير ونجيب محفوظ وغيرهم.

كذلك فإن علاقته بوزارة المعارف (التعليم الآن) ووجود «علي الجارم» أحد كبار مفتشي اللغة العربية وأحد رواد الكتابة للرواية التاريخية، كان فيما يبدو من العوامل التي جعلت «محمد سعيد العريان» على دراية جيدة بالمنهج والأسلوب في كتابة الرواية التاريخية، فضلاً عن كونه حافزاً على إبداعها..

أنتج «العريان» أربع روايات تاريخية فضلا عن مجموعة قصصية بعنوان «من حولنا» والروايات الأربع هي: قطر الندى (١٩٤٥) وعلى باب زويلة (١٩٤٧) وشجرة الدرّ (١٩٤٧) وبنت قسطنطين (١٩٤٨) وتصور الروايات الأربع مراحل تاريخية مهمة في حياة الأمة الإسلامية عامة، ومصر خاصة، فالروايات الثلاث الأولى (قطر الندى، على باب زويلة، شجرة الدرّ) تحكي مراحل تاريخية من العصر الطولوني وبداية ونهاية العصر المملوكي، أما الرواية الرابعة، فتتناول المبادرة التاريخية الفذّة، والتي لم يُكتب لها التوفيق، في عصر الدولة الأموية، حيث حاول المسلمون افتتاح القسطنطينية عاصمة بلاد الروم، وهي المحاولة التي كررها فيما بعد «محمد الفاتح» الخليفة العثماني واستطاع أن يفتحها ويصل إلى قلب أوروبا.

وإذا كانت روايته «بنت قسطنطين» تقدّم الحلم الذي تسعى إلى تحقيقه إرادة ظافرة ومبادرة شجاعة من جانب الأمة وهي في حال قوتها ونضارتها، فإن الروايات الثلاث الأخرى - فيما يبدو - كانت تمثل بالنسبة للكاتب، أو من وجهة نظره، الجانب المأساوي الحافل بكل ملامح المأساة في حياة الأمة حيث كانت تتردد بين الطموح واليأس، والأمل والإحباط، فشهدت كثيراً من الهزائم والمحن والضيق والآلام، وأيضا فقد عرفت إلى حد ما، ومضات خاطفة من النصر والعزّة والسعة والآمال.. (شجرة الدرّ)



علي الجارم

محمد فريد أبو حديد

محمد الفاتح

علي باكثير

وفي رواية «قطر الندى» يتناول الكاتب قصة قيام الدولة الطولونية وسقوطها، ويُبيِّن أسباب قوتها في أول عهدها، واضمحلالها بعد موت مؤسسها، ويؤكد على تميّز مصر وطابعها الخاص عن سائر دول الخلافة، فلم تنمح شخصيتها، ولم تزل عنها صفاتها الأصلية، وظل لها كيانها واستقلالها وتأثيرها البعيد المدى فيما حولها، وما بَعُدَ عنها من بلاد الدولة، ويشير إلى العوامل السياسية والاقتصادية والإنسانية التي مهّدت لذلك الاستقلال وأعانت عليه، ثم تطورت به فقضت عليه.

وإذا كانت الرواية تهدف إلى عرض قصة الفتاة «قطر الندى» ابنة «خمارويه» الطولوني، وزواجها من الخليفة العباسي في بغداد، فإن المؤلف يشير صراحة في مقدمته للرواية بأن أحداث القصة ليست مجرد سرد لما جرى لقطر الندى «فهي قصة فتاة وقصة أُمَّة».

وفي رواية «على باب زويلة» يصور محمد سعيد العريان سقوط دولة المماليك وقيام الدولة العثمانية في مصر، ويركّز المؤلف على صراع المماليك فيما بينهم كأمراء مجلوبين يتنافسون على السلطة والعرش، وكعبيد أرقّاء يتنازعون على المستوى الشخصي، ويقدِّم صوراً كثيرة لهذا الصراع علنيّة وخفية، في الفترة منذ حكم السلطان قايتباي حتى سقوط دولة المماليك،

ويكشف حال **الشعب المصري** طوال هذه المرحلة وما مرّ به من محن وآلام نتيجة لصراع حكامه وأمرائه.

أما رواية «**شجرة الدّر**» فتصور المرحلة الفاصلة بين انتهاء الدولة الأيوبية وقيام الدولة المملوكية من خلال شخصية «**شجرة الدر**» التي كانت أول **ملكةٍ في مصر الإسلامية**، وتحكي كيف استطاع المماليك الأتراك والكرد والجركس أن يشكّلوا قوة طاغية تؤثر في مسيرة السلطة ومواجهة الغارات الأجنبية التي يشنها **الصليبيون والتتر وحكام المماليك والإمارات** المجاورة. كان وضع «**شجرة الدر**» مثيرا وغير عادي، وكان الظرف الذي تولت فيه صعبا والسلطان في النزع الأخير، أو هو ميت مسجّى، حنطته زوجته، وحكمت باسمه من وراء ستار، والمستقبل غامض مجهول، **ولويس التاسع** يقود الحملة الصليبية السابعة، ويتقدّم من **دمياط نحو المنصورة مروراً بفارسكور**. ليكون قتال وسجال وانتصار لمصر يسجله التاريخ بأحرف من نور.

مشاعر مقحمة

هكذا تتجه الروايات الثلاث «**قطر الندى**»، «**على باب زويلة**»، «**شجرة الدر**» وجهة تعبّر عن جانب مأساوي في تاريخ أمتنا، حافل بالصراع والأبطال والأحداث والعبر والنتائج، ولأن هذا الجانب قد ألحّ عليه الكاتب بصورة مكثفة إظهارا لعنصر الجهاد ومواجهة أعداء الأمة المغيرين (**الصليبيين خاصة**) فإن ربط هذا العنصر بالوضع الداخلي الذي يراه - كما تصوّر الروايات - أساساً لما يجري في الخارج وعلى الحدود، ولهذا فقد استأثر الوضع الداخلي بالكثير من الاهتمام والتصوير، وبيان الأبعاد والملابسات التي تؤدي للازدهار والرخاء أو تقذف إلى الحضيض والهوان..

ويبدو لي أن رواية «**على باب زويلة**».. كانت أكثر الروايات تعبيراً عن هذا الجانب الذي يصوّر الحركة في المجال الداخلي من خلال **الشعب المصري** الذي يشاهد صراعاً عنيفاً وعجيباً بين حُكامه، ويدفع هو ثمن هذا الصراع كضحية مقهورة لا حول لها ولا شأن..

ويزداد إلحاح الرواية على إبراز المشاعر الوطنية من خلال التعبير عن مشاعر بعض الشخصيات وأحاسيسها، **وهي مشاعر تبدو مقحمة على طبيعة العصر الذي كانت تسوده قيم أخرى أكثر أهمية بالنسبة للأفراد والشعوب، فلم تكن هناك غضاضة أن يتولى شخص ينتمي لأية جنسية الحكم في البلاد ما دام مسلما وملتزما بتحقيق الغايات التي يهدف إليها كل حاكم صالح يسعى لبناء دولته وتقويتها ومواجهة الأخطار وإشاعة العدل والرخاء بين الجميع.**

ويكاد يجمع المؤرخون والمعنيون بالدراسات السياسية على أن الروح القومية في **العالم الإسلامي** لم تظهر بوضوح إلاّ مع أوائل القرن العشرين، بعد ظهورها في **أوروبا** وتأكّدها على مدى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

على أن **محمد سعيد العريان قد صوَّر** حالة مصر، بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات، تحت حكم المماليك، ودولتهم توشك على الغروب، بعد أن ذاق المصريون عذاب حكامهم وعانى من ويلات صراعهم الوحشيّ..

دور المرأة

إن البطل في هذه الرواية وغيرها من روايات محمد سعيد العريان ليس هو الشخصية الإنسانية المصنوعة من لحم ودم، بالرغم من أهميتها، ولكنه الأحداث والمواقف التي تصنعها الشخصية الإنسانية، **فطومان باي - في باب زويلة - أو شجرة الدرّ، أو قطر الندى،** ليس هو البطل الذي تركّز عليه الرواية أو يستولي على اهتمامنا بالدرجة الأولى، ولكنها أحداث عصر، ومصائر أُمّة، تشدنا شداً ما بين ارتفاع وهبوط، وسموّ وسقوط، ونبالة وسفالة، وإخلاص وكيد، وجهاد وتخاذل.

إن الأشخاص ثانويون في كل الروايات، أما الأحداث بما فيها من انتصارات ونكبات، ومدّ وجزر، فهي البطل الأول الذي يأخذ بالألباب ويستولي على الأفئدة.

ومع ذلك فنحن حين نلتقي بالشخصيات الروائية، نستشعر مع بعضها نوعاً من التناغم والإحساس باللمسات الإنسانية التي تكاد تنطقها وتبعثها حيّة أمامنا، بالرغم من أن الكاتب رسم معظمها من الخارج، أو وصفها من الخارج وصفاً مركّزاً يتسق مع سرده للأحداث والوقائع التي مرّت بها، وتتدرج في سلك عام، هو سلك الرواية، على أن روايات محمد سعيد العريان مكتظة بالشخصيات والأسماء لدرجة أنه أضاف في بعض رواياته فهرساً للأعلام التي ورد ذكرها، ووصل عدد الشخصيات في بعض الروايات (قطر الندى) إلى أكثر من خمسين شخصية، كل منها له دور، وله موقف!

وقد حظيت المرأة باهتمام بالغ في روايات العريان، ويكفي أن تكون أسماء روايات ثلاث من رواياته أسماء نساء (**بنت قسطنطين، شجرة الدرّ، قطر الندى**)، والمرأة بصفة عامة تأخذ موقفاً متطرفاً، فهي إما فاعلة وإيجابية إلى حدّ الدخول في بؤرة الضوء (**شجرة الدرّ**) أو منقادة وسلبية (**قطر الندى**) ويتراوح بين هذا النوع وذاك، نماذج للمرأة يحركها الطموح والإرادة، أو يسيّرها الواقع والتقاليد كمعظم شخصيات المرأة في رواية (**على باب زويلة**) وأبرز شخصيات المرأة فيها «**نور كلدي**» والدة «**طومان باي**» التي وصلت إيجابيتها إلى مدى أسطوري بإصرارها على البحث عن ابنها، ثم نجد شخصيته «**مصرباي**» تلك الجارية التي حملها النخّاس (تاجر الرقيق) من **بلاد الكرج** ليبيعها في **بلاد الشام**، فعبّرت منذ البداية عن طموحها وأحلامها بالوصول إلى سدّة الحكم، فتزوجت عددا من الحكام الذين أوصلوها إلى ما تريد الواحد بعد الآخر دون أن تعبأ بعواطف أو مشاعر، ومعظم الشخصيات النسائية في الرواية تنتسب إلى الجواري، ولكن حركتهن وتأثيرهن في الأحداث يجعل منهن شخصيات «فوق العادة» غالباً.

الرسم والتلوين

يأتي السرد عند محمد سعيد العريان في «على باب زويلة» متتابعاً يحكي الأحداث بترتيبها التاريخي إلى حد بعيد كما وردت في كتب التاريخ، ويُعدُّ كتاب «**بدائع الزهور في وقائع الدهور**» لابن

إياس، من أهم الكتب التي تناولت تلك الفترة، كذلك كتاب «ابن زنبل» آخرة المماليك ــ الذي حققه عبد المنعم عامر، يعدُّ من الكتب التي صاغت سقوط مصر في أيدي العثمانيين صياغة شبه روائية . .

أقول يحكي العريان الأحداث بترتيبها التاريخي، لكن في إطار من السرعة المتلاحقة حتى لتبدو الفصول كمشاهد فيلم سينمائي طويل، يقطع المؤلف رتابته باللقطات القصيرة الخاطفة، التي يكثف فيها الحدث ودلالته فيحقق نوعا من التشويق والمتابعة، وساعد على ذلك خلوّ الرواية - على باب زويلة - من الحشو والإسهاب والتطويل .

ويقوم السرد على استخدام ضمير الغائب، ككل أو معظم الروايات التاريخية، مما يتيح للكاتب فرصة الحركة في الرسم والتصوير والتلوين، يساعده في ذلك أسلوب بيانيّ رفيع، فالعريان من الجيل الثاني في «مدرسة البيان في النثر الحديث» ويعتبر الصورة المنقّحة لأستاذه «مصطفى صادق الرافعي» فقد تأثر به إلى حد كبير . .

هذا الأسلوب البياني، أعطى للعريان قدرة فائقة على «الوصف» وبخاصة وصف المواكب والاحتفالات والأشخاص والمناظر والمدن، ولكن أداءه السردي، يجعله أحيانا يقع فيما يشبه التقرير، وبخاصة حين يبدأ بعض الفقرات بصياغة نثرية صرف، وإن كان بعض المحدثين يراها نوعاً من التجديد، كما نرى في النماذج الروائية التي استلهمت التاريخ دون أن تلتزم حوادثه .



وترتبط بهذه الناحية استخدام التأريخ باليوم والشهر والسنة، ليذكر زمان الحدث، مما يعني أن ما يكتبه لا مجال فيه للخيال، وإنما هو تاريخ حقيقي صنعه أشخاص من لحم ودم، ويمكن أن نجد أمثلة عديدة على ذلك في ثنايا الرواية .

ومهما يكن من أمر هذا التأريخ، فإن أسلوب محمد سعيد العريان الروائي أقرب إلى التعبير الحقيقي عن الجوّ القصصي بصفة عامة، على العكس من أسلوب «علي الجارم» الذي بدا أقرب إلى النماذج التعليمية والكليشهات البيانيّة. لقد طوع «العريان» أسلوبه البياني للقصّ الروائي، حيث حقق نظماً أسلوبيا لا نشعر فيه بالنبوّ أو النشاز، حتى لو استخدم بعض المفردات التي يقلّ استخدامها، ولكن السياق العام يتدفق، في السرد أو الحوار والصياغة على وجه العموم .

لقد كان «العريان» تلميذا للرافعي -رحمه الله - وكتب عنه كتابه المشهور «حياة الرافعي» وكان ملازما له في كثير من الأحيان باعتباره «سكرتيره» الخاص، فقد كانا من محافظة واحدة، ومن تيار واحد، فتسرّب أسلوبه وروحه التعبيرية وربما روحه الفكرية، ومن ثمّ، فقد ظهرت آثار الرافعي الأسلوبية في كتابة العريان، وهي ما نعثر عليه في كثير من المواضع حيث يعدُّ امتدادا للرافعي ولكن بصورة منقّحة - كما قلت من قبل - وأكثر سلاسة وفطرية وأقل إغراقا في عملية التقطير والتركيز والتوليد . .

ولأن رجال مدرسة البيان، قد جعلوا من القرآن الكريم النموذج الأعلى الذي يحتذونه، فإنهم تأثروا كثيرا بالتعبيرات والصور الفريدة في آياته الكريمة، ولمحمد سعيد العريان كما لعلي الجارم وعلي أحمد باكثير و محمد عبد الحليم عبد الله وغيرهم دورهم في هذا المجال، الذي ارتقى بأساليبهم الروائية وأضفى عليها مذاقا تعبيريا فريدا .

آلة سحق السيارات

تقوم آلة سحق السيارات Car Crushing Machine بتحويل الجسم المعدني للسيارات غير المستعملة ـ أو المستهلكة ـ إلى قطع من الحديد الخردة Scrap لإعادة صهرها من جديد. وهناك ثلاث طرق لتنفيذ تلك العملية وهي:

١ ـ الحزم في بالات Baling.

٢ ـ القص Shearing.

٣ ـ التقطيع إلى قطع صغيرة Frangmentation.

وأيا كانت الطريقة المستخدمة؛ فإن العنصر الحيوي الأساسي في تلك العملية هو تقليص عنصر المخاطرة الناتج عن حدوث انفجار يحتمل وقوعه عند فك خزان الوقود في السيارات، كما يتطلب الأمر فك البطاريات وخزانات تبريد الماء Radiators لما لها من قيمة تجارية، إضافة إلى الدواليب Wheels والإطارات المطاطية Tyres وصناديق التروس Gear Boxes.

الحزم في بالات

قبل إتمام هذه العملية، تُمرر أجسام السيارات على حزام حامل من خلال فرن الإحراق Incinerator، حيث يتم إحراق جميع الأجزاء العازلة، ومواد التنجيد Upholstery والأجزاء القابلة للاشتعال.

وبعد خروج أجسام السيارات من الفرن، تُغمر في الماء لإزالة القاذورات ومتخلفات الحرق والأسلاك النحاسية. ثم تنظف الأجسام يدوياً من كافة العوالق الأخرى غير المعدنية.

بعد هذه العملية، تقوم رافعة (ونش) ذات خُطاف، أو وحدات ممغنطة، بنقل الحمولة (التي تكون ضخمة الحجم). وبعد عملية التحميل تلك، يُنزل الجزء العلوي إلى المكبس ـ أولاً ـ حيث يكبس جسم السيارة إلى كتلة لا يزيد ارتفاعها عن (٤٦) سنتيمتراً، أما جانبا السيارة فيتم إغلاقهما وكبسهما إلى ما لا يزيد على عرض (٦١) سنتيمتراً. وبذلك يتحول جسم السيارة إلى كتلة بمقاسات (٤٦ × ٦١ × ٦١) سنتيمتراً.

جدير بالذكر أن تلك العملية تستغرق حوالي الدقيقة وربع الدقيقة، أي أن المصانع العاملة بهذه الطريقة تستطيع التعامل مع (٥٠٠) جسم سيارة في اليوم الواحد بما يبلغ وزنه ثلاثمائة وخمسين طناً.

طريقة القص

في المصانع العاملة بهذه الطريقة، تتم المرحلة الأولى التي تتم في عملية الحزم في بالات حتى مرحلة التنظيف اليدوي من العوالق المعدنية. بعد ذلك يُدخل الجسم إلى صندوق ضغط هيدروليكي طوله ١,٦×١ ,٢ متراً، وهناك يكبس ارتفاع الجسم حتى يصبح بين ٦١ و ١١٢ سم. وبعد ذلك يتحرك نصل ليقطع الكتلة إلى أجزاء تتراوح بين ٢٣ و ٦١ سنتيمتراً، حيث يتم بعد ذلك تحميلها مباشرة على حاويات في انتظارها. وأثناء عملية التحميل هذه يكون جسم آخر قد دخل إلى الفرن والمقص ليتم ضغطه وقصه، بحيث تتم عملية ضغط وقص الجسم الواحد للسيارة في غضون ثلاث دقائق، لكي يعالج المصنع من هذا النوع مائتي سيارة في اليوم الواحد.

طريقة التقطيع

تعد هذه الطريقة أكثر طرق سحق السيارات تطوراً. ففيها يتم إفراغ السيارات من خزانات تبريد الماء، والبطاريات والأجزاء الأخرى ذات القيمة التجارية في مدة لا تتجاوز نصف الدقيقة. والمصانع من هذا النوع مزودة بمطارق دوارة تعمل بواسطة محركات كهربائية ضخمة وبسرعة تتراوح بين ٤٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ دورة في الساعة الواحدة، حيث يُقطَّع جسم السيارة إلى قطع في حجم كف يد الإنسان. أما فتات الحديد الناتج عن عملية التكسير تلك فيتم نقله فوراً بواسطة سير (أو حزام نقل) إلى فرن يعمل بالغاز، يتم فيه أيضاً حرق الأجزاء غير المعدنية.

ولتلك المصانع مزايا عديدة نذكر منها ما يلي:

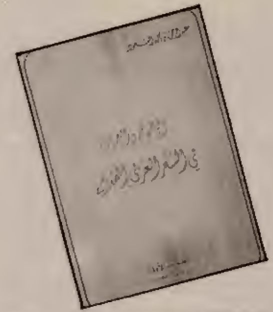
ـ المزيد من الإنتاج مع القليل من جهد العمل.

الاستفادة من خردة الحديد والأجزاء الصغيرة الناتجة عن تكسير أجسام السيارات.

■ ■ ■

أجسام السيارات بعد خروجها من أحد مصانع التقطيع.





● العنوان: الوضوح والغموض في الشعر العربي القديم.
● المؤلف: عبد الرحمن بن محمد القعود.
● الناشر: المؤلف.
الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

القضية قديمة : دأبت دور النشر المختلفة على الإصدارات التي تقف عند الغموض في الشعر بين مؤيد له معارضاً للوضوح ، ومعترض عليه يرفضه ويعتبره دليل عجز أو قصور في شاعرية الشاعر ، بل في أدبية كل أديب . ولقد اهتمت الجامعات بهذه القضية على مستوى الإبداع والنقد جميعاً ، واتسعت مجالات النقاش فيها اتساعاً أفضى بالقضية إلى متاهات ربما كان أهونها ما اتصل بالرمزية واعتبارها الغموض منزعاً تعبيرياً تخطط له معاناة الأديب .

هذا الأديب لا يتعامل مع الواقع راصداً مفرداته المرئية بلا تمحيص ولا مراجعة ، وإنما هو يعبر عن الواقع بطريقة تمكِّنه من أن يعيد صياغة العالم من خلال ذاته ، أي من خلال إحساسه به وقد تحرر من شروط وجوده المألوف !

القضية على أية حال قديمة ، وقد نبّه مؤلف الكتاب الذي بين أيدينا إلى ذلك وذكر أنها «تتجدّد وستظل هكذا ما بقي شعر وشاعر ، وناقد ومتلق» ص(٥) . ثم هي من ناحية أخرى لا تعد دليل عجز أو اثر إحباط لتجليات الجديد إلا لمن «يقلد» غيره على غير أساس فكري ، أو فلنقل إلا للمتطفلين على مائدة الشعر وهم يجهلون أولياته ، بل يجهلون أسباب الفن التي تنهض على ضرورة أن يفسر الفنان «العالم» من خلال موقف معيّن في لحظة ما وعلى قدر انفعاله ومعاناته .

فصول الكتاب : على أن عبدالرحمن القعود يقصر بحثه على القديم من شعرنا العربي ـ كأنما أراد التأصيل بحسه التاريخي ـ ولم يتجاوز به القرن السابع الهجري . ولقد أقامه على ثلاثة فصول ناقش في أولها (ص ٩ ـ ١١٣) قضية الوضوح ، ودلل على أن شاعرها النموذجي هو البحتري . وكان في ذلك مشايعاً للقدماء أنفسهم الذين اختاروا البحتري ممثلاً للشعر القديم ولشعرائه ، وردّ الوضوح عنده ـ وعند غيره ـ إلى أسباب تضرب في الألفاظ والتركيبات جميعاً .

وأما الفصل الثاني الذي عقده المؤلف فهو بعنوان الغموض (ص ١١٥ ـ ٢١٤) توقف فيه عند بعض الشعراء في العصر العباسي وفي مقدمتهم أبو تمام . بل جعل أبا تمام الشاعر الأوّل الذي عقّد في تأليف الألفاظ ، وفي مجال المعاني شخصها ووظف ثقافة عصره ـ وقد كان بحراً فيها ـ في إحكام عمليات استغراقه لها . وعلى هذا النحو صار أبو تمام نموذج المرحلة ، كما كان سبباً مباشراً في وضع قضية الغموض على خارطة النقد العربي القديم .

ويبدو على نحو من الأنحاء أن هذا الشاعر العظيم كان أحد المؤثرين في فكر الصابي عندما قرر أن أفخر الشعر هو ما غمض فلم يعطنا غرضه إلا بعد مماطلة ، وزاد الصابي فقرر أن الغموض هو الفيصل بين الشعر والنثر ، ونقضه في ذلك جماعة منهم ابن سنان الخفاجي ، وابن الأثير .

تقويم عام : ويبدو الكتاب بعد ذلك قائماً على استيعاب ما دار حول محوري التعبير وضوحاً وغموضاً ، دون أن يؤثر ذلك في الارتفاع بشاعرية الشاعر القديم أو الهبوط بها . ووزع ما جمعه من نقول على محوري الوضوح والغموض ، فرأينا في محور الوضوح شرط التسهل ، وهو يعتمد التصوير في شكل التشبيه وما يشتق منه على سبيل المجاز المحسوس وقرب مأخذه .

وحرص في المحور الثاني على أن يبعد الغموض وهو ناجم عن ضبابية الرؤية في العصر العباسي المعقد حضارياً (ص ١٢٢) عن الانغلاق . حتى وأبو تمام الشاعر الفحل يجتلب المعاني الغامضة في أثناء قصده إلى الأغراض الخفية ، والملاحظ أن الغموض عنده لم يرد إلا في البيت والبيتين . وأورد المؤلف ما يدل على أن الآمدي في كتابه «الموازنة» كان الأكثر من غيره تعرضاً لغموض أبي تمام ، ولم يرض خفاء معانيه ، ويبدو أن ولعه بشعر البحتري كان وراء ذلك التعرض المستمر .

وقد قفىّ عليه ابن رشيق منحازاً إلى الوضوح على أساس أنه من آداب الشاعر ، وجرت به الطريقة العربية التي نادت بأن «شرّ الشعر هو ما سئل عن معناه» . ألم يُقاطع أبو تمام في حضرة الخليفة بمن سأله : ولِمَ لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب متحدياً : لم لا تفهم ما يقال ؟

ثم لا يخرج الكتاب عن هذا ولا ذاك .. ببساطة في العرض وتقريب لأطراف قضية عسيرة الطرح . وبالرغم من قصر باع المؤلف في المناقشة وعدم التوسع فيها برفض أو قبول لما كتبه نقاد العصر في القضية ـ فجاء البحث مسطحاً ـ فإنه يثير همة الباحث نحو الاقتراب من طبيعة شعرنا بموضوعية تدعمها ثقافة جمالية افتقدها كثير من القدماء .

ولعل الكتاب أن يكون خطوة من صاحبه تتبعها خطوات تصل به إلى العصر الراهن ، وإلى قصيدة التفعيلة التي كاد التغميض المتعمدّ وضبابية الفكرة وضعف البنية الفنية يطيح بها ، حتى بالرغم من أن ثمة من يثقلها بما لا يُفهم ، بحجة أنها نموذج إبداعي يجري على ما اعتاد أن يجري عليه القديم !



● العنوان: أحكام تصرفات السفيه في الشريعة الإسلامية.
● المؤلف: الدكتورة سعاد إبراهيم صالح.
● الناشر: تهامة ـ جدة. ط (١) ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م (١٠٨ص).

لم تترك الشريعة الإسلامية جانباً من جوانب الحياة إلا ونظمته ، وتناولت كل مصالح الإنسان الجوهرية كالدين والنفس والمال والعقل والنسل .

لذلك فإن نظرة الإسلام للمال تقوم على موقفين بارزين هما : تحقيق المال من خلال العمل والكسب المشروع . والمحافظة عليه بتنميته واستثماره وحفظه من الاعتداء وبتنظيم إنفاقه .

ومن هنا يجيء موضوع السفيه وتصرفاته في الشريعة الإسلامية فرعاً من فروع مصالح الإنسان المالية في مجابهة ضرورات الحياة ولوازمها .

وقد كان كتاب الدكتورة (سعاد إبراهيم صالح) عن (أحكام تصرفات السفيه في الشريعة الإسلامية) بحثاً دقيقاً ومستكملاً لكل عناصر موضوع السفه والسفيه على ضوء الشريعة .

وإن المنهج الذي اتبعته في معالجة موضوعها يستند على القواعد الأساسية التي ألَّح أساتذة

الدراسات العليا على التزام طلبتهم بها ، على اساس انها هي القواعد التي تجعل الدراسة شاملة ومستوعبة لكل الفروع ؛ وبالاخص قاعدة تحديد ارضية الموضوع ، ومن ثم السياحة في هذه الارض وزرع كل الافكار التي لا تُستنبت إلا في تربيتها . ولما كانت كتب الفقه الإسلامي القديمة والحديثة ، ونظرات الفقهاء متعددة ومتباينة فيما بين ائمة الفقه ، فقد كان الخوض في تلك النظرات او الآراء يستلزم بحثاً واستقصاء لا حدودلهما ؛ لاسيما وانهم جميعاً لم يتركوا ناحية من نواحي موضوع المال وبخاصة ما يهم التصرف به عن طريق السفهاء إلا ووقفوا عنده ، واعطوا فتواهم فيها .

لهذا قدمت لنا المؤلفة موضوع احكام تصرفات السفيه في الشريعة الإسلامية عبر اربعة فصول . في الأول : عرفتنا بحقيقة السفه من خلال اربعة مباحث هي : تعريف السفه لغة ، واصطلاحاً ، وعند الفقهاء ، وحده الموجب للحجر على السفيه .

وفي الثاني قدمت : اقسام السفه ، ومن خلال ثلاثة مباحث هي : أحوال الصبي البالغ ، والصبي إذا بلغ سفيهاً ، والسفه بعد البلوغ والرشد . اما الثالث ففيه : ابتداء الحجر على السفيه .

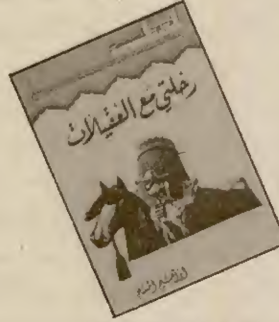
أما الفصل الرابع فقد تناولت فيه المؤلفة : حكم تصرفات السفيه . وذلك عبر خمسة مباحث هي : تصرفات السفيه عند الفقهاء ، والتصرفات التي لا تحتمل الفسخ ولا يؤثر فيها الهزل ، والتصرفات التي تحتمل الفسخ ويؤثر فيها الهزل ، وحكم العبادات المالية الواجبة على السفيه ، واخيراً فك الحجر عن السفيه .

لقد احسنت المؤلفة عرض آراء مختلف الفقهاء ، وبخاصة فقهاء المالكية والشافعية والحنابلة والحنفية . عرضت اوجه الاتفاق ، والاختلاف ، ودلائل كل مذهب من القرآن والسُنّة ، وقد تبدو اوجه الإجماع ، واوجه الاعتراض على غاية من الرجحان والصواب ، مما يجعل المؤلفة في كثير من الاحيان لا تبدي رأياً وسط ذلك الزخم من الآراء ، لاسيما وان دلائلهم لا تخرج عن القرآن والسُنّة والقياس . فتصبح مهمتها هي النقل الأمين لمختلف تلك الآراء . ولكن كل ذلك لا يمنعها من ان تميل إلى رأي من آراء احد الفقهاء ، او قد تقول رأيها احياناً أو قد تناقش ادلتهم .

وهذا النقاش هو الذي اكسب بحثها حيوية وتجديداً وفهما . كما اعطاها الحرية لترجح الرأي الصائب . مما وضح للقارىء الحكم الشرعي الصحيح لأحوال السفيه ووجوب تصرفه بالمال او الزواج أو الطلاق وما أشبه ذلك ، او منعه منها وبدء الحجر عليه .

ولقد استطاعت المؤلفة باقل من تسعين صفحة فعلية ان تستجمع آراء العشرات من الفقهاء والعلماء الإسلاميين القدامى والمحدثين ، وتلم بشتى النصوص القرآنية والاحاديث النبوية ، والنصوص الفقهية . وتستنبط كذلك عشرات الآراء من مائة وثلاثين مرجعاً قسمتها إلى تسعة اصناف هي : القرآن الكريم وعلومه ، الحديث ، اللغة ، اصول الفقه ، الفقه (الحنبلي والحنفي والشافعي والمالكي ومراجع فقهية قديمة اخرى) ، مراجع فقهية حديثة، الرسائل الجامعية، المقالات والأبحاث، وأخيراً التراجم والفنون.

وإن تلك الكثافة في المراجع ، والمادة ، والآراء ، والنصوص لتجعل الكثير من مباحثها تجيء مقتضبة جداً ، حتى إن بعضها لم يتجاوز الصفحة الواحدة .



● العنوان: رحلتي مع العقيلات.
● المؤلف : إبراهيم المسلم.
● الناشر :جمعية الثقافة والفنون ـ الرياض. ط (١) ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م (٢١٨ ص).

للمؤلف (إبراهيم المسلم) كتاب آخر بعنوان : [العقيلات] . ويبدو انه ينتمي إلى هذه الجماعة القبلية التي لها امتداد في نجد والاردن وفلسطين وسورية والعراق ومصر . ولذلك يجيء كتابه (رحلتي مع العقيلات) معبراً عن هذه الجماعة النازحة عبر تلك البلدان طلباً للتجارة والعيش او الاستقرار .

وإذا كانت الرحلات في الأدب السعودي المعاصر تتسم في النزوح الداخلي والخارجي ، من خلال وسائط نقل حديثة كالطائرات والسيارات تسهل للرحالة السعوديين مهماتهم الرحلية الرسمية والخاصة .. فإن (رحلتي مع العقيلات) لإبراهيم المسلم تتسم هي الأخرى بالنزوح الداخلي والخارجي ، ولكن عبر واسطة نقل عربية قديمة .. الا وهي سفينة الصحراء (الجمال) ، فلقد كانت الجمال في تلك الرحلة هي الأساس والمحور والمنطلق في تلك الرحلة : واسطة وغاية . واسطة الرحيل ، وغايته في التجارة وكسب الرزق والربح .

ويبدو ان للعقيلات تاريخاً قديماً في الرحيل العربي ، ولكن المؤلف لم يقف بنا إلا عند هذه الرحلة المعاصرة التي ابتدات في العاشر من شهر جمادى الآخرة عـام ١٣٦٤ هـ ـ ١٩٤٥م.. أي منذ حوالى اربعين عاماً ، وقد شارك فيها المؤلف ـ حين كان فتى يافعاً ـ والده وجماعة العقيلات ، منطلقين من مدينتهم (بريدة) باتجاه الاردن .. وهم يمتطون جمالهم عبر صحراء نجد .. والحرب العالمية الثانية مازالت قائمة . ويقصدون التجارة (بيع الجمال ـ وشراءها احياناً ـ وشراء مواد غذائية وكسائية) ، واستغرقت رحلتهم حتى دخولهم عمان اكثر من شهرين . ويستمر رحيلهم في الأردن وفلسطين ومصر والعراق ـ لذات الهدف ـ حتى ٢٢ محرم من عام ١٣٦٧هـ .

وتعيد هذه الرحلة إلى الاذهان صورة الرحلة العربية القديمة ـ وعبر العصور ـ في مختلف اشكالها واهدافها . الرحيل العربي القديم مع الجمال والصحراء ومجابهة كل الأخطار والصعوبات الطبيعية والبشرية .

فقد استطاع المؤلف ان يمنح القارئ النظرة الكاملة للرحلة الصحراوية المدنية ، ويجسم له شكلها البدوي والحضري . الرحيل مع الصحراء والبادية والبحث عن موارد المياه عبر الرياح والرمال والعطش ، والرحيل والوصول إلى المدن والتعامل مع الحضر ، ومواجهة الحياة الجديدة ، ووسائل الحضارة والمدنية .

وإذا عرفنا ان المؤلف ـ وهو فتى ـ كانت تجربته الرحلية الأولى ـ إذ يمتطي الجمل عبر الصحراء المترامية الأطراف لأول مرة، ويرى المدن لأول مرة، ويتعرف على مظاهرها الجديدة فإن اهمية الرحلة تكون في براءة وعفوية وسذاجة انطباعات هذا الفتى مع البدو والحضر ، مع الصحراء وعالمها ، والمدنية ومواجهتها . إذ نقل عالم الصحراء ، وحالات المواجهة المدنية بالشكل الذي جعل من أدب رحلته ، يقترب من أدب السيرة الذاتية .

ويبدو أن المؤلف ـ وقد قارب الستين وهو يكتب هذه الرحلة ـ يتذكر جيداً ابعاد وتفاصيل تلك الرحلة ، او كان قد سجل قسماً كبيراً منها في الماضي ، لانه مازال محتفظاً بكل دقائقها ، وحتى تواريخها ، فإنه يذكرها بالهجري والميلادي في آن .

وإذا كانت المعلومات الجغرافية ـ المدونة في هذه الرحلة ـ كوصف موارد المياه، والقرى والمدن

والعواصم هي مستقاة بشكل عام من المعاجم الجغرافية العربية القديمة ، فإن قسماً كبيراً من تلك المعلومات يقوم على اساس الاكتشاف الذاتي الميداني خلال تلك الرحلة .

ويظل الجانب الذاتي هو المهم في ادب الرحلات . وفي هذه الرحلة الكثير من الانطباعات والمشاهدات الذاتية . إذ نقل لنا العديد من عادات العرب ـ من اهل نجد والعقيلات ـ وهم يتعاملون مع إبلهم وسقـايتهـا ، ومع طعـامهم وشرابهم وإعدادهما ، ومع الضيوف و ضيافة من يحل بهم أو يحلون عليه .. والعديد من مصطلحات الرحيل الصحراوي في الحوار والتعامل مع بعضهم وإبلهم وطعامهم واشيائهم وصحرائهم .. وفي البيع والشراء ..

كما نقل العديد من مشاعر واحاسيس المواجهة الحضارية في كل من عمان وغزة والقاهرة وبغداد .. بالإضافة إلى الكثير من القصص التي كان يسمعها أو يبصرهـا ـ في الباديـة والمدينـة ـ عن اللصوص وقطاع الطرق ، من سلب ونهب ، وفقد للمال والأمن .

كما أن هذه الرحلة اخيراًتعطي صورة مشرقة للكفاح والجلد والصبر والتغلب على قسوة الحياة والطبيعـة من اجل تحقيق الأهداف ، وايضاً ـ كما يقول المؤلف في نهاية رحلته ـ فيها عبرة للشباب وفائدة تضاف إلى أدب الرحلات ، الشباب الذي توفرت له أسباب الحياة الكريمة .. ومع ذلك فهو متعجل متلهف على مصيره يبحث عن النجاح السريع دون عناء .



● العنوان : بحوث في الإعلام الإسلامي .
● المؤلف : د. محمد فريد محمود عزت .
● النـاشر : دار الشروق بجدة ـ ط (١) ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ـ (١٧٣ صفحة) من القطع الكبير .

ربما كانت ثورتا الانفجار المعرفي والاتصالات ، في مقدمة بواعث المؤلف لإصدار كتابه ، الذي يحاول تاصيل وجهة نظر إسلامية المحتوى تجاه النقاط التي تناولها وهي «الشائعات ـ أخبار الجريمة ـ اخبار الجنس» . وإذا كانت القضايا هذه مجتزاة من إطار اشمل ، وإذا اكتفى الكتاب بالجانب السلبي «رد الفعل» ، فإن مرد ذلك إلى قصور المسلمين عن الفعل الحضاري المعاصر .

وانطلاقاً من طبيعة الكتاب المزدوجة (إسلامي ـ إعلامي) ، استند المؤلف إلى المنهج التاريخي ، إذ يعرض لوقائع واحداث ومواقف في القرآن الكريم وفي السُنّة النبوية : القولية والفعلية . كما اتبع المنهج التحليلي الوصفي حيث يستنبط سبل العلاج من النصوص التي اختارها .

في مبحثه الاول حول مكافحة الشائعات ، بسط المؤلف آراء اللغويين المعاصرين والباحثين في مجالات الإعلام والراي العام ، وعلم النفس الاجتمـاعي ، عن ماهيـة الشائعـة ، واسس تصنيفها . من ثم يقدم نماذج من الشائعات التي روّج لها اعداء الإسلام (قريش في الحقبة المكية ، واليهود والمنافقون في المرحلة المدنية) .

وابرز شاهد في هذا الإطار هو حديث الإفك الذي تولى كِبْره راس المنافقين في المدينة المنورة : عبدالله بن ابيّ بن سلول . فقد اسفرت هذه الفرية الدنيئة عن آلام نفسية عاناها الرسول الكريم وأم المؤمنين عائشة ـ التي حيكت حولها الشائعة الظالمة ـ ووالدها الصدّيق ، فضلاً عما ولّده حديث الإفك من اضطراب في صفوف المسلمين كادت تبث الفتنة في صفوفهم ، لولا ان حسم القرآن الكريم الموقف واظهر الحق .

وينتهي المؤلف إلى جملة نصائح لمواجهة الشائعات التي تُصوَّب اليوم نحو الإسلام واهله ، تتلخص في المسؤولية الفردية والجماعية (تعاون الجميع عن وعي وبصيرة) ، فلا يردد المسلم كل ما يسمع دون تثبت ، في حين ينبغي عليه أن يبادر لتفنيد الاباطيل بالحكمة والبراهين الدامغة .

وإن كان من المحبذ ان يتصدى لتعريـة الشائعات شخصيات محببة ذات مكانة علمية او اجتماعية او سياسية . ويفضّل المؤلف ان يتم تكذيب الشائعة دون بسطها مفصلة ، لئلا يصبح تفنيدها قناة من قنوات رواجها .. ويرى ان حجب الحقائق عن الجمهور هو المناخ الملائم لانتشار الاقاويل والشائعات .

اما فيما يتعلق بنشر اخبار الجريمة فإنه يتهم صحف الإثارة بالمساهمة في نشر الجريمة ذاتها . إذ أن الصحافة الصفراء تعرض أخبار الجرائم محاطة بالإغراء والمبالغة . ثم يتناول المذهب الذي يؤيد نشر أخبار الجرائم في الصحف (وهو عمـوماً لا يشـير إلى دور الأفلام السينمـائية والتليفزيونية) . وانصار هذا الراي يعتقدون ان الصحافة مرآة للمجتمع تعكس واقعه بحلوه ومُرّه ، كما انها بنشرها اخبار الجرائم تبث الذعر من الافتضاح في النفوس الضعيفة التي ربما كانت مترددة في دخول حلبة الجريمة .. فضلاً عن إماطة اللثام عن أحابيل المحتالين وأساليب السفاحين .

واما المذهب المعارض فينطلق من ان الصحافة تقدم المجرم ـ أحياناً ـ بثياب بطل ، كما تخدم المجرمين بكشفها عن خطط الاجهزة الامنية ، وربما اثّرت الصحافة على مجريات العدالة بالاحكام المسبقة التي تصدرها بحق المتهمين . ويتخذ الكتاب موقفاً وسطاً هو نشر اخبار الجريمة مقيدة بضوابط محددة ، ومن تلك الضوابط : ان تتسم لغة العرض بالرقي دون إسفاف ولا ابتذال ، والابتعاد عن تحديد الأسماء ، وإثارة الكراهية الاجتماعية للجرائم ومرتكبيها .

والمبحث الثالث (والأخير) يعـالج ظـاهرة التجارة الصحفية بالفضائح الجنسية ، وهي ظاهرة بـرزت ـ أصلاً ـ في الغـرب العلماني الإباحي ، حيث تُنتهك الحرمات وتذاع اسرار الموبقات ، بما يهيج الغرائز المنحطة . ولكي يحدد الكتاب معالم الموقف الإسلامي من هذه المسالة ، يعرج على رؤية الإسلام المتميّزة للغريزة الجنسية دون إنكار لها ولا إطلاق العنان لها .

وفي مجال نشر قصص الجنس بطريقة بناءة هادفة يقدم المؤلف بضعة نماذج من القرآن الكريم (بصفة رئيسية : قصة امراة العزيز التي راودت يوسف ـ عليه السلام ـ عن نفسه فاستعصم) .

ويخلص من مجمل ما سلف إلى إباحة نشر أخبار الجنس ضمن شروط تماثل ـ نسبياً ـ الشروط التي افترض ضرورتها في نطاق اخبار الجرائم .

وعموماً فإن للكتاب ميزة بواكير الإنتاج في غرض ما ، وعيوبها ايضاً . ذلك ان الجوانب التطبيقية المتصلة بالإعلام الإسلامي نادرة ، مما يحفظ لهذا الكتاب فضل السبق .

● العنوان : المصطلح النحوي.
● المؤلف : عوض حمد القوزي
● الناشر : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود بالرياض ١٤٠١هـ/١٩٨١م

المعروف لدينا أن النحو الذي نعرفه اليوم هو من وضع سيبويه في «الكتاب» نقلاً عن استاذه العظيم «الخليـل بن احمد» . وربمـا لم يكن لسيبويه فيه إلا جهد ترتيب ابوابه ومحاولة بسطها ووضع مصطلحاتها ـ وكثير من هذه لم



يعمر طويلاً بعد كالتحقير يريد به التصغير والحشو يريد به الصلة والموضع في معنى اسم المكان والحيز في معنى اسم الزمان ـ ليصبح كتاباً تعليمياً في ضبط أساليب اللغة العربية .

حقيقة جاء الكتاب مكثفاً ، وتتفاوت عباراته بين الاستغلاق والنصاعة ـ بالرغم من سهولة مفرداته وبعدها عن الغريب ـ إلا انه يعد نتاج عقلية كبيرة ، انتفعت بثمرة أجيال عكفت منذ أيام أبي الأسود الدؤولي على تنميته .

ولقد حرص الباحث عوض حمد القوذي في كتابه «المصطلح النحوي» على أن يكشف ذلك الجهد ، متتبعاً علماء الطبقة الأولى من النحويين ـ وجلهم كان بصرياً ـ إلا انه لم يجد الكتب التي قيل إنها وضعت على أيديهم ، ومن ثم غابت طفولة النحو المبكرة إلا قليلاً . ومن هذا القليل استدل على ان «النحو» تفرع عن الأبحاث الدينية في حضن اللغة . وإذن فقد حمل راية البداية علماؤها الذين كانوا يعملون على صيانة القرآن الكريم من التصحيف والتحريف ، ولاسيما أن آفة اللحن كانت قد فشت حتى طالت اللسان العربي نفسه .

ولما كانت المدونات والمصاحف في ذلك الحين غير منقوطة كثر الخلط في الحروف المتشابهة ، فقيل إن الحجاج راعه ذلك ، وفزع إلى كتابه يسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المتشابهة علامات فوضعوا النقط أفراداً وأزواجاً ، وخالفوا بين أماكنها ـ كما يقول حمزة الأصفهاني ـ بتوقيع بعضها فوق الحروف وبعضها تحتها ؛ فغبر الناس بعد حدوث النقط زماناً طويلا لا يكتبون دفتراً ولا كتاباً إلا منقوطاً .

وهذا العمل ـ ويسمى الإعجام ـ نسبه ابن خلكان إلى نصر بن عاصم ، جاء بعد أبي الأسود أول من وضع اللبنات الأولى في صرح علم العربية (ص٢٨) ولا ينكر هذه المعلومة إلا من أخطأ الجادة كالعلامة ركندورف ، والطريف أن يوهان فك واضع كتاب «العربية» ينسب بداية النحو بل كل النحو إلى غير العرب . ويوافقه على هذا الرأي المبتسر فون كريمر مقراً بانه من وضع الآراميين والفرس ، ولم يفهم انه وجد من أجل غاية مقدسة ، وأن عاصماً حينما وضع نقط الإعجام ـ بعد خطوة أبي الأسود ـ ظهرت مشكلة التمييز بين نقط الإعراب ونقط الإعجام ، ولم يضع أحد نهاية لهذه المشكلة حتى اهتدى الخليل بن أحمد إلى وضع الإشارات أي الحركات ، على أساس أن الفتحة من الألف والكسرة من الياء والضمة من الواو .

ويبدو أن الباحث قد قطع بكل ما روي عن أبي الأسود ، فنسب إليه ـ بقدر من التردد ـ وضع باب التعجب ، وباب الفاعل والمفعول وباب المضاف وباب حروف الرفع والنصب والجر والجزم (ص٣٧) وبقدر أكبر من التردد أبواب أخرى في الإمالة والجرّ بلولا (ص٣٨ ـ ٤٢) .

وأما تلاميذ أبي الأسود فقد طوّروا بعض الإصطلاحات وظهر الرفع والنصب ـ أو الوضع ـ والتنوين مع نقط الإعجام . وفي رأس قائمة التلاميذ ابن أبي إسحاق المتوفى سنة ١١٧ ، وآخرهم علامة العربية الأكبر أبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٤٥ ، وقد هيئوا لظهور المصطلحات النحوية على الحقيقة كالإشارة وأسماء الجمع والجنس والخافض واسم المفعول والأسماء الستة والإضافة والمضاف والإضمار والتصغير والتنازع وحروف الاستفهام والصفة المشبهة والقياس والإشتغال ونحو ذلك .

وقد ظهر تماماً أن هذين العالمين ومعهما عيسى بن عمر الثقفي هم الذين أرسوا الدعائم المتينة للنحو العربي ، ومهدوا السبيل لتابعيهم ـ كالخليل وسيبويه كما يقول الباحث (ص٦٥) ـ لصياغة ما كان يدور بينهم من مناقشات في مصطلحات لايزال أغلبها حيّاً حتى اليوم .

وبوصول الباحث إلى الخليل بن أحمد ثم تلميذه سيبويه يتضح كل شيء ، فمن مصطلحات الخليل الحركات التي سماها الخوارزمي وجوه الإعراب وما يتبعها ، ومنها الرفع والنصب والخفض والجزم والوقف والسكون والتنوين والإمالة والإشمام وغيرها . وكل هذه لها مدلولات خاصة عنده أصبحنا اليوم في حلّ من الاعتداد بها . فالرفع مثلاً (ص٨٩) ما وقع في أعجاز الكلم منوناً ، ومن توابعه التوجيه والحشو والنجر والإشمام ، وأما النصب فقابل به الرفع تماماً وجعله أيضاً لما وقع في أعجاز الكلم منوناً ـ كما جعل الفتح مقابلاً للضم ـ وجعل القعر قبيلاً للتوجيه ، والتوجيه قبيلاً للحشو ، وجعل الإرسال مختصاً بالأفعال مقابل اختصاص النجر بالأسماء .

أما المصطلح عند سيبويه فقد قفز بأنواعه قفزات واسعة حين توسع في إطلاقها (ص١٢٢) وعمد إلى الرفع والنصب والجر والجزم علامات للإعراب مختصة بأواخر الكلمات من أفعال غير متمكنة أو أسماء متمكنة ، كما عمد إلى الضمّ والفتح والكسر والوقف علامات للبناء في الفعل المتمكن والاسم غير المتمكن ، مبيناً أن أواخر الكلام تجري على هذه المجاري الثمانية .

وكان تقسيم كتابه أو ترتيب مادته وتبويبها من الأمور التي ساعدت الدارسين على استقطاب علم النحو ، وإن لوحظ أن حال المصطلح النحوي عنده هو نفسه عند الخليل . لأن الكتاب مزيج من جهد سيبويه وجهد من سبقه (ص١٢٩) وإن يكن قد حاول أن يجعلها بذكائه سهلة المنال ، وبخاصة أنه كان يحرص على تفسير بعض المصطلحات ببعض .

ومهما يكن من أمر فقد قدّم سيبويه كتابه كاملاً إلى مدرستي الكوفة والبصرة المتصارعتين ، فانتفعتا به سواء فيما اتفقا عليه منه أو فيما اختلفتا حوله ، وكانت النتيجة ظهور مصطلحات كوفية لها دلالاتها الخاصة وإن لم تبعد عن أفكار سيبويه .

إن كتاب «المصطلح النحوي» للمؤلف عوض حمد القوذي ، لهو عرض علمي متان لعلم من علوم العربية نعتز به ويوشك علماء الغرب أن يقدموه باعتداد على غيره من علوم الإنسانية ، لاسيما أن ينم على جهود منطقية محسوبة بعناية بالقياس إلى نتائجها .

وكان تصدي القوذي لهذا الجهد بمثابة تحدٍّ علمي ثقيل ، إلا انه اجتاز العقبات بنجاح مرموق ، وأعطانا هذه الحصيلة الطيبة من تراثنا العظيم .

المحيطات.. عالم الأسرار

إعـداد : المجلة

تغمر المحيطات والبحار سبعة أعشار سطح الأرض، ويبلغ متوسط عمقها حول العالم ٤٠٠٠ متر وتختزن ٩٩٪ من المحتوى الحيوي على سطح كوكبنا، وتمثل الحواجز التي تفصل القارات بعضها عن بعض، وتؤدي دوراً جوهرياً في تقلبات الطقس، كما أنها الممون الرئيسي بمياه الأمطار التي تعد شريان الحياة، وهي أيضاً الأحواض التي تصب فيها أنهار القارات وجداولها، وتخضع لجذب الشمس والقمر، وتختزن في تياراتها طاقة الشمس الحارة وصقيع الجليد القطبي.

وبالرغم من المحاولات الكثيرة التي قام بها المستكشفون لحل ألغاز المحيطات وأسرار أعماقها منذ آلاف السنين، إلا أنه لم يسجل تقدم ملموس في هذا المجال إلا في العقود الثلاثة الماضية.

الاكتشافات البحرية

لم يكن الفضول في حل ألغاز المحيطات وليد عصر معين، بل يبدو وكأنه غريزة يتوارثها الأبناء عن الآباء. فمنذ آلاف السنين بنى الفراعنة القوارب التي جابوا بها البحر الأحمر ونهر النيل، **وطاف العرب بقواربهم معظم البحار التي تحيط بهم، وتعرفوا على حدودها، وكانوا أول من استعمل أجهزة التوجيه البحرية، كما عرفوا التجارة والحروب البحرية. ولم تبدأ الاكتشافات البحرية في الغرب إلا بعد ذلك بخمسة قرون في بداية القرن الخامس عشر الميلادي، وبعد أن استفاد الغرب من اكتشافات العرب.** وبدأت سلسلة الاكتشافات البحرية بجهود فاسكو دا جاما **Vasco da gama** الذي جاب شواطئ إفريقيا. وكولومبوس **Columbus** الذي اكتشف الأمريكتين، ثم ماجلان **Magellan** الذي أثبت أن المحيطات محدودة الأطراف، وكان جيمس كوك **James Cook** أول من أبحر في الغرب بهدف الاكتشاف العلمي، وبنيامين فرانكلين **Benjamin Franklin** أول من رسم مخطط التيارات البحرية الخليجية، كما أشار إلى فكرة حركة القارات.

وبعد الحرب العالمية الأولى، قام عالم الأحياء وليام بيب **William Beebe**، والمهندس أوتيس بارتون، بتصميم كرة فولاذية هبطا بها قرابة ألف متر تحت سطح البحر، لدراسة صور الحياة البحرية الغريبة.

وفتحت الحرب العالمية الثانية باب الاكتشافات البحرية على مصراعيه، إذ تطلبت حاجة الحرب اختراع السفن والغواصات وتطويرها، وكذلك اختراع الأجهزة المختلفة اللازمة لدراسة المحيطات، كالأجهزة الصوتية لقياس الأعماق، وآلات التصوير تحت الماء. وتم اختراع العديد من العربات تحت البحر، تحمل الباحثين لتطوف بهم فوق الجبال والأودية التي تشكل قعر

طاقة الأمواج... هل سيتمكن الإنسان من استغلالها؟



جاك إيف كوستو رائد المحيطات المعاصر

المحيط. وكان لتطور أجهزة قياس الهزات الأرضية أثر كبير في تفهم الظواهر الجيولوجية التي تحكم التغيرات الهامة التي تطرأ على القعر.

وفي الوقت الراهن الذي يشهد ثورة علمية شاملة في مختلف الميادين، تحظى دراسة المحيطات باهتمام بالغ أدى إلى قلب الكثير من المفاهيم السابقة في علم المحيطات. ويعتبر جاك إيف كوستو **Jacques-Yves Cousteau** واحداً من روّاد المحيطات المعاصرين الذين يعود إليهم الفضل في الكثير من الدراسات الهامة حول الأحياء البحرية، والتلوث، وحركة التيارات البحرية، واكتشاف أساليب عصرية في الصيد البحري، ووضع نظريات هامة فيما يتعلق بالاستغلال الاقتصادي للمحيطات. وقد استطاع كوستو أن يفسر الكثير من الظواهر التي كانت تعد أسراراً.

قعر المحيطات

أول من قام بمحاولات جدية للتعرف على نشأة قعر المحيطات وتضاريسه هو العالم هايزن **Hee-zen** الذي يعد من كبار علماء الجيولوجيا البحرية، حيث قام عام ١٩٤٧م، برحلة علمية شهيرة من شرق برمودا باتجاه جزر الأزور في المحيط الأطلسي، واعتمدت طريقته في اكتشاف قعر المحيط على تفجير شحنة من مادة ت. ن. ت T.N.T وتسجيل الموجات الصوتية المرتدة. وأظهرت المخططات أن منطقة الرصيف القاري ذات تضاريس وعرة يعقبها سهل قعري طويل متوسط عمقه ٥٥٠٠ متر، ثم سلسلة من التلال الوعرة.

أما وسط المحيط فيتألف من سلسلة متصلة من الجبال المتصدعة التي تتخللها الوديان الواسعة.

وبينت أجهزة قياس الأعماق وجود جبال ترتفع



لقطة نادرة: لحظة ولادة جزيرة جديدة نتيجة نشاط بركاني جنوب المحيط الهادي. وتبدو شظايا الماغما المتطايرة من القاع.



آلة تصوير تحت مائية اخترعها هارولد ايدشمبرتون يمكنها أن تعمل عند أعماق كبيرة. وهي مخصصة لتصوير البلانكتونات التي تبدو إلى اليمين.

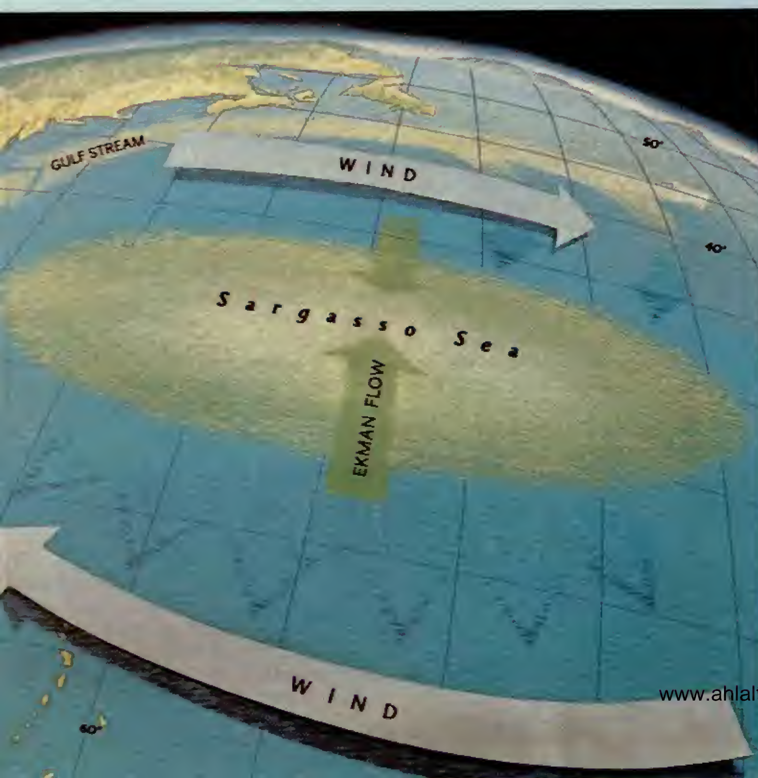
التيارات البحرية: تحكم حركتها تغيرات درجة الحرارة والملوحة. ويظهر الشكل حركة التيارات القطبية الشمالية الباردة (بأسهم بنفسجية). والتيارات القطبية الجنوبية «بأسهم زرقاء» وتيارات البحر الأبيض المتوسط «بالأحمر»



قممها عن مستوى القعر ثلاثة آلاف متر، وبعضها يقترب من سطح المحيط حتى ٣٠٠ متر.

وتمكن هايزن من التقاط بعض العينات الصخرية من القعر أثبت تحليلها أنها بركانية المنشأ، إلا أنها تختلف كثيراً عن تلك التي توجد على اليابسة. ومكنت رحلة هايزن من رسم أولى الخرائط الجيولوجية لقعر المحيط الأطلسي، التي بينت أن القطاع الأوسط من القعر أشبه ما يكون بظهر تمساح ضخم. وكانت **العالمة ثارب Tharp** قد توصلت قبل هايزن إلى اكتشاف تاريخي عندما أثبتت أن قعر وسط المحيط الأطلسي يتألف من واد حاد الميل على شكل الحرف «V» يمتد من الشمال إلى الجنوب. ولم يقتنع الجيولوجيون، بما فيهم هايزن، باكتشاف ثارب إلا بعد أن تمكن **العالم الجيوفيزيائي إيوينغ Ewing** من رسم خرائط الزلازل التي تحدث تحت المحيط. إذ بينت هذه الخرائط أن مراكز الزلازل تنتشر على طول قاع الوادي الذي اقترحته ثارب. ووصف هايزن هذا الاكتشاف بأنه «كالضوء الذي سقط فجأة ليضيء أفكارنا حول نشأة قعر المحيط». **واتفقت آراء الجيولوجيين على أن الزلازل تؤدي الدور الأساسي في التغيرات الجيولوجية والحركية التي تطرأ على القعر،** مما دفع العلماء للاهتمام برسم مخططات الزلازل تحت المحيطات الأطلسي والهندي والهادي وتقريباً على مجموع سطح الأرض.

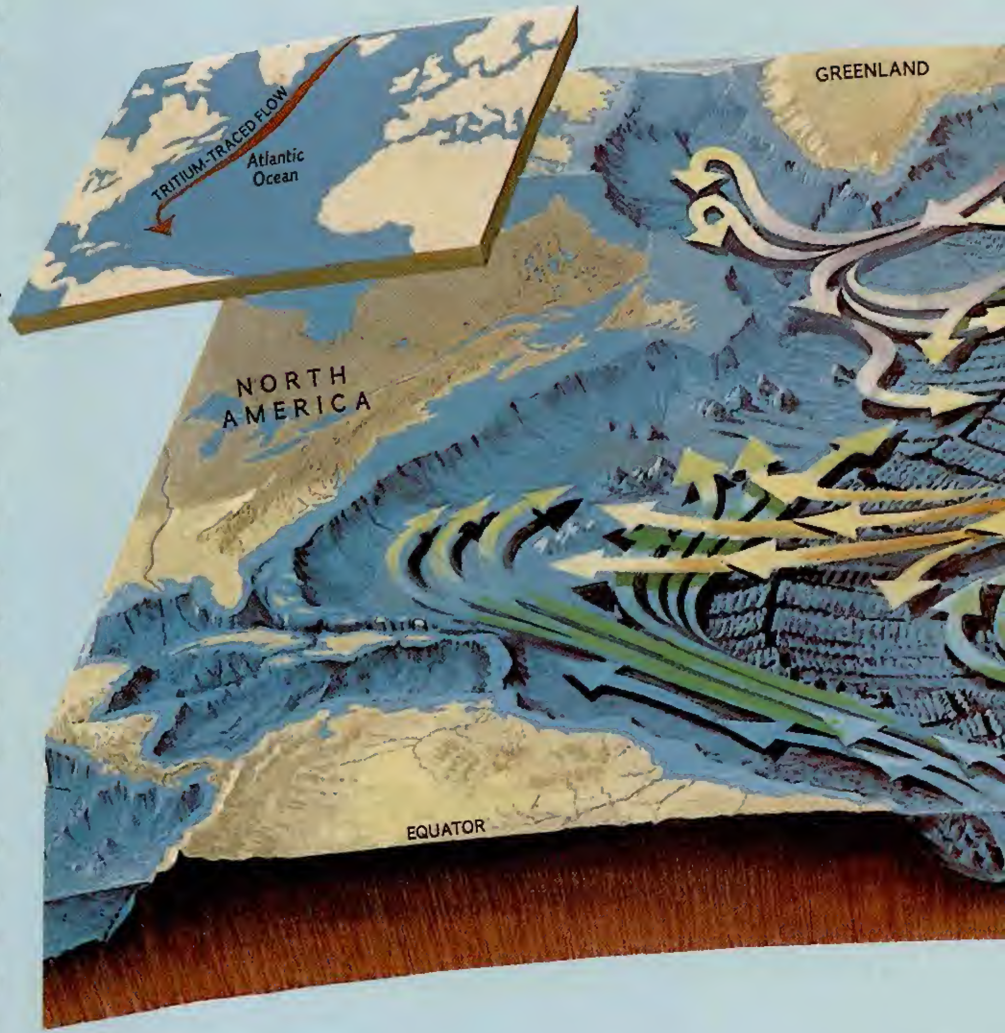
وأثبتت البعثات البحرية العلمية اللاحقة، وجود ذلك الصدع المركزي في القطاع الأوسط من قعر كافة المحيطات. وأضاف **الجيولوجي الكندي توزو Tuzo** اكتشافاً جديداً إذ أثبت أن الصدع الرئيسي مصحوب بصدوع **Faults** جانبية باتجاه الشرق والغرب أطلق عليها **«الصدوع المتحولة»** وأكد أنها مسؤولة عن حدوث الزلازل. وتمكن **توزو** من التقاط عينات صخرية جديدة أثارت بدورها الكثير من التساؤل، فأقدم هذه الصخور لا يزيد



التيارات الخليجية: تحكم حركتها ظاهرة دوران الأرض حول نفسها. وحركة الرياح فوق سطح المحيط. في نصف الكرة الشمالي تكون حركة التيارات باتجاه عقارب الساعة وفي النصف الجنوبي للكرة الأرضية بالاتجاه المعاكس.

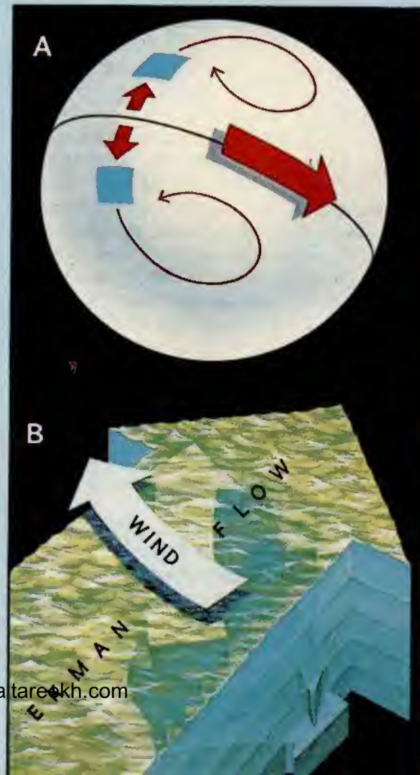
عمرها على ٢٠٠ مليون سنة بينما توجد على سطح الأرض صخور يزيد عمرها على بليوني سنة. **إذن، أين اختفت الرواسب القديمة؟** هذا التساؤل دفع الجيولوجيين إلى الاعتقاد بوجود طريقة تدفن على أساسها الصخور القديمة تحت الطبقات القاعية.

في عام ١٩١٠م، وضع **الألماني فاجنر Wegener** نظرية **«انزياح القارات»** التي أثارت الكثير من سخرية العلماء الجيولوجيين. إلا أن النظرية تعد اليوم حقيقة واقعة. ونفس الشيء حدث بالنسبة للنظرية التي تفترض أن يكون قعر المحيط بحد ذاته في حالة حركة دائمة محركاً معه القارات مما يؤدي إلى الافتراض بأن المحيطات تزداد اتساعاً بشكل مستمر. وصاحب هذه النظرية هو **هاري هيس Harry Hess**، وخوفاً من أن تثير نظريته السخرية من جديد أطلق على الرسالة العلمية التي عبر فيها عن فرضيته **« رسالة في الشعر الجيولوجي »!** وجاء البرهان على صحة نظرية هيس بسرعة، ونتيجة لمجموعة الاكتشافات المتلاحقة التي تمت خلال الستينيات الميلادية. ولم يكن تفسير النظرية أقل غرابة منها بحد ذاتها، فالأرض هي مغناطيس، وحقلها المغناطيسي يوجه الإبرة المغناطيسية، وصخورها التي نشأت خاصة من تبرد المصهورات البركانية **الماغما Magma** تعمل كقطع مغناطيسية تتوجه بحسب المجال المغناطيسي





أحد الينابيع المعدنية الحارة الغنية بالمعادن في المحيط الهادي تتفجر من قاع المحيط. تلعب دورًا هامًا في تغذية البكتريات الكبريتية نظرًا لاحتوائها على غاز كبريت الهيدروجين.







الأرضي، وهذا ما يؤدي إلى حركة الصفائح القاعية ذات المنشأ البركاني. وأثبتت دراسة طبقات الصخور البركانية المؤلفة لقعر المحيطات أن جهة المجال المغناطيسي الأرضي قد انعكست عدة مرات خلال التاريخ الجيولوجي، فالقطب المغناطيسي الشمالي ينقلب إلى جنوبي والجنوبي إلى شمالي. وتحتوي طبقات قعر المحيطات على سجلات مفصلة يمكن أن يستنتج منها التاريخ المغناطيسي للأرض.

ويمكن تلخيص نتائج الأبحاث التي جمعها العلماء حول قعر المحيطات بالنقاط التالية:

(١) إن طبقات قعر المحيطات هي تكوينات جيولوجية تطرأ عليها عمليات متعاقبة من التشكل والانهدام. وهذه الطبقات (أو الصفائح) **Plates** في حالة دائمة من الاتساع. والقارات المحيطة بها تخضع لهذه الحركة. فالمحيط الأطلسي يتسع بمقدار ثلاثة سنتمترات تقريباً كل عام. وفي متوسط عمر الإنسان يكون قد اتسع بمقدار طوله. وفي الوقت الذي تنشأ فيه القشرة القعرية الجديدة الناتجة عن تبرد الماغما المتدفقة من باطن الأرض إلى قاع المحيط فإنها تبدأ بالانتشار. بينما تبدأ القشرة المتصلبة القديمة بالغطس ضمن الصدوع العميقة لتعود إلى جوف الأرض.

(٢) يؤدي تكسر طبقات قعر المحيط، وحركة الصفائح المتكسرة إلى حدوث الزلازل وتنشيط البراكين. وينتشر هذا التأثير على كل نقاط القشرة الأرضية تحت المحيطات وفوق اليابسة. وهذا يؤدي **إلى طفح اللافا Lava** الغنية بالمعادن، التي تعود للترسب مرة بأخرى على قعر المحيط.

(٣) بناء على حركة الصفائح القعرية التي تسبب تباعدها عن مستوى الصدوع **يمكن القول إن خليج كاليفورنيا والبحر الأحمر هما من محيطات المستقبل حيث يأخذان الآن بالاتساع.**

التقسيم العمودي للمحيطات:

١ ـ سطح المحيط الملامس للغلاف الجوي.
٢ ـ نطاق التيارات السطحية والأمواج التي تسببها حركة الرياح.
٣ ـ التيارات الباردة تتدفق قرب القاع. ونقود الرواسب من الرصيف القاري لترسبها في قاع المحيط.
٤ ـ حركة الكتل المائية تؤدي إلى نقل الطاقة المخزونة في المياه. كما تنقل أيضاً المواد الكيميائية والأحياء الصغيرة.
٥ ـ الطبقات المائية العميقة: تعيش فيها القشريات والأحياء الدقيقة.
٦ ـ الأمواج العميقة: بالرغم من ضخامتها إلا أنها تختزن طاقة أقل من الأمواج السطحية.
٧ ـ طبقات المياه تتحرك على شكل صفائح حركة أفقية. ويكون انزياحها الشاقولي قليلاً.
٨ ـ تتعلق سرعة انتشار الصوت تحت المحيط بالعمق ودرجتي الحرارة والملوحة. إن تفجير شحنة ت. ن. ت على عمق ١٢٠٠متر يمرر أمواجًا صوتية يمكن التقاطها على بعد يعادل نصف محيط الأرض (٢٠٠٠٠ كل).
٩ ـ ١٠ ـ حركة قاع المحيط هي حركة الصفائح التكتونية التي تدفع معها القارات فتسبب حركتها. وتباعد الصفائح القعرية يؤدي إلى اتساع المحيط كما يسبب الزلازل وينشط البراكين.
١١ ـ المداقن البركانية: وهي ينابيع للماء الساخن المشبع بالمعادن.
١٢ ـ المخاريط البركانية التي تتدفق منها الماغما يمكن أن تتسبب في ولادة الجزر كما حدث في الآزور وهاواي.

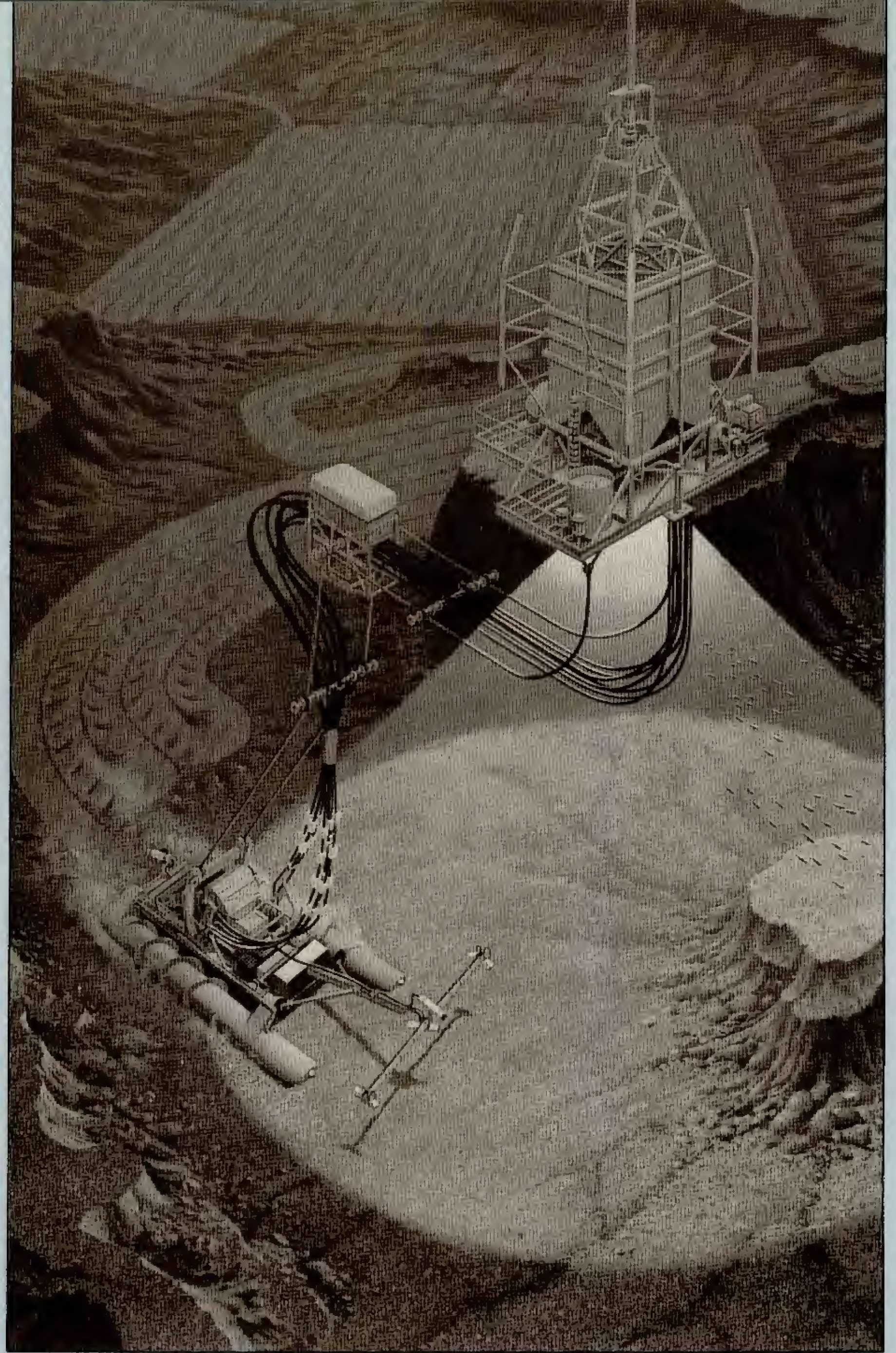
(٤) إن أقدم الصخور القعرية لا يزيد عمرها على ٢٠٠ مليون عام. وخلال هذه الحقبة انزاحت صفائح آلاف الكيلومترات.

(٥) في خلال الاثني عشر مليوناً من السنين الماضية جف البحر الأبيض المتوسط ثم امتلأ بالماء من جديد عدة مرات.

(٦) يمكن قراءة تاريخ تغيرات مناخ الأرض خلال العصور الجليدية وعصور الدفء التي تخللتها من خلال العينات الصخرية التي استخرجت من قعر المحيط.

المحيطات وأصل القارات

من بين الاكتشافات الهامة التي أدت إليها الدراسات المفصلة لقعر المحيط تلك النظرية التي ترجع أصل القارات إلى النشاطات البركانية التي حدثت في قعر المحيطات خلال العصور الجيولوجية السالفة. وبناء على هذه النظرية تعد القارات جزراً كبيرة نتجت عن تبرد الماغما المتدفقة من قعر المحيطات. ومما يؤيد ذلك هو وجود نشاطات بركانية تحت قعر المحيطات تكاد تكون مستمرة، وإن اختلفت في درجة نشاطها. ويعود



عربة تحت بحرية للتنقيب عن المعادن واستخراجها من قعر المحيط.

الفضل في إثبات هذه النظرية إلى العالم روبرت بايار **Robert Ballard** الذي يعد من أبرز العلماء الـذين قاموا بالغطس إلى أعماق سحيقـة لدراسـة القعر. وأشهر رحلاته إلى قعر المحيط هي تلك التي قام بها عام ١٩٧٤م، لدراسة المخاريط البركانية.

فوجد أن درجة الحرارة في بعض الفـوهات البركانية تفوق ٣٥٠ درجة مئوية.

كما اكتشف وجود طبقات زجـاجية سوداء من الحمم البركانيـة حديثـة التشكل، أثبت تحليلها أن عمرها لا يتعدى بضعـة قرون فقط. ولعل البرهان الأكثر وضـوحاً على صحة هـذه النظريـة هو ولادة جـزيـرة جـديـدة سنـة ١٩٦٣م قـرب الشـواطئ الجنوبيـة لآيسلندا إثر نشـاط بركـاني عنيف حدث تحت القعـر وسميت «جزيرة سورتسي» **Surt-sey** كما سجل نشاط بركاني مشابه قرب جزر الآزور سنة ١٩٥٧م، ويسجل اليوم حدوث نشاط بركاني جنـوب شرقي هـاواي، حيث تظهر إلى الـوجـود جزيـرة جديـدة سميت «لواهي» **Loihi** أصبح ارتفاعها عن قعر المحيط ٢٩٠٠ متر، وعمقها عن سطحه ألف متر.

وتمكن **بايار** من تفسير ألغـاز الينابيع المعـدنية الحارة التي تتفجـر في أمـاكن مختلفـة من قعـر المحيط، وأرجع أسبابها إلى نشاط الماغما القريبة من قعر المحيط وإلى وجود المياه الجوفية تحت القعر.

التيارات البحرية

ميـاه المحيطات تتـدفق بصـورة تيارات دائمـة الحركة تحكم حـركاتها ظواهر بالغـة التعقيد. وهي أثنـاء حركتهـا تنقل الطاقـة التي تمتصها من ضـوء الشمس، ويؤدي هذا إلى تنظيـم المناخ فوق سطح الأرض على المدى اليـــومي والفصلي، كما تعمل التيارات على غسل النفايـات البشرية التي يتعاظم خطـرها والتي تصـب في المحيط. وتقوم التيـارات بدور هام في تحقيق **«التوازن الغذائي»** للأحياء التي تعيش في المحيط لأنها تنقـل الأحيـاء المجهـريـة كالبلانكتونات **Planctons** إلى أمـاكن المحيط المختلفة لتتغذى بها الحيوانات البحرية الكبيرة.

وأثارت حـركة التيارات البحـرية أو مـا يدعى بالكتل المائية المحيطية، اهتمام العلماء خلال العقود الثلاثة الماضية، وأدت أبحاثهم إلى تغييرات جذرية في غـالبيـة المخططـات التي رسمت بعـد الحرب العـالميـة الثـانية. إذ أعيـد رسم خـرائط التيـارات الخليجيـة والتيارات السطحيـة والبـاطنيـة وحركـة الريـاح السطحية والمد والجزر وحـركة الأمـواج كما أعيـد تصحيحهـا. وتم ذلك بفضل اختراع أجهـزة الرصد وتطويرها، كعاكسات الصدى التي تلتقط الإشارات الصوتية من مسـافات بعيدة، وطائرات الأبحـاث بعيـدة المدى، والأقمار الصنـاعيـة التي استطاعت أن ترصد حـركة التيارات القطبية الباردة والاستوائية الدافئة من الفضاء الكوني، ومكن ذلك من تفهم الكثير من الظواهر حول حركتها.

ولقد كان من المعـروف أن المياه القطبية الباردة تزحف على عمق سحيق نحو خط الاستواء، لتزيح التيارات السطحيـة الدافئة التي تختـزن مقداراً أكبر من طـاقـة الشمـس نحـو دوائر العـرض العليـا.

ومكنت الدراسات الحديثـة من التعرف على الآلية الميكانيكية التي تنتقل بمـوجبها التيارات الخليجية لجهتين متعـاكستين على حـواف القـارات. ففي النصف الشمالي من الكـرة الأرضيــة تجري هــذه

التيارات لاتجاه دوران عقارب الساعة والعكس يحدث في النصف الجنوبي، ويحدث ذلك نتيجة لتأثر الكتل المائية بظاهرة دوران الأرض حول نفسها. وأرجع سبب التيارات القطبية والدافئة إلى اختلاف درجة حرارة الكتل المائية. وبشكل عام تؤدي حركة التيارات إلى اختلاط مياه المحيطات والبحار اختلاطاً تاماً كل ألف عام.

وأثبتت الدراسة التي قام بها هايزن شمال الأطلسي وجود التيارات العكرة وهي كتل مائية مختلطة بالطين Mud وفسر بها سبب تشكل الوهاد والسهول تحت البحرية، وأرجع إليها سبب تقطع أسلاك الاتصالات المغمورة تحت الماء والتي تصل بين القارات.

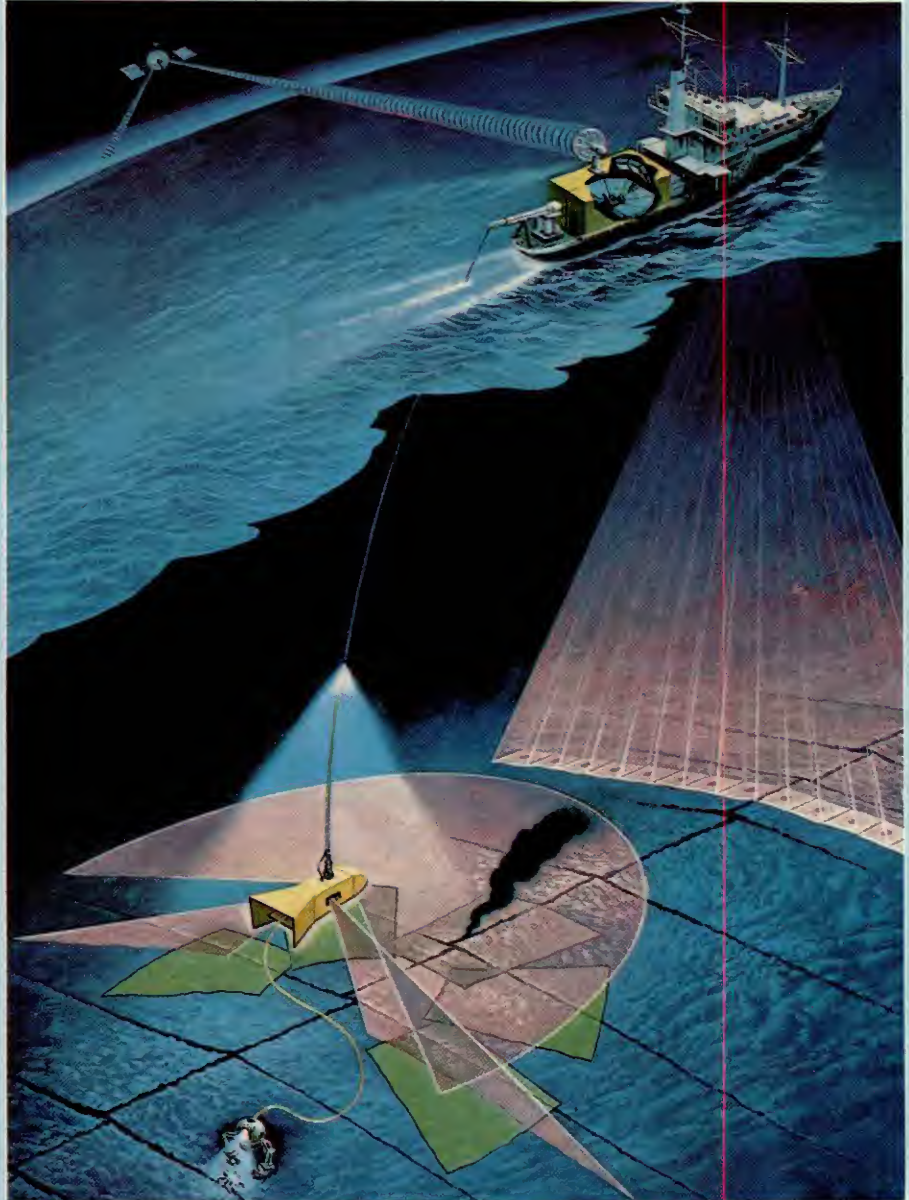
المحيطات ومشكلات البشرية

تعتبر المحيطات أكبر مخازن الثروات الطبيعية على سطح الأرض، ومن الطبيعي أن يتطلع الإنسان إليها لحل مشكلات نقص الغذاء والطاقة والمواد الأولية، وخاصة في عصر الانفجار السكاني الذي نعيشه اليوم. فإمكانات الأرض وحدها لا تكفي لسد الحاجات الحياتية المختلفة لأكثر من مليارين من البشر، بينما تقدر تقارير الأمم المتحدة أن هذا العدد سيبلغ ١١ ملياراً سنة ٢١٠٠م. وهكذا يتضح أن الحل الوحيد لمشكلات البشرية يكمن في التطلع إلى استغلال المحيطات استغلالاً حكيماً ومدروساً. وتركز البعثات العلمية البحرية في هذه الآونة على تطوير أساليب الصيد البحري واختراع وتطوير أجهزة التنقيب عن البترول والمعادن لاستخراجها من قعر المحيطات. كما تدرس الطرائق التي من شأنها أن تمكن من استغلال الطاقات الحرارية التي تحملها التيارات الدافئة، واستغلال الطاقات الميكانيكية لحركة الأمواج والمد والجزر.

وأدت الدراسات إلى نتائج مشجعة بشأن الاستغلال الاقتصادي للمحيطات، إذ أثبتت الدراسات احتواء المحيطات على كميات هائلة من الخامات المعدنية كالفضة والذهب والتوتياء والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن، وبدئ باستثمارها فعليا في بعض الدول. ويمكن القول إننا عند فاتحة عهد جديد في مجال الاستغلال الاقتصادي للمحيطات، إذ بدأنا نسمع عن العربات الضخمة التي تجوب قعر المحيط لتقوم بعمليات التنقيب والحفر واستخراج المعادن. كما صممت منصات حفر آبار البترول الضخمة المقاومة للأمواج والتي تنتج الآن خمس الإنتاج العالمي من البترول.

والمشكلة الأساسية التي تشغل بال علماء المحيطات هي مشكلة «التلوث» التي من شأنها أن تهدد البيئة الحياتية في المحيطات، والتي تسببها بالدرجة الأولى حركة ناقلات النفط التي لا تنقطع، حيث يعتبر تلوث المحيطات بالنفط خطراً من الصعب إزالته. وفي هذا الصدد يقول **كوستو** إنه رأى كتل القطران وبقايا الزيت في مناطق عديدة من المحيطات التي زارها، وعبر عن ذلك بعبارة مأساوية حين قال: **«إن المحيطات مريضة...»**.

سفينة أبحاث تستخدم إنساناً آلياً. للقيام بالأبحاث على قعر المحيط. توجه الأوامر إلى الإنسان الآلي عن طريق سلك اتصال بعد أن تتلقاها السفينة من مركز الأبحاث عن طريق القمر الصناعي. وهي طريقة لنقل الصور والمعلومات من قعر المحيط مباشرة عن طريق آلات التصوير التليفزيوني المثبتة على الإنسان الآلي.





بقلم : محمد فاروق الحسامي

أفق جديد لتطوير التدريب المهني

التدريب المهني هو ذلك المجال التعليمي الذي يستقبل الأشخاص الذين عزفوا عن الدراسة المدرسية بسبب تخلفهم من الناحية النظرية وتفوقهم في المهارات الحسية الحركية، أو بعبارة أخرى قدرتهم المتميزة على استخدام أيديهم في مهارات عملية أكثر من غيرهم، ولن نعالج هنا الدوافع الحقيقية الكامنة وراء انخراط أي فرد في مجال تعلم حرفة تطبيقية عملية مهما كانت درجة بساطتها أو تعقيدها، فإن ما يهمنا هنا هو هذه العملية التدريبية بالذات التي ينتج عنها تعلم مهنة ما.

التدريب المهني التقليدي

إن للتدريب على أي حرفة أو مهنة مدخلاً مألوفاً وسياقاً متبعاً، سواء أتمّ ذلك عند «معلم» لهذه الحرفة أم في مركز فني متخصص، حيث يتلقى الحرفي الإرشادات من المدرب ويمارس التطبيق العملي تحت إشرافه. وقد تختلف طريقة التدريب ما بين مهنة وأخرى، فمن المهن ما يتساوى فيها النصيب النظري مع الجانب التطبيقي من حيث الأهمية، ومنها ما يزيد فيها نصيب جانب على الجانب الآخر. كما تختلف درجة استخدام الآلة واللجوء إلى المهارة اليدوية ما بين مهنة وأخرى. وما يتسم به هذا الشكل من أشكال التدريب بشكل عام هو تمحوره حول المدرب أو «معلم» المهنة وارتباط العملية التدريبية ونجاحها باستمرارية مراقبته وحفظ تعليماته وتطبيقها تطبيقاً صحيحاً.

تطور التدريب المهني

مع تقدم الحضارات تطورت تقنيات تعليم المهن، وعلى الرغم من أن المهن التي تحتاج لمواهب معينة ودقة في التنفيذ ظلت محصورة بالتوارث فلا يعلمها الأب إلا لأبنائه أو أقربائه، إلا أن المدخل إلى مهن عديدة بات واسعاً وغدت تقنيات التدريب أفضل، ولو أنه بات من المفترض أن يكون المتدرب أفضل تعليماً من قبل لكي يتمثل المعارف النظرية التي تكمن خلف مهنته التي يتلقنها. وقد لجأت شركات صناعية عديدة منذ عهد قريب إلى استخدام فروع تدريبية لتأهيل عمالها وترميم خبراتهم ومهاراتهم ولاستقبال عمال شبه مهرة من أجل إعدادهم لتعبئة الشواغر التي تحدث في خطوطها الإنتاجية، كما دأبت على إصدار نشرات ومطبوعات ليس للإعلان عن منتجاتها فقط بل لتعميم تعلم المهن المتصلة بنشاطاتها أيضاً.

المنظور الأحدث

لا شك أن لعملية التدريب المهني أهمية اقتصادية لها شأنها، إذ إن القائمين على تنظيم هذه العملية يضعون أعينهم دوماً على تغيرات سوق العمل، وذلك لمعرفة متغيرات الطلب على مختلف المهن لإحداث التغيير المطلوب في إعداد خريجي المهن وفقاً لنسبة طلبها. والهدف واحد إن كانت هذه التغيرات تحدث في القطاع الخاص أو العام من سوق العمل، إذ إن مهمة الجهات التدريبية هي تأمين اليد الماهرة المطلوبة لمهن معينة، إن كانت هذه الأيدي مطلوبة لسد ثغرة في المصانع بسبب نقص في العمالة (نظراً للزيادة السكانية والحاجة لمزيد من فرص العمل أو بسبب تزايد خطوط الإنتاج أو الوفاة أو التقاعد أو الهجرة في صفوف العمال). ولا بد لجهات تخطيط القوى العاملة من مراعاة تحقيق الإشباع المطلوب بشكل متوازن فلا يتم الوصول إلى فائض عمالة يؤدي إلى البطالة أو البطالة المقنعة ولا ينقص العدد المطلوب بحيث



يضع أحد عناصر سوق العمل تحت رحمة ظروف مناوئة.

من أجل ذلك ارتفعت وسائل تطوير التدريب لملاءمة شتى التغيرات، ولكي يتم تحقيق المرونة والتكيف مع الظروف الاقتصادية والتقنية المتغيرة، وصار من الضروري ربط دَخل العملية التدريبية (طلابها) مع خَرْجِها (خريجيها).

ولقد دأبت مجموعة من الخبراء الدوليين على اعتماد طريقة حديثة تتمحور حول المتدرب، وتصور العملية التدريبية وتنظمها من واقع المهنة المطلوبة بحيث تصبح المهارات المكتسبة قابلة للتوظيف في مجال الاختصاص المطلوب. وتسمى هذه الطريقة الرائدة: (طريقة المهارات القياسية الاستخدامية) أو: (المهارات النموذجية الوظيفية)

وهي الطريقة التي تعتمدها منظمة العمل الدولية، وقد طبقتها في عدد كبير من المشاريع الرائدة في الدول التي أعلنت عن حاجتها لخبرة دولية لتنظيم النشاطات التدريبية المهنية لديها. وسنعرض فيما يلي أسس هذا النظام التدريبي الحديث.

اللائحة العالمية للمهن

لا شك أن هناك قواسم مشتركة أساسية بين أوليات مهنة معينة في دولة ما وذات المهنة في دولة أخرى وإن كانت هناك بعض الاختلافات في تفاصيل التطبيق، وهي تفاصيل تتبع بلا شك مستوى التطور الحضاري في هذه الدولة أو تلك.

كما أن هناك قائمة طويلة من المهن يجري اعتمادها في شتى دول العالم وتزيد هذه القائمة أو تنقص تبعاً للخلفيات التراثية ودرجة التقدم التي يعيشها هذا القطر أو ذاك.

المكونات الرئيسية لأي نظام تدريبي

يتألف أي نظام تدريبي من عدة مكونات تشكل مجمل هيكله العام وهي: دخل عملية التدريب (أي الطلاب المنتسبون)، العملية التدريبية بشقيها النظري والعملي، وخرج هذه العملية (**أي الطلاب المتخرجون كعمال مهرة**)، وتصطبغ العملية التدريبية بمجملها بما يسمى التغذية العكسية [1]: أي امتحانات التقويم لتأهيل المتدرب للمهنة التي سينتسب إليها وعمليات التصحيح على المنهاج التدريبي في ضوء هذه الامتحانات وهي امتحانات: ١ ـ تحديد أهلية الانتساب ٢ ـ انتقال من مهارة إلى أخرى ٣ ـ لمنح الشهادة. ولا ريب أن هناك الكثير من العوامل التي تدخل في تكوين النظام التدريبي مثل المرافق (مكاتب، ورشات، تجهيزات) والعاملين (إداريين، مدربين) والبنود المالية المخصصة للإنفاق على المؤسسة القائمة بالتدريب، ولا ريب أن ذلك ينطبق أيضا على نظام (MES) التدريبي.

خصائص مكونات النظام

يتميز نظام التدريب الذي يسير وفق نموذج (MES) بمراعاته للفروق الفردية في كل جزئية من جزئياته. فالطلبة المنتسبون يتسمون بخلفيات وإمكانات متفاوتة لا بد من أخذها بعين الاعتبار عند الأخذ بأيديهم في سياق العملية التدريبية. لذلك لا بد من تجزئة مهارات المهنة المراد تعليمها إلى أصغر الوحدات الممكنة من المهارات وتزويد كل وحدة بامتحان انتقالي للتأكد من إتقان هذه المهارة، ويترك كل متدرب على حدة لمراقبة سرعة تعلمه وإتقانه، ولا شك أن المتدرب الأكثر تفوقاً هو الذي يسبق أقرانه في إنجاز أكبر عدد من المهارات في نفس الزمن، بحيث يسبقهم في الحصول على المؤهل الذي يجيز له ممارسة العمل المطلوب (شهادة التخرج). كما أن العملية التدريبية تتأثر بالبيئة التي يجري فيها التدريب وبمدى اقتراب الجوانب النظرية والعملية للتدريب من واقع حال الممارسة الفعلية للمهنة المطلوبة.

ولا بد لنا عند دراسة خرج العملية التدريبية من دراسة مدى ملاءمته للدخل، فمثلاً عندما يتناول المرء حبة علاج للصداع (**للحصول على خرج: معالجة الصداع**) لا بد وأن يكون بحاجة لها أصلاً (أي أن تكون الحالة الأصلية أو «الدخل» هي الحاجة لها وليس للفيتامينات مثلاً). إذن لا بد أن يتسم النظام التدريبي الناجح بثلاث خصائص رئيسية هي:

التخطيط السليم والكفاية والفعالية. والتخطيط السليم يتم كما نعلم بضبط العلاقات بين مكونات النظام، كما يتم الحصول على الكفاية بملاءمة الدخل والخرج، وأما الفعالية فتتحقق عندما يتوافق خرج النظام أو أي جزء منه مع احتياجات الأنظمة أو أجزاء الأنظمة الأخرى التي تم ربطها بها.

التصميم الفعال لنظام تدريب مهني نموذجي

تنحصر ضمن إطار هذا النظام التدريبي ثلاثة مكونات أساسية هي: المتدرب [2] والبيئة التعليمية ومضمون المادة التعليمية. وإذا تأملنا كل واحد من هذه المكونات على حدة، في ضوء ما ورد سابقاً، فإننا نستطيع تكوين بعض النتائج الملموسة عن تصميم نظام تدريب مهني نموذجي. أما الهدف فهو تحسين الفعالية والكفاية؛ ونحن نحصل على الكفاية عندما تكون جميع جزئيات النظام مكيفة بشكل مناسب بحيث يلائم بعضها بعضا من حيث مجموع الدخل



ومجموع الخرج، وتنتج الفعالية عندما يلائم الخرج مستلزمات الدخل.

ونظراً لكون المتدربين مختلفين بعضهم عن بعض بالتأكيد لذلك لابد من إعداد دورة لكل واحد منهم على حدة، ويسمح هذا النظام بذلك لأن جزئياته التعليمية (النصوص أو ما يطلق عليه اسم: العناصر التعليمية) مقسمة وفق أصغر المهارات حجماً»[٣] مما يساعد على إعداد قائمة بالعناصر المناسبة لكل متدرب مرتبة حسبما يلائمه وحده.

وأما **البيئة** فتتسم بمرونة التدريب النظري والعملي، إذ إن عناصر تعليمية معينة، مثل «استخدام أدوات القياس» على سبيل المثال، يمكن استخدامها في أكثر من مجال اختصاص، كما أن تنوع المناهج المعطاة للمتدربين يوجد في ورشة العمل خطوات عمل مختلفة في ترتيبها في نفس المهنة، كأن نرى في مجال الخراطة مثلاً: متدرباً يجلخ أدوات القطع، وآخر يستخدم المخرطة، وآخر يقيس القطع المنتجة، وهكذا، وهو ما يسمى بالفعالية التدريبية.

أما المضمون، أي المواد التعليمية، فيتمتع بقابلية القياس من حيث تجزئة المهارات، ويتمتع بوضوح الحافز من خلال وضوح الأهداف في مقدمة كل عنصر تعليمي، ويتسم بقابلية التقويم من خلال الامتحان الانتقالي الموجود في نهاية كل عنصر، وأيضاً بقابلية الاستبدال والتجديد بمجرد تطور المعلومات التي يبحثها.

الأساس المنطقي لصياغة الأهداف التعليمية

تعنى طريقة المهارات الوظيفية النموذجية في التدريب بكفاية التدريب، ويمكن أن نفسر الكفاية على نحو ما بأنها محاولة بلوغ النتائج المثلى من العملية التدريبية. ونحن نستطيع أن نتعلم القليل بطرق مختلفة ولأسباب مختلفة. فقد يرغب المرء بتعلم توصيل أسلاك علبة تفريغ خطوط كهربائية ليحصل على مزيد من الإنارة في منزله. وقد يرغب شخص آخر في تعلم توصيل أسلاك مثل هذه العلبة ليتمكن من امتهان هذا العمل وتطبيقه بسرعة أكبر. وعلى الرغم من اختلاف غرضي هذين الشخصين من التعلم إلا أن الحصيلة التعليمية الناتجة لا تتغير، وعندما يعرف المتعلم ما الذي ينتظر منه أن يحققه بعد إنهاء تدريبه فإنه سيصبح أكثر ميلاً لتحقيق نتائج أفضل. وغالباً ما يتساءل معظمنا أثناء خوضه غمار أي عملية تعليمية بانتظار الامتحان النهائي حول الحصيلة التي كان من الواجب إظهارها كدليل على تعلمنا ما كان يجب أن نتعلمه. وهكذا فإننا عند تحديد الأهداف التعليمية بشكل واضح نكون قد أوضحنا الحصيلة المقصودة من العملية التعليمية.





المهارات الحاكمة للتعلم

ما المهارات الحاكمة للتعلم التي يجب أن نعرفها قبل صياغة الأهداف التعليمية؟ لقد تم في الماضي بذل محاولات عديدة لتصنيف أشكال السلوك الإنساني حسب معنى كل منها من أجل الوصول إلى فهم أفضل لها. وإن «علم تصنيف الأهداف التعليمية» الذي استنبطه «بلوم» عام (١٩٥٦) وقام «كراثوول» (عام ١٩٦٤) بتطويره، هو واحد من أكثر نظم تصنيف السلوك الأوسع استعمالاً.

ويقوم «علم تصنيف الأهداف التعليمية» على تقسيم الأهداف هيكلياً وفق ثلاث فئات تسمى «المهارات الحاكمة»، أما أساس هذه المهارات الحاكمة فيستند إلى أن كل واحدة منها تتضمن نوعاً مختلفاً من «السلوك» كمحصلة.

أما المهارات الحاكمة والمحصلات الخاصة بها فهي:

١ — المهارات الإدراكية: وتشتمل على المحصلات الفكرية الناتجة عن مهارات التفكير.

٢ — المهارات المواقفية: وتشتمل على المحصلات الناجمة عن المشاعر والعواطف، وهي محصلات من المواقف التي تتجه نحو الدقة والسلامة المهنية.

٣ ـ المهارة الحسية الحركية: وهي محصلات المهارة المهنية: وتلاحظ في القدرة على تشغيل الآلات والعدد اليدوية وغيرها مما يدل على التوافق العصبي العضلي والذكاء العملي.

المهارة الوظيفية النموذجية[٤]

تعمل المهارة الوظيفية النموذجية على تمثيل أصغر أجزاء أداء أي حرفة، وبعبارة أخرى فإن المهارات الوظيفية النموذجية هي مواصفات عمل معين يعبر عنها من خلال وحدات قابلة للقياس والتقويم. ولنأخذ مثالاً على ذلك عامل تمديدات كهربائية يعمل لحسابه الخاص ويترتب عليه أن يقوم بجميع عمليات التمديد لشقة أو منزل وصولاً إلى علب الفواصم المنصهرة (الفيوزات)، وهو يؤدي هذا العمل وحده بشكل كامل فهو:

ـ يرسم خطوط التمديدات على الجدران مع حفرها (الوحدة النموذجية الأولى)

ـ يركب الأجزاء المكونة لخطوط التمديدات على الجدران (الوحدة النموذجية الثانية)

ـ يركب الكابلات على الجدران باستخدام أدوات التثبيت والسروج الخطافية (الوحدة النموذجية الثالثة)

ـــ يوصل مختلف المدارات الكهربائية (الوحدات النموذجية من ٤ إلى ٩)

ـ يختبر التمديدات الكهربائية (الوحدة النموذجية العاشرة)

إذن تتألف المهارات النموذجية القابلة للتطبيق في وظيفة عامل التمديدات الكهربائية من عشر وحدات نموذجية، وبهذه الطريقة يمكن القياس في المهن الأخرى.

معايير عناصر معالجة المهارات النموذجية

إن هذا النوع من البرامج التدريبية مصمم لملاءمة وحدة قياسية لمهارة قابلة للتطبيق في مهنة معينة وذلك استناداً لمواصفات مهنة ما، تمت صياغتها بتحليل العمل الفعلي المراد إنجازه. وتسمح المواصفات المهنية إلى جانب تحليل المهارات الموجودة ذات العلاقة والتي سيكتسبها عدد منشود من المتدربين بإعداد المواصفات التي تملأ الثغرة التدريبية المطلوبة.

وهكذا فإن المتدرب يستطيع أن يتعلم كل شيء أساسي بالنسبة له من أجل استخدامه المستقبلي، ولكن ليس من المستحسن هدر الزمن والموارد على تطوير مهارات هامشية.

ويتألف البرنامج التدريبي من وحدة نموذجية أو أكثر، وعندما ينهي المتدرب وحدة تعليمية معينة يصبح قادراً على أداء جزء هام وكامل من المضمون المطلوب من العمل حسب مستوى محدد.

التخطيط لتنفيذ الوحدات القياسية

لا ريب أنك قمت حتى هذه النقطة بتكييف تفكيرك بما يتناسب وإعداد الأنظمة التدريبية، وقد بتَّ تعلم بأن الوحدات القياسية للمهارة النموذجية القابلة للتوظيف لا تشكل سوى عنصر واحد من عناصر النظام التدريبي ككل. كما أنك تدرك بأن إدخال هذا الجزء الجديد سيكون له تأثيره في العديد من العناصر الأخرى ضمن النظام، مثل الإطار التدريبي واللوازم والتجهيزات والمرافق والمخصصات المالية.

وأنت في سياق الإعداد للنظام التدريبي بحاجة لهدف، وهو هنا دون ريب «تقديم الوحدات القياسية للمهارات النموذجية الوظيفية». ولكنك تعلم أيضاً بوجود بيانات حول الظروف المحيطة بأي هدف، والنشاطات التي ستؤدي إلى إنجاز الهدف، إضافة لمعايير قياس تحقيق الهدف أو عدم تحقيقه. ولنأخذ مثالاً حياً على ذلك:

عنوان العنصر التعليمي : قياس التيار الكهربائي

المهنة : تمديدات كهربائية

الأهداف: عندما تنهي هذا العنصر التعليمي سيصبح بإمكانك القيام بما يلي:

أ ـ توصيل جهاز القياس بالجسم المراد قياس تياره.

ب ـ وضع الجهاز على مجال القياس الأيمن باستخدام مفاتيح الاختبار.

جـ ـ انتقاء الوضعية الصحيحة لمفتاح (أو مفاتيح) أو أزرار الكبس بما يلائم نمط التيار المراد قياسه.

د ـ تحديد مدى لزوم محول التيار أو عدم لزومه . . . إلخ.

وفي هذه الحالة سيكون معنى ما سبق بيانات عن الإطار الزمني الذي ستعمل ضمنه.

وسيوصلك ذلك إلى التعبير عن الهدف بعبارات تبين الحصيلة (الخرج) المتوقع اكتسابها.



تحليل خطوات عمل معين لوحدة نموذجية

لكي نتمكن من تحديد العناصر التعليمية التي سيتم اختيارها أو إعدادها لتغطية جميع جوانب التدريب لوحدة نموذجية معينة، فإن من الضروري أن نحلل كل خطوة عمل من أجل تحديد المهارات الإدراكية والمواقفية والحسية ـ الحركية (المهارات الحاكمة) المطلوبة. ولا بد من تحديد المستويات التي يجب أداء العمل بموجبها في نفس الوقت الذي يتم فيه تحليل خطوات العمل.

لنحلل الآن بعض خطوات العمل المحددة للوحدة النموذجية المهنية «تركيب الأجزاء وأدوات التثبيت على الجدران» ضمن إطار العنصر التعليمي «خطوات العمل المنجزة ضمن وحدة نموذجية» ضع في حسابك بأن العمل يجري إنجازه في الغرفة التي تم فيها سابقاً «تعليم أمكنة الدارات التي سيتم تركيبها».

إن خطوة العمل الأولى التي قمنا بتحديدها ضمن هذه الوحدة النموذجية هي «فحص المصورات لتحديد أنواع وقياسات وكميات ووضعيات الأجزاء / وأدوات التثبيت المراد تركيبها» والكلمتان «فحص» و«تحديد» تقترحان بأن هذه الخطوة من العمل تتطلب بشكل رئيسي المهارات الإدراكية من أجل أدائها.

خطوات العمل المؤدّى

يتم إنجاز العمل المنفذ ضمن وحدة نموذجية

وفق عـدد من خطوات العمل المحـددة بوضـوح. وهي تجري بتسلسـل منطقي. ولا بـد مـن تعلم مهارات معينة لكل خطوة عمل من أجل تنفيذها حسب مستوى الأداء المطلوب.

هنـاك فئتـان من الأشخـاص الـذين يجب أن يكونـوا قادرين على تحديـد خطوات العمل المؤدى ضمن الـوحـدات النمـوذجيـة ــ أولاً: أولئك المنهمكين في عملية إلـزاميـة لاختيـار العنـاصر التعليمية المناسبة من أجل وحدة نموذجية معينة، ثـانيـاً: أولئك الـذيـن يترتب عليهم إجـراء تحليل المهارات التفصيلية حيث تعتبر ضرورية من أجل تحديـد وتحضير العنـاصر التعليميـة للـوحـدات النموذجية.

وكمثال، علينا الآن أن نحدد خطوات العمل المؤدى ضمن الوحـدة النموذجية: «تـركيب أجزاء وقطع تثبيت الدارات على الجدران» لمهنة «تمديدات كهربائية» في مجال: «تمديدات الكهرباء المنزلية».

ولتحديد خطوات العمل المؤدى ضمن الوحدة النمـوذجيـة يترتب على معـد المنهـاج أن يعـرف حصيلتها النهـائية، وهـي هنا، الأجـزاء والمثبتات المركبة بشكل مناسب من أجل تمديـدات كهربائية معينة. ومثل هذا العمل يجري في غرفة يتوجب فيها أن يتم تمديد الدارات فيها بعد أن تم رسم مواضعها على جدران الغرفة.

مواصفات العمل للتدريب النموذجي

يجب أن تكـون بـرامج تـدريب المهـارات الـوظيفية النمـوذجيـة مـرتكزة إمـا على متطلبـات تدريبيـة وطنية في حـال كون التـدريب سيؤدي إلى مستوى تدريب ملحـوظ على صعيد قطري، و إما على مواصفـات عمل معدة بشكل جيـد، في حال كـون التـدريب سيلبي حاجـات تـدريب محدودة بأكثر الطرق فعالية ومروداً من أجل واقع استخدام معين.

خصائص وحجم العنصر التعليمي

إن العنـاصر التعليميـة المعـدة حسب مفهـوم الوحدات النموذجية المهنية القابلة للاستخدام هي كتيبـات تعليمية مستقلـة بـذاتها، أعدتها منظمـة العمل الدولية (ILO) للمساعدة على تجميع برامج التدريب وفق النظام النموذجي. وقد تم إعداد كل عنصر تعليمي بحيث يشمل جميع جـوانب تعليم مهارة معينة.

وللعناصر التعليمية التي أعدتها منظمة العمل الدولية خصائص مشتركة وحجم، ويمكن إعداد عناصر تعليميـة لمهارات أي مهنـة بالطـريقة التي سبق ذكرها بعد إجراء التحليل الوظيفي لهذه المهنة لبيان خطوات العمل اللازمة لكل مهارة.

ولا شك أن اعتماد هـذا المفهـوم التـدريبي من شأنـه أن يـرفع مستـويـات العمال الفنيين الـذين تخرجهم العملية التدريبية المهنية، لاسيما وأنه يعتمد فيها يعتمـد على تلقين المتـدربين مهـارات أعمالهم المنتظـرة تبعاً لمستـويات مهـاراتهم الحاكمة وسرعـة اكتسـابهم، وهـو أمر يـرتبط بـالتقـدم الحاصل في المجال التدريسي النظامي في الدول المتقدمة والذي اعتمدت فيه على ركائز الذكاء أو اختبار مستويات الذكاء (٥) بحيث ندهش أحيانـاً عندما نسمع بأن فتى في الثانيـة عشرة قد تمكن من اختصـار دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية ليتمكن من التسجيل في السنـة الأولى من إحـدى الكليـات الجامعيـة في اختصاص علمي عالٍ، وهـو أمر نتمنى أن نشهده في وطننا العربي عما قريب إن شاء الله.

□ □ □



الهوامش

(١) يمكننا تشبيه عملية التغذية العكسية بدورة اندلاع النيران في منزل ومحاولة إطفائها بمواد معينة أو زيادة اشتعالها. فعندما نعمد إلى اطفائها فهي عمليـة تغذية عكسية تقويمية (سلبيـة)، وعندما نعمد إلى زيادة اشتعالها فإننا نكمل دورة تغذية عكسية تعزيزية (إيجابية). وكـذلك عندمـا نقيّم أسئلة امتحـان الطالب بشكل صحيح ونستفيد منهـا لإدخال التعديلات الـلازمة على العملية التدريبية فإننـا نقوم بعملية تغذية عكسيـة (استرجاعية) Feed back سلبية وفي حال التصحيح الخاطئ نكون قد أغلقنا دورة تغذية عكسية إيجابية.

(٢) وقد أغفل دور المدرب في هذا النظام باعتبار أن التدريب متمحور حـول المتـدرب، حيث ينحصر دور المدرب في الإشراف على عملية التـدريب وانتقال كل متـدرب على حدة في سيـاق تطور مهاراته.

(٣) يمكن تشبيـه «العنصر التعليمي» في هـذا النظام بـالـذرة في أي شيء، نظراً لأنـه يمثل مهارة صغيرة جـداً في مجال الاختصاص المهني المطلوب لا يمكن تجزئتهـا تماماً كما أن الـذرة لا تتجزأ إلى مكونات مماثلة أصغر منها.

(٤) أو المهارة الاستخداميـة القياسية "Modular employable Skill"

(٥) حاصل قسمة سن الطالب العقليـة على سنه الزمنية مضروباً بمائة وهو ما يعرف بحاصل الذكاء أيضاً.

الفَحصُ الطِّبيُّ الدَّوريُّ

بقلم: د. غسان حتاحت

يعدُّ الفحص الطبي الدوري واحداً من أهم الوسائل الوقائية التي يُلجأ إليها للمحافظة على سلامة الجسم وحسن قيامه بوظائفه. وثمة من يعتقد أن هذا الفحص يتم بإجراء بضعة تحاليل مخبرية يختارها المرء بنفسه حسب ما يخطر بباله، أو حسب ما ينصح به صديق خبير أو قريب مجرب، كما أن هناك من يعتقد أن هذا الفحص عبث لا ضرورة له ولا فائدة تُرجى منه.

ومما لا شك فيه أن هذين الاعتقادين بعيدان كل البعد عن الصحة والصواب، ومما لا شك فيه أيضاً أن الفحص الدوري عظيم النفع، ثابت الفائدة، خاصة عندما يُجرى استناداً إلى قواعد صحيحة ومعايير محددة وأصول متعارف عليها طبياً.

يقصد بالفحص الطبي الدوري فحص الأشخاص الطبيعيين، الذين لا يشكون من أية أعراض، فحصاً سريرياً كاملاً، مع إجراء فحوص مخبرية متممة، في فترات وفواصل زمنية معينة منتظمة. وغايته هي تحقيق الوقاية المجدية من الأمراض، واكتشاف الحالات القابلة للعلاج بصورة مبكرة، وقبل تظاهر أعراضها، وتحسين نوعية الحياة من الناحية الصحية، وتوجيه المريض إلى اتباع التوصيات الطبية المفيدة والعادات الحسنة.

وبما أن أسباب العجز والوفاة الرئيسية هي: أمراض القلب وشرايينه والسرطان والأمراض الخمجية (الالتهابية) والأمراض الاستقلابية. كان لابد من التركيز عليها وذكر بعض الملاحظات المهمة الخاصة بها.

ولابد من أن أوضح أن القواعد والمعايير التي يُسترشد بها عند إجراء الفحص الدوري، هي معايير وقواعد ليست جامدة ولا ثابتة، بل يمكن تكييفها حسب حالة كل شخص. ووجود مثل هذه النواظم يشعر الطبيب بالراحة عندما يتبعها تمشياً مع أصول الطب، ويشعره بالرضى عندما يخالفها متعللاً بمبدأ الاجتهاد والرأي.

الشخص غير العرضي

يمكن تعريف الشخص غير العرضي بأنه الإنسان الذي يشعر أنه بصحة جيدة، ولا يشكو من أية أعراض، وليست في عائلته أمراض وراثية معروفة، وليس معرضاً لشروط محيطية مؤذية، ولا توجد في سابقته المرضية إصابات خطيرة، أو عادات سيئة تجعله عرضة للأمراض.

واستناداً لذلك نعتبر أن امرأة صحيحة الجسم لها أختان مصابتان بسرطان الثدي لا تدخل ضمن هذا التعريف. وينبغي على الطبيب الذي يداويها أن يلجأ إلى إجراء فحوص خاصة بسرطان الثدي أكثر من لجوئه إليها لدى النساء الأخريات.

وكذلك رغم أنه لا ينصح بإجراء اختبارات الأمراض الزهرية التناسلية روتينياً لدى عامة الناس، إلا أنه يتوجب إجراؤها على الأشخاص المعرضين لها.

وثمة ملاحظة هامة وهي أن الشخص المصاب بمرض ما يجب أن يظل خاضعاً للفحوص الروتينية للأمراض الأخرى، مثله في ذلك مثل الأشخاص الأصحاء، وعلى هذا الأساس يجب أن يهمل التفتيش عن وجود الشرطين لدى مريض مصاب بآفة أكليلية في الشرايين المغذية للقلب.

أهداف الفحص الدوري

عند تقديم الرعاية الطبية للأشخاص غير العرضيين لابد من تحديد أهداف واضحة:

● **أولها: هو الوقاية من الأمراض.** ونُذكِّر هنا بالنجاح الرائع الذي حققته وتحققه اللقاحات في منع حدوث كثير من الأمراض الخمجية (الالتهابية) وفي القضاء التام على **مرض الجدري** عندالبشر.

إن اتباع بعض التوصيات يساعد على الوقاية من الأمراض، فعدم الإفراط في تناول المواد الدسمة الحاوية على **الكوليسترول**، والقيام بالتمارين الرياضية اللطيفة، والامتناع عن التدخين وشرب الخمر، كل ذلك يؤدي إلى التخفيف من احتمال حدوث **أمراض الشرايين الإكليلية المغذية للقلب**، التي تعتبر السبب الأول للوفيات في معظم البلدان.

● **أما الهدف الثاني فهو اكتشاف الأمراض القابلة للعلاج والشفاء في المرحلة التي تكون فيها غير مرضية.** وهنالك معايير تنظم إجراء الفحوص الكاشفة لذلك كي تكون فائدتها أعم وأكبر. فيجب أن يكون المرض الذي يفتش عنه على درجة من الخطورة والشدة، **وأن يكون من صفاته أنه يسبق عادة بفترة طويلة غير عرضية** (يكون المرض خلالها موجوداً قبل أن تتجلى مظاهر للعيان). ثم لا بد أن تكون هناك طرق يمكن بواسطتها اكتشاف المرض في المرحلة غير العرضية. وأن تكون هذه الطرق غير ذات ضرر بالجسم وغير باهظة التكاليف وذلك بالموازنة مع الفوائد المتوخاة من اكتشاف المرض مبكراً. ثم لا بد من أن يكون هنالك علاج متوافر يغير بصورة فعالة من سير المرض عندما يطبق على المرض غير العرضي.

واستناداً لذلك يمكن أن نعتبر أن إجراء صورة شعاعية للصدر بصورة روتينية بحثاً عن سرطان الرئة لدى الأشخاص الأصحاء لا يحقق الفائدة المرجوة منه، لأن اكتشاف هذا السرطان لا يتم مبكراً، وبالتالي فإن العلاج لا يغير كثيراً من سير المرض.

● **أما الهدف الثالث فهو تحسين نوعية الحياة فيما يتعلق بالنواحي الصحية،** لذلك ينصح بإجراء فحوص للبصر والسمع لأن اضطرابات هاتين الحاستين تسبّب مشكلات شتى.

● **الهدف الرابع من اجتماع الطبيب بالشخص غير العرضي هو إعطاؤه توجيهات وارشادات قد لا يتاح للطبيب فرصة لذكرها في حالة المرض،** ومن هذه التوجيهات اتباع العادات الصحية المفيدة، والقيام باختبارات خاصة كفحص الثدي ذاتياً عند النساء لكشف وجود أورام فيه، وكذلك فحص الخصية الذاتي عند الذكور لنفس الغاية.

توجيهات خاصة

سأذكر هنا توجيهات خاصة تتعلق بمجموعة من الأمراض التي تعتبر مسؤولة بدرجة كبيرة عن الوفاة والعجز لدى فئة كثيرة من الناس. وهي كما ذكرت آنفاً الأمراض الخمجية (الالتهابية)، والسرطان، والأمراض الاستقلابية، وأمراض القلب.

الأمراض الخمجية

لابد للوقاية من هذه الأمراض من إعطاء الأشخاص البالغين الذين لم يسبق تلقيحهم لقاحات خاصة مضادة للكزاز **(التيتانوس)** والخناق **(الدفتريا)** وذلك بجرعات خاصة بالبالغين. مما يؤدي لوقايتهم من هذين المرضين. وكذلك فيما يتعلقب بلقاح الحصبة الألمانية لدى النساء (وهي المرض الاندفاعي الفيروسي المنشأ، الذي إذا أصاب الحامل في أشهر الحمل الأولى أدى إلى حصول أسوأ تشكل وتشويهات في الجنين بنسبة عالية). **ولذا يجب إجراء اختبار لمعايرة المناعة الموجودة لدى كل النساء غير الملقحات بلقاح الحصبة الألمانية واللاتي هن في سن الحمل، فإذا ظهر أنه لا توجد ثمة مناعة لديهن فيجب أن يلقحن بعد إرشادهن إلى ضرورة تفادي حصول حمل خلال الأشهر الثلاثة التالية للتلقيح.**

أما لقاح شلل الأطفال فلا يعطى للبالغين إلا في شروط خاصة، ولدى المعرضين بدرجة كبيرة إلى خطره. وأما لقاح **النزلة الوافدة** (الانفلونزا) فينصح بإجرائه مرة كل عام لدى من تجاوز الخامسة والستين من العمر، وكذلك الأمر بالنسبة **للقاح المضاد للمكورات الرئوية.** وخاصة لدى المصابين بأمراض صدرية مزمنة، أو بالداء السكري، أو بأمراض الكبد والكلى لأن هذين المرضين (النزلة الوافدة وذات الرئة) قد يصبحان في هذه الحالات قاتلين.

كذلك ينصح بإجراء اختبارات السل والأمراض الزهرية بصورة دورية لدى الأشخاص المعرضين لها.

السرطان

أشرنا سابقاً إلى أن إجراء تصوير شعاعي للصدر للبحث عن سرطان الرئة لدى الأشخاص الأصحاء لا يعطي الفائدة المرجوة منه، وإن كان الواجب على الطبيب أن ينبه المريض بإصرار إلى ضرورة الامتناع عن التدخين وقاية من سرطان الرئة.

ويجب تعليم النساء كيفية إجراء الفحص الذاتي للثدي بصورة دورية، ومن قبل الطبيب مرة كل ثلاث سنوات بدءا من سن العشرين ثم سنوياً بعد الخامسة والأربعين. كما ينصح بعضهم بإجراء التصوير الظليل للقنوات اللبنية المفرغة للحليب بشكل دوري بعد الخامسة والأربعين.

وينبغي إرشاد الذكور إلى كيفية فحص الخصية ذاتياً بحثاً عن الأورام، وأن يقوم الطبيب بهذا الفحص مرة كل خمسة أعوام.

الأمراض الاستقلابية وأمراض القلب

للوقاية من أمراض الشرايين الاكليلية ينصح بتحري كولسترول الدم دورياً، كما ينصح بالتقليل من تناول الأغذية الدسمة الحاوية له، إذ يُرجّح أن مثل هذه الحمية وإنقاص الكولسترول دوائياً يفيدان في الوقاية وإن لم يوجد دليل أكيد يثبت ذلك.



كذلك ينصح بتحري وجود **الداء السكري** مرة كل خمسة أعوام، ويرى بعضهم أن الكشف المبكر والسيطرة الجيدة على سكر الدم قد تغير نحو الأحسن من مسيرة الداء، وإن لم يكن ثَمَّ إجماع على هذاالرأي.

أما في حال **ارتفاع التوتر الشرياني** فإن الكشف المبكر والعلاج الجيد أمران ثابتا الفائدة أكيدا المفعول. لذلك يجب فحص الضغط الشرياني لدى كل مريض عند كل زيارة للطبيب. ذلك أن هذا الفحص على سهولته البالغة عظيم الفائدة.

أما **هشاشة العظام** لدى بعض النساء بعد سن اليأس فيمكن التخفيف منها بتناول الكمية المناسبة من الكالسيوم.

العادات الصحية

العادات الصحية التي يجب أن يرشد إليها الطبيب كثيرة. بدءا من استعمال أحزمة المقاعد في السيارات إلى ضرورة المحافظة على الوزن المناسب وتفادي البدانة، إلى النصح بتناول وجبات طعام منتظمة بما فيها وجبة الإفطار صباحاً. وأهمية اللجوء إلى القيام بالتمارين الرياضية اللطيفة وتنظيم ساعات النوم، والامتناع عن تناول الأشربة الغولية (الخمور) وعدم التدخين... إلخ.

ولقد أظهرت دراسات عدة أن الذين يتبعون هذه التوصيات يكونون أطول أعماراً وأوفر صحة من سواهم، لكنه في الوقت نفسه لم يقم دليل ثابت بالدراسة العلمية على أن توصيات الأطباء تغير من عادات الناس بصورة جذرية، على أن واجب الطبيب دائماً وأبداً هو تقديم النصيحة، وللمريض أن يتبعها أو يخالفها فلا إكراه في الطب.

إن ما سبق ذكره غيض من فيض، أردت أن أعطي به فكرة موجزة عن أهمية الفحص الطبي الدوري، فهل بقي من يظن أنه يمكن بإجراء اختبارات عشوائية أن يعفي نفسه من الفحص الدوري؟ أم هل بقي هناك من يظن أن الفحص الدوري عبث لا ضرورة له؟



يرقة يحتضن الفكان القصيران إحدى اليرقات



تنثني نملة الفك المفترس للخلف لكي تحقن ضحيتها بالسم

حقائق وغرائب

النمل المفترس

في الغابات المطيرة في كوستاريكا يعيش نوع من النمل له فكان حادان يمكن بهما قتال حتى العقارب، وبواسطة إبر السمّ يستطيع تخدير فرائس تكبره حجماً خاصة أن حجمه لا يزيد على عشر البوصة، و رغم هذه القوة الوحشية يجمع بين أفراده نوع من التعاطف والتعاون.

إبر السم

يُعدّ نمل الفك المفترس أو نمل فك المصيدة واحداً من أكثر ضواري الطبيعة غرابة، فعن طريق ضربة ثاقبة مفاجئة للخصم يكسب المعركة ويعلن نهايتها. ويعيش نمل الفك المفترس Acanthognathus في الغابات المطيرة في كوستاريكا ولا يزيد حجمه على عشر البوصة، ورغم هذا فإن في استطاعته الدفاع عن عشه ضد عقرب متغطرس، وفي البداية يختبره بقرن الاستشعار ثم يطعنه بفكيه الكبيرين ساحباً إياه إلى الغُصن المجوف حيث يعيش.

وإذا لم يكن للمعتدي أجنحة وحاول الاقتراب من عش النمل فيكون قد ألقى بنفسه إلى التهلكة دون أن يدري، فما أسرع أن يقتل ويُلقى للرفاق الجائعين في العش وتحوم حوله اليرقات في احتفال يشبه العيد.

وعندما تقترب نملة الفك المفترس من فريسة ما، تقوم الشعيرات الحساسة الموجودة على الفكين بتحسس الفريسة ثم تصوب الفكين الكبيرين للأمام للإطباق عليها، وفي هذه الأثناء تقوم الأطراف المتشعبة بثقب الضحية، وعندئذٍ تجذب النملة بطنها للخلف وتنثني لكي تحقن ضحيتها بواسطة إبرة مملوءة بالسمّ.

مجتمع إناث

يتخذ هذا النمل من غصون الأشجار المجوفة أعشاشاً له وحتى مستعمراته نادرة وقليلة، وفي الغُصن الواحد يعيش عدد يتراوح بين ٤ و٢٠ من النمل البالغ في حين أن معظم أنواع النمل الآخر تعيش بالمئات أو بالآلاف وحتى الملايين، وعلى الجملة يُعتبر هذا النوع أكثر الأنواع غرابة من بين مئات الأنواع التي تضمها عائلة نمل الفك المفترس.

ويعتبر نمل الفك المفترس من مجتمعات الإناث مثل معظم أنواع النمل وتُنتج الذكور طبقاً للاحتياج وبعد قيامها بتخصيب الملكة يموتون، وفي داخل العش تسير



التعاطف.. نملة فك مفترس تقدم لأخرى وجبة طعام!



عش النمل في غصين مشطور


الفكان الطويلان يرفعان الفريسة عالياً


الفكان القصيران الحادان .. يبدوان بوضوح

الملكة في خيلاء داخل حافة الغصين المشطور، ويشير الجزء المتوسط الممتد في جسمها إلى وضعها الملكي ويبدو الفكان المتطوران لديها أشبه بفكيّ النمل الصغير.

ولأن نوع النمل هذا لا يستطيع العيش بكفاءة في ممرات الأرض أو الأشجار المتعفنة، تلجأ الملكة الجديدة عند الاستقرار إلى ملجأ جاهز متمثل في غصين مشطور، وبمجرد خروج الشقيقات الأوائل من البيض يأكلن بشراهة متحولات إلى شرانق ثم إلى شغالات ناضجات، بعدها يتركن أمر البحث عن الطعام والأمر الأكثر احتمالاً أنهن لا يرحلن ثانية عن العش.

طرق القتال

قد تقرر نملة الفك المفترس عدم استخدام فكيها القويين في مقاتلة الخصم، فقد حدث عندما تقابلت مع نملة سوداء كبيرة أنْ قامت بسرعة بإسقاط يرقة أمامها، ثم قذفت قطرات من السم في وجه العدو وسرعان ما تراجعت النملة السوداء محاولة الهرب وتنظيف نفسها من السم.

والغريب أن الفكين اللذين يمكنهما ثقب جسد الأعداء والدخلاء، يمكنهما أن يتحولا بنعومة إلى مهد يحتضن اليرقة ذات الجلد الناعم الرقيق.

ولمعظم أنواع النمل فكان بسيطان لهما حركة محدودة ولكن النمل المفترس يختلف، إذ بالإضافة إلى الشعيرات والأسنان يوجد فكان صغيران بجانب الفكين الكبيرين يمكن أن يبلغ اتساعهما عندما يفتحا ١٨٠ درجة ويمكنهما أن يتراجعا للخلف أو يتأرجحا للأمام في الهواء وهما على درجة من القوة بحيث **يمكن أن يحملا** يرقة، وفي هذه الحالة يبقى الفكان الكبيران دون استعمال.

وللفكين القصيرين أهمية أخرى إذ يقومان بالعمل السريع في مضغ الحشرة مما يجعل تناول الطعام عملية سهلة خاصة إذا علمنا أن تناول الطعام يصبح عملية متعبة عند نمل الفك المفترس من نوع Mymotras إذ إن هذا النوع يوجد لديه فكان طويلان فقط، لذا يضطر عند تناول الطعام للتقهقر إلى الخلف لكي يمزق طعامه ثم يقترب لكي يأكله ويتراجع مرة أخرى لتمزيقه ويقترب ثانية وهكذا.

تعاطف

عند الدفاع عن العش لا يكتفي نمل الفك المفترس الذي يقوم بدور الجند باستخدام الفكين القصيرين اللذين يشبهان الخطاف، بل يطلق دائماً رذاذاً متصلاً من مادة صمغية عن طريق فتحات الأنف.

والغريب أن هناك نوعاً من التعاطف يربط بين أفراد النمل، ففي داخل المستعمرة يعيش الأفراد على ما يمكن أن تجلبه كل نملة، ولأن الفريسة يمكن أن تقفز إلى أية مسافة أو أي ارتفاع، يحاول الأفراد التعاون فيما بينهم بشكل جماعي، إذ يشرعون فكوكهم الحادّة ويحيطون بالفريسة في حلقة محكمة.

يظهر التعاون بين أفراد نمل الفك المفترس أيضاً عندما تنجح نملة في اصطياد حشرة ما، فعند العودة إلى العش تقوم الشغالات برفع الحشرة عالياً عن الأرض بواسطة الذيل أو إطباق الفكين وذلك لضمان عدم قدرة الحشرة على تحرير نفسها.

بعد تخدير الفريسة.. حملها تمهيداً لنقلها إلى العش.



الأسلوبُ القصصِيّ في رسائل ابن سينا

بقلم: هشام عدرة

عبقرية فذة، فلسفة عميقة عمق البحار، موهبة أخّاذة، خدمت البشرية قرونًا عديدة، غزارة في الإنتاج الفكري، كغيث يهطل على النبت فيعطيه الحياة، ويبعث فيه الأمل.

هذا هو الشيخ الرئيس، ابن سينا، الحسين بن عبد الله بن علي، ولد عام ٣٧٠هـ، وتوفي عام ٤٢٨هـ. ورغم قصر حياته، فإنه منذ كان صغيرًا بدأت عبقريته بالتفتح، وبدأ بالإلمام بمختلف علوم عصره، حتى إنه تحدث عن نفسه، مبينًا العلوم التي اكتسبها قبل بلوغه سن العشرين قائلاً:

وقفت على جميع العلوم بحسب الإمكان الإنساني، فأحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي ثم عدلت إلى الإلهي، وقرأت كتاب (ما بعد الطبيعة) ـ لأرسطو ـ فما كنت أفهم ما فيه والتبس عليّ غرض واضعه، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ويئست من نفسي وقلت: هذا الكتاب لا سبيل إلى فهمه وإذ أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الورّاقين وجدت دلالاً بيده مجلد ينادي عليه فعرضه عليَّ فرددته رد متبرم ومعتقد أن لا فائدة من هذا العلم. فقال لي اشتر مني هذا فإنه رخيص أبيعه بثلاثة دراهم، وصاحبه محتاج لثمنه، فاشتريته فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة. ورجعت إلى بيتي وأسرعت في قراءته فانفتح علي في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب أنه كان لي محفوظاً على ظهر القلب. وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكرًا لله تعالى.

كتبه في الأدب

ولم يبق لابن سينا، على كثرة ما صنف بالنثر، كتابٌ واحد قصد فيه الأدب الخالص مع أن الروايات المختلفة عن كتبه تؤكد بأن له حظاً وافراً في الأدب وأنه كتب ثلاثة كتب ذهب في كل واحد منها مذهب علم من أعلام الأدب العربي من معاصريه أو ممن تقدمه بقليل مثل ابن العميد، والصاحب بن عباد وغيرهما، وذلك على إثر ما جرى بينه وبين أبي منصور الجبائي في بلاط الأمير علاء الدولة صاحب أصفهان من جدل حول مسألة لغوية تكلم فيها ابن سينا بما حضره، فالتفت إليه أبو منصور وقال: (إنك فيلسوف وحكيم ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها).

فاستاء ابن سينا من هذا الكلام وانكب على دراسة كتب اللغة ثلاث سنين ـ وكان ذلك في آخر حياته ـ وقرأ لهذا الغرض كتاب (تهذيب اللغة) لأبي منصور الأزهري كما قرأ غيره من أمهات كتب اللغة حتى بلغ فيها مرتبة عظيمة فأنشأ بعد ذلك ثلاث قصائد ضمنها ألفاظًا غريبة، كما كتب ما أشرنا إليه من الكتب الثلاثة التي ماثلت أسلوب ابن العميد، وابن عباد، ثم أوعز إلى الأمير علاء الدولة بعرض تلك الكتب على الجبائي فعرضها عليه الأمير وقال له إنه ظفر بها في الصحراء وقت الصيد. فنظر فيها الجبائي هذا وأشكل عليه كثير مما فيها فتقدم الفيلسوف ــ ابن سينا ـ وقال له: إن ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة، وذكر له كثيرًا من كتب الأدب المعروفة، فكان ابن سينا قد حفظ ما فيها من الألفاظ والعبارات التي أودعها كتبه الثلاثة ففطن أبو منصور الجبائي أخيرًا إلى أن تلك الكتب من تأليف ابن سينا وأن الذي حمله على تصنيفها هو الاتهام الذي وجهه له، يوم أنكر عليه التحدث في اللغة والأدب، فتنصل واعتذر إليه.

أساليبه في الكتابة

تنقسم مؤلفات ابن سينا من جهة أسلوبها إلى قسمين: يضم الأول (الشفاء) و(النجاة) و(الاشارات)، ويضم الثاني رسائل (حي بن يقظان) و(الطير) و(القدر) و(سلمان وأبسال) وأسلوب المجموعة الأولى أنضج ما وصلت إليه الأساليب العلمية في الفلسفة الإسلامية، وإذا قارنا أسلوبها بأسلوب الفارابي الفلسفي نجد فرقًا كبيرًا في كل شيء.

موازنة ومقارنة

إن الفارابي في كتاباته الفلسفية يميل إلى جانب الأدب، ولذلك نجده يتقبل الألفاظ السهلة الجزلة ويختار العبارة الهينة الطيعة ويراعي السجع والقافية، ولا يكثر من الاصطلاحات الفنية، وبالجملة تسود أسلوبه روح الصقل والنحت كما هو الحال في الآثار الأدبية الخالصة ـ وهذا رأي ابن خلكان ــ ابن سينا فعلى عكس ذلك يميل إلى جانب العلم الخالص الذي لا يأبه للرنة الأدبية قدر ما يأبه للمنطق العلمي، ولذلك فهو قليل العناية بالسجع والقافية، وأقل عناية بصقل العبارة، واختيار الألفاظ على نحو ما تتطلب الأساليب الأدبية، ولكنه يستعمل كثيرًا الاصطلاحات والألفاظ الفنية في الفلسفة ويضعها في عبارة منطقية موجزة لا ترادف فيها ولا تكرار.

وليس غريباً أن يبلغ الفرق بين أسلوبي الفارابي وابن سينا هذا المبلغ لأن الفارابي لم يكن إلا مرحلة من مراحل تطور الفلسفة في الإسلام،

وبالتالي صورة من صور تطور لغتها، في حين أن **ابن سينا** يمثل نهاية تطورها في **بلاد المشرق**، وتمثل لغته أكمل صورة وصلت إليها اللغة في الفلسفة الإسلامية. وقد وضع البيهقيّ قديماً **الفارابي** بإزاء **أفلاطون، وابن سينا بإزاء أرسطو في الفلسفة**.

الرمز... في أسلوبه

كتب ابن سينا بهذا الأسلوب العلميّ الرصين أمهات كتبه، غير أنه استعمل في غيرها أسلوبًا آخر سمّي **(الأسلوب الرمزي Style Allegorique)** وأخرج فيه أهم رسائله كـ **(حي ابن يقظان)** و**(الطير)** و**(سلمان وأبسال)** و**(القدر)**، ولقد تنبه من قبل **ابن أبي أصيبعة** لهذا الأسلوب الرمزي فقال عن رسالة حي بن يقظان: (صنفها بهذه القلعة أيضًا **(فردجان)** رمزًا عن العقل الفعال)، وقال عن رسالة الطير: (رسالة الطير مرموزة تصنيف فيها يوصله إلى الحق).

وهذه الرسائل بخلاف كونها رمزية فهي أيضًا **(قصصية)** ترد فيها الحقائق المرموزة على صورة قصة كما سنرى من تلخيصها فيما بعد. ونكاد نلمس في هذه القصص المختلفة وخاصة في **رسالة (القضاء والقدر)** روح **مقامات بديع الزمان الهمذاني** (٣٥٨هـ ـ ٣٩٨هـ).

أولاً: من جهة اللغة وذلك لعظم عنايته باستعمال الألفاظ الصعبة التي لا تفهم بغير استعانة بالمعجم.

وثانيًا: من جهة الصياغة القصصية إذ هي قصص سطحية بسيطة تُعنَى قبل كل شيء بالمعاني والألفاظ وليس ببعيد أن يكون **ابن سينا** قد ترسل على نحو **مقامات الهمذاني**، وتأثر بهذا الأخير لأنهما من عصر واحد، ولأن صاحب المقامات كما يحدثنا **الثعالبي** كان سيد أدباء عصره مترددًا إلى كل أنحاء **فارس**، كثير التنقل بين مختلف بلادها، ومن بينها **خراسان موطن ابن سينا ومسقط رأسه**، فليس بغريب والحالة هذه أن يكون ابن سينا قد اطلع على المقامات وتأثر بها إلى حد ما.

لنتحدث الآن عن هذه القصص الرمزية بوصفها آثارًا أدبية وفكرية وفلسفية رائعة.

حي بن يقظان

(حي بن يقظان) اسم ورد في **رسالة (القدر)** التي هاجم فيها **ابن سينا** متكلما كما يؤخذ من ألفاظ الرسالة، وورد علماً على رسالة أخرى هي التي نريد أن نحللها هنا ـ كانت قد كتبت قبل رسالة القضاء والقدر بقليل من الزمن، كذلك ورد علماً على رسالة أكبر حجما **للفيلسوف الأندلسي أبي جعفر بن الطفيل** المتوفى سنة ١١٨٥م أي بعد **ابن سينا** بما يقرب من ١٥٠ عامًا نشرها Pocoke سنة ١٧٠٠م ويرى **(كاردي فو)** أنها الأصل الذي أخذ عنه **الكاتب الإنجليزي (وليم ديفو)** قصته **(روبنسون كروزو)**، وقد نشرت هذه القصة لأول مرة في الشرق سنة ١٢٩٩هـ بالقسطنطينية وقال الناشر في عنوانها: **(رسالة حي بن يقظان في الحكمة الشرقية التي استخرجها الإمام أبو جعفر بن الطفيل من كتب الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا، ويرجح الناشر أن ابن سينا ألّفها بالفارسية ونقلها ابن الطفيل إلى العربية)**.

أما الكاتب Degoeje، فقد حقق في الصلة بين رسالتي **ابن سينا وابن الطفيل** منذ منتصف القرن التاسع عشر فانتهى إلى أنهما لا يشتركان في غير الاسم، وبعد ذلك قام **المستشرق المهرني** بنشر **رسالة ابن سينا** لأول مرة باللغة العربية في **جامعة ليدن ببلجيكا** سنة ١٨٨٩م، فأثبت بذلك بطلان الصلة المزعومة.

ويرى **أحمد أمين** أن قصة **ابن سينا** هذه تشبه في جوهرها كتابًا يونانيًا أشار إليه **القفطي** في كتاب **(الحكماء)** اسمه **(أيمن دريس)** أي **(حافظ الناس)** منسوبًا إلى **(هوملص)** وهو محاولة امتزج فيها **المذهب الأفلاطوني** بمذاهب **قدماء المصريين**.

في هذه القصة نرى أن **(الحي)** رمز للعقل الفعّال و**(ابن يقظان)** رمز إلى هذا العقل على أنّ غيره أكثر كمالاً منه لأن (الحي) يحتمل أن يكون نائماً في حين أن (اليقظان) لا يحتمل هذا، ولذلك فهو أكمل ويشبه الفرق بينهما الفرق بين ما فيه قوة وما هو فعل دائماً.

يتحدث **(حي بن يقظان)** هذا إلى النفس الناطقة المرموز لها في هذه الرسالة بشخص **ابن سينا** نفسه ـ فيقص عليها أصله ووظيفته وعلمه وصلته بما فوقه من العقول، ويحدثها عن العالم كيف نشأ وصدر عن مبدئه الأول، وكيف صدرت الأفلاك عن العقول وكيف صدرت الموجودات الكائنة الفاسدة جمادًا ونباتًا وحيوانًا، ويبيّن ما النفس وكيف تعرف الأشياء وما صلتها بالجسم وكيف معادها، كل ذلك بأسلوب رمزي قصصي لا يستبين القاريء منه شيئًا مما يعنيه ابن سينا بغير فهم سابق لمذهبه الفلسفي المبسوط في كتبه الأخرى.

رسالة الطير

أما **رسالة (الطير)** فهي رمزية كسالفتها إلا أن روحها القصصية أقوى وأروع، وقد استعار **أبو حامد الغزالي** اسمها لرسالة له مخالفة لرسالة **ابن سينا** في موضوعها.

تبتدئ الرسالة بالتحدث عن صفات الصديق الحق. ثم يأخذ المؤلف بعد ذلك في سرد قصته بأسلوب رمزي قد يكون أوضح من أسلوب **حي بن يقظان**. وتتلخص القصة في أن جماعة من الصيادين نصبوا حبائلهم فوقعت فيها طيور كثيرة بينها مؤلف القصة نفسه، فألم بالطير ألم شديد من جراء هذه المحنة. ثم لم يلبثوا جميعًا أن اعتادوا الشَّرك. غير أن فريقًا من الطير عرف كيف يتخلص من الشَّرك إلا بقية من حبائل بقيت عالقة بالأرجل فعاون الفريق الآخر على التخلص أيضًا ثم تعاون الجميع على حمل الحبائل والطيران بها، فمروا بثمانية جبال شاهقة، وبعد جهد جهيد انتهوا إلى قصر ملك عظيم، فرفعوا إليه شكواهم وأطلعوه على ما آلت إليه حالهم في الشرك، فطيَّب الملك خواطرهم وأرسل معهم رسولاً يحل ما بقي من الحبائل عالقًا بالأرجل.

هذه الرسالة تدور حول صلة النفس بالبدن، فهي ترمز للنفس الناطقة بالطير. وترمز بالحبائل أو الأشراك للأجسام التي تحلّها النفوس فتعوقها عن الاتصال بمبادئها العالية، قال في قصيدته الشهيرة (العينية):

إذ عاقها الشرك الكثيف وصدَّها

قفصٌ عن الأوج الفسيح المربع

ثم هو يرمز بالملك للعقل الأول، وبرسوله الذي يحل الأغلال لعزرائيل ملك الموت الذي يخلص الأنفس من أسر الأبدان. وتتلخص القصة في أن النفس تحل البدن على كره وتبقى فيه أسيرة على مضض ولوعة حتى العودة إلى موطنها الذي هبطت منه، وَ لا تتم عودتها إلاَّ بعد مفارقتها للبدن بوساطة الموت.

والقارئ المدقق لهذه القصة يلاحظ أن لها صلة بذات الفيلسوف نفسه، وأنها تمثل لحظة من لحظات حياته، لأن خيالها يذكرنا دائمًا بأيامه الأخيرة في **همدان** حين غضب عليه **أميرها سماء الدولة**، بث حوله العيون خليفته في الوزارة **تاج الملك** عندما علم أن **ابن سينا** يكاتب سرًا **أمير أصفهان** ففقد بذلك الفيلسوف عطف بلاط **همذان** الذي تألق فيه نجمه وتقلد بواسطته منصب الوزارة، فاعتقل في قلعة **(فردجان)** وألقي بين جدرانها مع صاحبيه: **أخيه محمود وتلميذه الجوزجاني، كما** يُلقى الطير في قفص أو يقع في شَرَك.

سلمان . . وأبسال

أما قصة **(سلمان وأبسال)** فقد ذكرها **الجوزجاني** بين مصنفات أستاذه، وقد عني **نصير الدين الطوسي** - عند شرحه لنصّ من نصوص **كتاب (الإشارات)** فيه إحالة إلى هذه القصة ـ بإماطة اللثام عن حقيقة **سلمان وأبسال** من بين جملة من القصص تحمل نفس الاسم. وتضاف تلك القصص أحيانا إلى قدماء المصريين، وأحيانا إلى الجاهلية، ويرجح **المستشرق المهرني** أنها **يونانية الأصل**، وأنها صورت بصورة مختلفة في الآداب الإسلامية من بينها الصورة التي وضعها فيها **ابن سينا**.

وتتلخص هذه القصة وفقًا لما وصل إليه تحقيق **(الطوسي)**، في أن **سلمان وأبسال شقيقان** وقع أصغرهما وهو **أبسال** في حب زوجة أخيه التي أغرته إغراءً شديدًا واقترحت عليه حلاً هو أن تزوجه من أختها على أن تحل محلها ليلة الزفاف دون أن يعلم **سلمان** بحقيقة الأمر، وبعد تأمل وتفكر نبذ **أبسال** هذا الاقتراح واستنكره بكل قوة، فأبسال هنا رمز يمثل القوة العاقلة من الإنسان التي ترضخ أحيانًا للشهوة الحسية المرموز لها بزوجة سلمان، وما نبذ أبسال لتلك الزوجة إلا رمز لاستعلاء العقل على الحس والشهوة وانتصاره عليهما.

رسالة القدر

أما **رسالة (القدر)** فأبعد هذه الرسائل عن روح القصص وأسلوبها ـ كما لاحظ **المهرني** في مقدمة طبعه لها - مصطنع مملوء بالاستعارات والمجازات، وألفاظها غاية في التعقيد. وهي لا تشارك الرسائل الأخرى في الرمز وإن كانت تشاركها مشاركة قوية في لغتها . . تتلخص في أن المؤلف أثناء سفره بين **شامة وأصفهان** نشب جدال عنيف بينه وبين شخص لعله من المتكلمين، لأنه (حسب أن طريقه إلى الحق من الخصام والحرفة المسماة بالكلام . . وذلك حول العلاقة بين حرية الإنسان ومسؤوليته عن أفعاله من جهة والقضاء والقدر الإلهي من جهة أخرى، وبينما هما يتجادلان إذ أقبل عليهما شيخ وقور هو **حي بن يقظان** - وهو رمز للعقل الفعال الذي هو منبع المعرفة العقلية للإنسان - فاستعان به **ابن سينا** على خصمه فتولى زمام المناقشة وكفى فيلسوفنا مؤونة التعبير عن رأيه ودافع بمهارة فائقة عن نظرية **أهل السنة** القائلة بأن الحرية تتنافى مع قدرة الله، وأنها ليست إلا وهمًا يتلاشى من رأس الإنسان بمجرد علمه بتلك القدرة الشاملة التي لا تتناهى أو تقف عند شيء.

تلك هي خلاصة قصص ابن سينا المنثورة وإشارة إلى رموزها المهمة، ومهما يكن من أمر المعاني الفلسفية التي ترمي إليها هذه الرسائل الأربع فإنها من الوجهة القصصية الصرف تدخل في باب الأدب الخالص.

المراجع

(عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة (بيروت ١٩٦٥م).

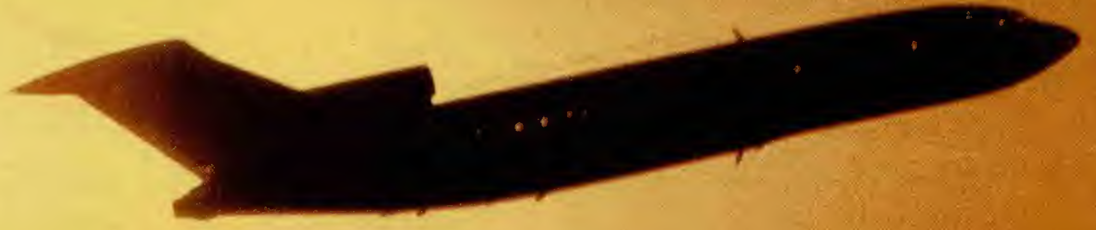
- رسالة حي بن يقظان لابن سينا - طبع المستشرق المهرني (ليدن بيلجيكا).

- رسالة القدر بن يقظان لابن سينا - طبع المستشرق المهرني (ليدن بيلحيكا).

- رسالة حي بن يقظان لابن الطفيل تقديم وتحقيق فاروق سعد (بيروت ١٩٧٨م).

- يتيمة الدهر - للثعالبي - ج (١)

- أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب (١٩٨١م) معهد التراث العلمي العربي بحلب.



لماذا تتحطم الطائرات؟

بقلم: جيرمان شامبوست ○ ترجمة: د. مازن المغربي

قبل عشر سنوات من الآن، تم تخفيف القيود على النقل الجوي، ضمن مفهوم إطلاق مجال المنافسة الحرة، وقد أدّى ذلك إلى أمر متوقع. فالشركات أصبحت تستثمر طائراتها إلى أبعد الحدود، مع تأمين الحد الأدنى للصيانة، والأمر لا يقتصر على موضوع الاستهلاك فحسب، بل إن جيلاً كاملاً من الطائرات القصيرة المدى، تم تصنيعها بتقنيات أثبتت الأيام عدم صلاحها.

ولا تزال (٨٠٠) طائرة منها قيد الخدمة (قيد الاستعمال). وأصبح من المؤكد الآن، أن **كارثة (البوينج ٧٤٧) التابعة لشركة بان أمريكان، التي تحطمت فوق اسكتلندا**، نتجت عن انفجار مقصود، ولكن في الأيام الأولى التي تلت الكارثة، ونتيجة لعدم توافر أدلة جازمة حول أسباب وقوع الانفجار، مالت آراء العديد من المختصين إلى أن الحادث ربما نتج عن تصدع ذاتي في الطائرة.

تُرى، ما الذي دفع الخبراء إلى مثل هذا الظن؟

إن الحوادث السابقة ألقت ظلالاً من الشك حول أهلية بعض الطائرات، والقديمة منها على الأقل، ومن هذه الطائرات (البوينج ٧٣٧ و ٧٢٧ وDC9).

يعود ارتباط هذه النماذج من الطائرات مع الحوادث بسبب كونها تشكل القسم الأكبر من الأساطيل الجوية الدولية، والبعض منها يعود صنعه إلى أعوام سابقة عديدة.

توالي الحوادث

في شباط ١٩٨٨م، تمكنت طائرة (بوينج ٧٣٧) من الهبوط بمعجزة في **هاواي** بعد أن تصدع هيكلها أمام الجناح مباشرة، وظهرت فيه فتحة طولها خمسة أمتار.

وفي ٢٦ كانون الأول ١٩٨٨م، اضطرت طائرة من طراز (بوينج ٧٢٧) إلى الهبوط في **ولاية فيرجينيا**، بعد أن انخفض الضغط في غرفة القيادة بشكل مفاجئ، وذلك على ارتفاع (٩٠٠٠م). وعند مثل هذا الارتفاع، يكون الضغط الجوي منخفضاً إلى حد تستحيل معه الحياة، وهنا أيضاً حصل الانخفاض في الضغط نتيجة انثقاب في جسم الطائرة، وقد سبق ذلك صعوبات كبيرة واجهت طاقم الطائرة عند إقلاعها للمحافظة على ضغط مناسب في غرفة القيادة، مما يدفع للافتراض بتسرب الهواء نحو الخارج، ولكن العلاقة بين هذه الملاحظة والحادث لم تتضح إلاّ فيما بعد.

أدّى تكرار الحوادث، كما هو متوقع، إلى قيام **«الوكالة الأمريكية الاتحادية للطيران»** بتوجيه تعليمات لفحص جميع الطائرات التي مضى على وجودها أكثر من (١٥) سنة، وهذا يشمل العديد من طائرات الشركات الأمريكية.

لماذا تتحطم الطائرات؟

إن تخفيف القيود على النقل الجوي في أمريكا، والذي بدأ قبل عشر سنوات، أدّى إلى الاحتفاظ بطائرات كان من المفترض إحالتها إلى التقاعد، وهذا ناتج عن عجز شركات النقل الجوي عن شراء طائرات جديدة باستمرار، لمواجهة ازدياد الطلب، كما أن الشركات المنتجة للطائرات. أصبحت تلاقي صعوبات في تلبية الطلبات، لهذا استمرت شركات النقل الجوي في استعمال ما لديها من طائرات، وعند نهاية عام (١٩٨٧م) كان هناك (٢٢٠) طائرة (بوينج ٧٢٧) مصنوعة ما بين عام (١٩٦٤ ـ ١٩٦٦م) موجودة ضمن أساطيل الشركات الأمريكية، كما كان هناك (٢٧٢) طائرة من طراز (DC9) مصنوعة ما بين عامي (١٩٦٦ ـ ١٩٦٨م). وحسب مصادر شركة (Aumank) المختصة بتقديم النصائح حول الملاحة الجوية، يوجد في العالم (٢٣٠٠) طائرة يعود صنعها إلى ما قبل عام (١٩٦٨م).

ومن المفيد معرفة كون متوسط عمر طائرات الأسطول الأمريكي أعلى منه في الأساطيل الأوروبية، وذلك بالاستناد إلى مصادر **الأياتا (IATA)، وهي الاتحاد الدولي للناقلين الجويين**.

إن متوسط أعمار الطائرات في أساطيل الشركات في:

- ☐ أمريكا الشمالية ١٤,٥ سنة
- ☐ فرنسا ١٠,٢ سنة
- ☐ الخطوط الجوية البريطانية ٨ سنوات
- ☐ الخطوط الجوية السويسرية ٥ سنوات

ومن المناسب الأخذ بعين الاعتبار، أن العمر بحد ذاته ليس ذا دلالة كبرى، والأهم، هو عدد الحلقات التي تقوم بها الطائرة، ونقصد بالحلقة إقلاع الطائرة وطيرانها، مع المحافظة على الضغط المحدد عند الارتفاعات العالية، ثم هبوطها. **ويتفق المختصون على كون استهلاك الطائرة مرتبطاً بعدد الحلقات أكثر من ارتباطه بعمر الطائرة.**

لتوضيح ما ذكرناه فإن تساوي عدد ساعات الطيران لدى طائرتين إحداهما ذات مدى قصير (مثل بوينج ٧٢٧، بوينج ٧٣٧، DC9، إيرباص)، والأخرى ذات مدى طويل (مثل بوينج ٧٤٧ و DC10)، يعني قيام الطائرة ذات المدى الأقصر، بحلقات أكبر من الطائرة ذات المدى الأطول. وعلى سبيل الاطلاع نقول:

إنه من ضمن (٦٨٣) طائرة بوينج (٧٤٧) كانت موجودة في الخدمة حتى نهاية حزيران (١٩٨٨) هناك طائرة واحدة قامت بـ (٢٥٠٠٠ ـ ٣٠٠٠٠) حلقة طيران، و (٩) طائرات قامت بـ (٢٠٠٠٠ ـ ٢٣٠٠٠) حلقة طيران، و(٨) طائرات قامت بـ (١٥٠٠٠ ـ ٢٠٠٠٠) حلقة طيران و (١٧٢) طائرة قامت بـ (١٠٠٠٠ ـ ١٥٠٠٠) حلقة طيران.

وفي الحالتين المذكورتين في أول المقال لا يبدو أن سبب الحادث يعود إلى عمر الطائرة، أي إنه لم يحدث تصدع غير طبيعي في المعدن الذي صنعت منه الألواح التي تشكل جدار جسم الطائرة ويبدو أن المحققين يشتبهون بطريقة **لصق الألواح المعدنية (Cold bonding process)، وهذه الطريقة هي المستعملة في صناعة الطائرات، حين تلصق الألواح، قبل أن يتم ربطها باستعمال طريقة** (التبشيم ـ مسمار قلاووظ)، وينتج عن عدم دقة إلصاق الألواح بالطريقة المذكورة تعرض مسامير الربط إلى جهود غير عادية.

وهذا هو السبب في تخلي الشركات الأمريكية عن طريقة اللصق هذه التي سبق أن استعملت في الأجيال الأولى لطائرة (البوينج)، وتم استعمال طريقة أخرى أكثر دقة.

لكن هناك حوالي (٨٠٠) طائرة من طراز (بوينج ٧٢٧) ماتزال قيد الخدمة، ومن بينها (٢٠٠) طائرة في الولايات المتحدة صنعت بطريقة استعمال اللصق الأولى.

وفيما يخص طائرات البوينج (٧٣٧) المصنعة بنفس الطريقة، قامت الوكالة الأمريكية الاتحادية، في شهر تشرين الأول من عام (١٩٨٨) بتوجيه تعليمات إلى الشركات المالكة لهذا النوع للقيام باستبدال مسامير الوصل كافة، وهي التي تثبت الألواح المعدنية على هيكل الطائرة.

يقول السيد (Thiery Pardessvs): وهو رئيس قسم المواد والتقنيات في مركز التجارب الخاص بالملاحة الجوية في مدينة تولوز:

«يجب أن نلاحظة أن الحوادث التي جرت مؤخراً متعلقة بطائرات صنعت قبل عشرين عاما، أي إن تصميم هذه الطائرات يعود إلى حوالى ثلاثين عاماً، وفي تلك الفترة لم يكن البرنامج التجريبي صارماً كما هو الحال اليوم، خاصة فيما يتعلق بظاهرة الإنهاك».

متى تُنهك الطائرة؟

يمكن تعريف إنهاك الطائرة بأنه تراكم الأضرار التي تتعرض لها مختلف الأجزاء نتيجة لتوالي دورات الإجهاد خلال الاستعمال العادي. وفي مجال الأمثلة التي ذكرناها والمتعلقة بتحطم الألواح المعدنية خلال الطيران يجب أن نُدخل في تصورنا الجهد الواقع على جسم الطائرة.

ويتم ضمن الطائرة المحلقة على ارتفاع شاهق تعديل الضغط داخلها بشكل ينسجم مع الشروط المناسبة للجسم البشري، ولا يتم تأمين ضغط مماثل للضغط الجوي عند سطح الأرض، لأنه في مثل هذه الحالة يكون الفرق بين الضغط داخل الطائرة وخارجها هائلاً إلى درجة تستوجب استعمال طائرات مصفحة بكل معنى الكلمة.

ولتبسيط الصورة نقول:

إن الضغط الجوي ضمن طائرة ركاب، يماثل الضغط الجوي عند مقربة جبل على ارتفاع (٣٠٠٠م) عن سطح البحر، وهذا الضغط يتغير تبعا لارتفاع الطائرة، عندما تكون الطائرة في خط سيرها، يتم المحافظة على فرق ثابت في الضغط ما بين الداخل والخارج، وهذا الفرق يساوي ثمانية «أرطال» على البوصة المربعة (8PSI)، أي حوالي (٤٦٠٠ سم٢)، ولكن الفرق المستمر ما بين داخل الطائرة وخارجها يولد جهداً مستمراً على هيكلها، هذا الهيكل الذي سينتفخ عند الإقلاع، ليستعيد شكله العادي عند الهبوط.

وفي الواقع، يكون التشوه غير ملحوظ على الإطلاق، فشكل الطائرة يؤمن توزيعاً مثالياً للقوى، ولكن هذا لا ينفي وجود تأثيرات في المواد.

وينطبق ما ذكرناه على الأجنحة أيضاً، وهي

تخضع للقوى (**الأيروديناميكية**)، وبمقدور أي مسافر ملاحظة اندفاع الجناح قليلا نحو الأعلى عند الإقلاع، واستعادته لوضع الراحة عند الهبوط.

وهذا يعني أن ظهر الجناح يتعرض لانضغاط كبير، كذلك الأمر بالنسبة لنقاط اتصال الأجنحة والجنيحات ونقاط الوصل، ويمكن أن تؤدي أحياناً إلى تصدعات مجهرية، ويمكن أن تكبر لتصبح تشققات تؤدي إلى انفصال الجزء المعدني.

تبدأ هذه الظاهرة عند مستوى شبكة بلورات المعدن، وفي الواقع هناك فواصل بين الذرات التي تشكل جزئيات كل معدن، وهذه الفواصل لا تؤثر على بنية المعدن، ولكن تحت تأثير القوى الخارجية، يمكن أن تكبر هذه الفواصل بحيث تشكل فراغاً حقيقياً يمكن أن يكون بدوره سبباً في حدوث التشققات.

تجارب قاسية لتفادي الحوادث

تبدأ عملية اتخاذ الاحتياطات بمعرفة مزايا الخليط المعدني المستعمل في صنع هذه القطعة أو تلك، وقد حدث تطور كبير في هذا المجال خلال السنوات الأخيرة.

قبل ربع قرن من الآن، كان صانعو الطائرات يتدبرون أمورهم باستعمال **الخلائط** التي يقدمها خبراء التعدين. أما اليوم فيقوم صانعو الطائرات بطلب خلائط خاصة تلبي احتياجاتهم، بحيث تتمتع بخصائص محددة، من بينها مقاومة الجهد والإنهاك، ويتم إخضاع قطع صغيرة من الخلائط إلى اختبارات تماثل تماما ما تتعرض له أجزاء الطائرات خلال الطيران. يتم تهيئة ظروف مماثلة للظروف التي أظهرتها الحسابات، اعتماداً على الإحصاءات المنجزة خلال الطيران، بحيث تتم التجارب في ظروف قريبة قدر الإمكان من الظروف التي ستخضع لها القطع عند الاستعمال الحقيقي، وهكذا يتم تحديد التشققات وكيفية انتشارها، كما يمكن توليد التشققات بشكل مقصود.

إن الحصول على الشروط الواقعية، التي يتعرض لها الخليط المعدني في الطائرة يفترض بنا ـ إضافة إلى إيجاد القوى المؤثرة ـ تهيئة الظروف المحيطة، مثل: الرطوبة، الملوحة، الحرارة.

ويمتلك **مركز تجارب الملاحة الجوية في تولوز** حوالي ثمانين آلة مختلفة للتجارب حول الإنهاك، مع إمكانات إجراء التجارب ضمن درجة حرارة (-٦٠ْ إلى +١٠٠ْ)، ويمثل الرقم الأول درجة حرارة لوح خارجي عند الطيران على ارتفاع عالٍ ويمثل الرقم الثاني الحرارة بالقرب من «**محرك الطائرة**».

ولا يكفي نجاح الخليط باجتياز الاختبارات، بل يجب إخضاع مختلف أجزاء الطائرة للتجارب. وعند صنع كل نوع من أنواع الطائرات يتم تجهيز نموذج كامل يُستعمل للتجارب المتعلقة بالإنهاك، ونموذج آخر يخضع للتجارب المسماة (**ستاتيكية**)، في حين تحدث التجارب الأولى لإخضاع نموذج الطائرة إلى حلقات متكررة تماثل تماماً ما ستتعرض له خلال الخدمة، وتهدف المجموعة الثانية من التجارب، إلى إخضاع النموذج لضغوطات قصوى، يمكن أن يتعرض لها ولو لمرة واحدة، بحيث تظهر قدرة النموذج على مقاومتها.

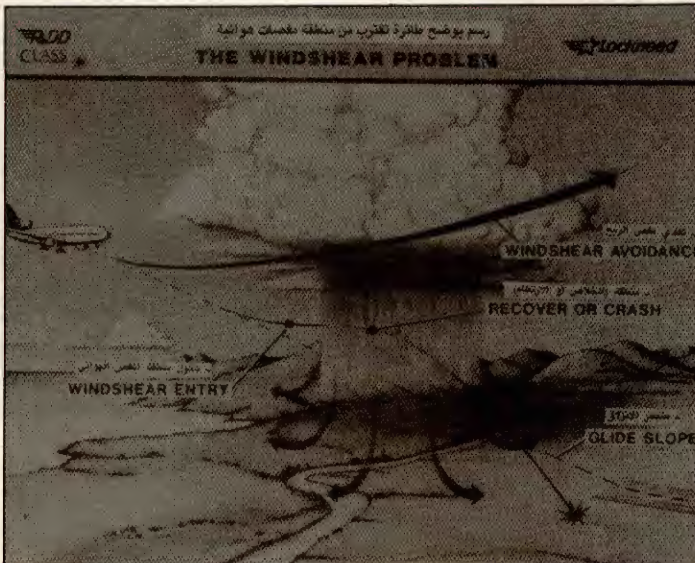
إن الجهد الناشئ عن عملية تأمين ضغط جوي مناسب للجسم البشري داخل الطائرة، معروف بشكل دقيق، وهو يرتبط مباشرة بفرق الضغط ما بين داخل الطائرة وخارجها، ويُطلق عليه اسم «العبء المأمون»، أما «**العبء الحدِّي**» فينتج من قيمة العبء المضمون بـ (١,٣٣) ويجب على نموذج الطائرة تحمل العبء الحدِّي دون أن يظهر عليه أي تشوه ليبقى بعد زوال الضغط، كما يجب على النموذج تحمل العبء الأقصى، الذي يساوي ضعف العبء المأمون، دون أن يشكل ذلك أي خطر على الطائرة، كما يجب على مجموع الجسم والأجنحة تحمل ما يعادل مرة ونصف المرة العبء الحدِّي، والذي يمكن أن ينتج عن تعرض الجناح لضغط كبير يدفع بقوة إلى الأعلى.

وتهدف الاختبارات المتعلقة بمدى قدرة الطائرة على تحمل الجهد إلى تقليد الضغوط التي تتعرض لها الطائرة أثناء الطيران، وتتكرر هذه التجارب عشرات آلاف المرات، بحيث تغطي كل فترات استخدام الطائرة. ويتم، لهذا الغرض، توليد الظروف التي تمر بها الطائرة خلال مختلف مراحل الطيران، وكذلك أثناء المناورة على الأرض، ويمكن أن يستغرق ذلك من سنتين إلى ثلاث سنوات من التجارب المخبرية، حيث تقوم الطائرة خلالها بتحليق اختباري منتظم، وتنص النظم على إخضاع الطائرة لتجارب مباشرة وعملية خلال مدة تتراوح بين سنتين وثلاث سنوات قبل إدخالها في الخدمة.

إضافة إلى ما سبق ذكره، تتم دراسة قدرة الطائرة على تحمل الأضرار الناشئة عن عوامل أخرى، مثل الاصطدام بأجسام صلبة أو بالطيور... إلخ. وتعتبر نتائج هذه الدراسة دليلاً أساسياً في اختيار نوع الخليط المعدني المستعمل.

وأخيراً، من المؤكد أن إجراء هذه الاحتياطات لن يمنع حوادث الطائرات بشكل نهائي، ولكنها تسهم في الحد منها بشكل كبير.

عن مجلة «العلم والحياة»
شباط (فبراير) ١٩٨٩م



المقصات الهوائية أحد الأسباب الرئيسية لتحطم الطائرات



التوظيفات التربوية المستقبلية

تعيين الأولويات التربوية في الدول النامية

تأليف: جاكز هلاك ○ عرض وتحليل: ياسر الفهد

يعالج كتاب (التوظيفات التربوية المستقبلية)(*) الذي أصدره المعهد الدولي للتخطيط التربوي في باريس عام ١٩٩٠م بعض القضايا العلمية المتعلقة بتعيين الخيارات التربوية التي يجب أن تحظى بأولوية الرعاية والاهتمام في الدول النامية، وذلك بالاعتماد على تجارب الدول المختلفة وخبراتها. وعلى الرغم من عدم إمكان إيجاد حلول معيارية موحدة تأخذ بها جميع الدول النامية، فإن الكتاب يفتح مجالاً لاقتراحات وأسس مشتركة، ويقدم قائمة بأفضليات تربوية تستطيع كل دولة، أن تأخذ منها أو تحذف ما تشاء، وأن تعيد ترتيبها حسب أهميتها بالنسبة لأوضاعها وظروفها المحلية. أما المؤلف فهو «جاكز هلاك» مدير المعهد الدولي للتخطيط التربوي التابع لليونسكو وصاحب العديد من الكتب والمقالات القيمة التي تتناول بالدراسة قضايا التخطيط والتجديد والتطوير والتكاليف التربوية. والكتاب موجه إلى صانعي السياسة التربوية والمسؤولين عن توفير التعليم وإداراته، وإلى المشاركين في الدورات والحلقات التربوية التي تقدمها الجامعات ومعاهد التدريب، وكذلك إلى كل عامل في حقل التربية والتعليم. وهو يثير الكثير من النقاش والجدل بين المثقفين والباحثين والشخصيات الملتزمة التي تأخذ على عواتقها مهمة تحسين التعليم وتطويره في العالم النامي.

نظرة إلى الوراء

يعود بنا المؤلف عدة عقود إلى الوراء ليلقي بعض الأضواء على الأوضاع التربوية التي اتسمت بالنمو والانتعاش كماً وكيفاً منذ بداية الستينيات وحتى أواخر السبعينيات. فقد تضاعفت أعداد الأطفال المسجلين في مدارس العالم وجامعاته وكلياته، وكذلك في مراكز التعليم غير المدرسي، كما ازدادت أعداد المعلمين وتحسّن تدريبهم، ، وتطورت أساليب الثقافة التربوية الحديثة، ونمت الاستثمارات في حقل الأبنية المدرسية. ولكن الأمور بدأت تتغير منذ أواخر السبعينيات وبداية الثمانينيات، وأخذت تبرز ما يسمى بأزمة التربية، فتراجعت المعدلات السنوية لنمو أعداد الطلاب في جميع مراحل التعليم المدرسي وغير المدرسي، كما تضاءلت معدلات ازدياد أعداد الأساتذة بالنسبة لأعداد الطلاب، وارتفعت تكاليف الطالب الواحد، وبدأت تظهر مشكلات تربوية كثيرة، ولا سيما في أقطار آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، مثل تدني نوعية التعليم، وعدم تلاؤم المناهج مع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية للسكان وارتفاع معدل البطالة عند الطبقة المتعلمة، بسبب انعدام التوازن بين العرض والطلب في القوة العاملة المثقفة، وكذلك ازدياد الهوة في المعايير والمشاركة بين المناطق المدنية والمناطق الريفية.

ومن أجل مواجهة هذه التحديات كان لا بد من رسم الطرق الكفيلة بحل المشكلات. وللوصول إلى ذلك كانت هناك ومازالت مداخل عديدة من بينها تعيين الأولويات التربوية قبل أي شيء آخر، ثم الشروع في التصدي لها. وهذا هو هدف الكتاب الذي بين أيدينا والذي صدر في فرنسا العام الماضي. وعند وضع الأولويات، يتعين التركيز على القضايا التربوية الحساسة، والاهتمام بالحاجات الأساسية، ومراعاة الضغوط المختلفة، ويجب على كل دولة أن تفعل ذلك وفق ما تقتضيه أوضاعها الخاصة وضوابطها المالية، ولا بد من اتخاذ ترتيبات قانونية ومحاسبية من أجل توفير الاستقرار اللازم لتنفيذ البرامج التي ترتبط بها الأولويات. وينبغي تحديد أولويات كل قطاع تربوي على حدة، بعد دراسة نتائجها القصيرة والبعيدة المدى وتأثيراتها في مجمل النظام التعليمي.

ويشرح الكتاب المصاعب التي تقف في وجه هذه المهمة ومنها افتقارنا إلى الفهم الكامل للعلاقات المعقدة بين الأهداف السياسية والعلاقات الاقتصادية وتأثيرها في الوضع التربوي، وصعوبة الاستراتيجية التربوية بالإطار السياسي والاقتصادي العام.

ويؤكد المؤلف أن على المستفيدين من التربية كالطلاب والآباء أن يشكلوا عامل ضغط على المخططين التربويين، كما أن على المعلمين والإداريين أن يشاركوا في عملية التخطيط، وأن يكونوا على علم بما يجري، بدلا من البقاء بعيداً عن ساحة العمل. ويبين الكتاب أهمية تطوير التعليم وتحسين مردوده، فالتعليم يقود إلى تشجيع الإبداع الفردي والمشاركة في الأدوار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتحسين الصحة والتغذية والتحول الاجتماعي ــ الثقافي والانتاجية الاقتصادية. كما أنه يؤدي إلى دعم فرص المساواة وتحسين العلاقة بين الإنسان والبيئة. ويذكر المؤلف أربعة تأثيرات أساسية يمكن للتعليم المستقبلي أن يتأثر بها وهي:

أ ـ النزوح المستمر من الريف إلى المدينة.

ب ـ المتطلبات الثقافية الملحة.

جـ ـ سيادة العلم والتقنية.

د ـ عدم الاستقرار الاقتصادي.

قائمة بالأولويات

يقدم لنا الكتاب قائمة بحقول تربوية أساسية ذات أفضلية وتستطيع كل دولة نامية أن تختار منها ما يناسبها وأن ترتبها أولويات متدرجة. وهذه هي الحقول التي يقترحها المؤلف، علما بأنه لم يرتبها حسب أهميتها:

١ ـ **العناية بالطفولة المبكرة**: لم يكن التعليم ما قبل المدرسي يحظى في الماضي بالاهتمام الكافي، وكانت الأسرة هي التي تتولى رعاية الأطفال، وحتى تعليمهم أحيانا في السنوات الأولى من حياتهم. ولكن المختصين بدؤوا يتحققون من أن هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل حساسة جداً بالنسبة لمستقبله التعليمي، وأن فرص النجاح في المستوى الابتدائي تتحسن بصورة أساسية من خلال تنفيذ برامج للتعليم، قبل المدرسي، ولا سيما للأطفال من سن أربع إلى خمس سنوات.

وفي مثل هذه البرامج، لا تكفي العناية بتعليم الطفل، بل لا بد أيضاً من الاهتمام بتغذيته، لأن الطفل السليم جسدياً، ينتج أكثر بكثير مما ينتج الطفل الهزيل الذي يعاني من سوء التغذية والصحة السيئة. ومن فوائد التعليم في رياض الأطفال، أيضاً، التخفيف عن كاهل المرأة، فكثير من النساء في العالم الثالث ـ إن لم يكن غالبيتهن ـ سواء منهن المدنيات أو الريفيات، يعملن خارج المنزل. لذلك فإن هناك اليوم قناعة قوية بأن التوظيف في حقل التعليم ما قبل المدرسي ينتج عنه أفضل المردودات. وتبين تقارير **صندوق الأمم المتحدة للأطفال والبرنامج الإنمائي للأمم المتحدة**، أن هناك اليوم في الدولة النامية مشروعات غنية كثيرة في هذا المجال.

٢ ـ **التعليم الأساسي**: إن التعليم الأساسي مفهوم مرن، يمكن أن يعني الحد الأدنى من سنوات التعليم الذي يستطيع التلميذ بفضله أن يحرز مستوى من القدرة على القراءة والكتابة وإجراء العمليات الحسابية والإلمام ببعض المعارف الأساسية، مع بقاء درجة معينة من هذه القدرة ثابتة بعد الخروج من المدرسة، كما أن التعليم الأساسي يمكن أن يعني الحد الأقصى من سنوات التعليم التي تستطيع الدولة أن توفره لمعظم أو لجميع الفتيان. ويتراوح هذا الحد من عشر سنوات إلى اثنتي عشرة سنة. أما الحد الأدنى فيتراوح بين ثلاث سنوات إلى أربع سنوات.

إن **شعار (التعليم الأساسي للجميع) يشكل أولوية واضحة بالنسبة للمجتمع الدولي اليوم**. وقد أظهرت إحصاءات موثوقة أجريت في أربع وثمانين دولة أنه بينما كان ٣٦٪ من ميزانيات التعليم مخصصاً للتعليم الأساسي في عام ١٩٦٠م، قفزت هذه النسبة إلى ٧٥٪ في عام ١٩٨٥م، وهذا يدل على مدى العناية التي يحظى بها التعليم الأساسي، ليس في **المجال الكمي** فحسب، وإنما في المجال الكيفي أيضاً، فقد ازدادت نسبة عدد الأساتذة إلى عدد التلاميذ وأصبح هناك اهتمام أكبر بما يكتسبه التلاميذ

٣ ـ **التعليم الثانوي**: يحظى **التعليم الثانوي** باهتمام واضح في الحقل التربوي. وحتى يقوم هذا التعليم بدوره على الوجه الأكمل، يرى مؤلف الكتاب ضرورة ملاءمته للظروف الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية القائمة، وتمكينه من إتاحة الفرصة للتلميذ كي يتقدم فيه، وفقاً لمقدرته الحقيقية، وعلى أساس كفاءته الخاصة، مع تأكيد أهمية التعليم العلمي ومنحه الأفضلية على التعليم الأدبي. ومن المهم تطبيق مفهوم جدوى التكاليف في التعليم الثانوي بحيث لا يتم التوسع أو التحسين في أي فرع من فروعه قبل معرفة المردود الحقيقي للتوسع أو التحسين، وما إذا كان هذا المردود يوازي النفقات.

٤ ـ **التعليم العالي**: إن النفقات الكبيرة التي تصرف اليوم على قطاع التعليم العالي، ولا سيما الجامعات، تدل على مدى ما يحتله هذا التعليم من مكانة.

ويرى المؤلف أن الأفضلية في الاهتمام يجب أن تُمنح للمعاهد التي تسهم أكثر من غيرها في خدمة المجتمع. والمقصود بها **معاهد التقنية والهندسة والعلوم التطبيقية**. ومن سوء الحظ أن النفقات لكل طالب في هذه الاختصاصات، أكبر من مثيلاتها في حقول الفنون والإنسانيات.

٥ ـ **تعليم الكبار**: تبين الإحصاءات أنه كان يوجد في العالم في عام ١٩٨٥ زهاء (٨٨٩) مليون أمي من الكبار، ومنهم (٥٦١) مليوناً من النساء. وتزداد هذه الأمية في المناطق الريفية النائية. وتعاني الدول النامية بشكل خاص من مشكلة أُمية الكبار. وعلى الرغم من أن هذه الدول قد بذلت جهوداً كبيرة في سبيل القضاء على الأمية، إلا أنها لم تصب نجاحاً كبيراً لأسباب عديدة منها نقص موارد وانعدام الحافز عند المستهدفين وغير ذلك. ويرى مؤلف الكتاب أن على هذه الدول أن تعيد النظر في برامجها الحالية لمحو الأمية، وأن تولي مشكلة الأمية اهتماماً استثنائياً يتناسب مع أخطارها التي لا تقف عند حد. وهو يرى أن البرامج الصغيرة المنتظمة لتعليم الكبار أكثر فاعلية من الحملات الواسعة العرضية في هذا المجال.

٦ ـ **التدريب**: يحظى التدريب باهتمام متزايد في جميع دول العالم. ويرى الكتاب أن المشكلة هنا، تكمن في صعوبة التوقع بالتحول التكنولوجي، وبمستلزمات المهارات في اقتصاد ما. ولكن هذا لا يمنع من المضي قُدُماً في تطوير مشروعات التدريب التي يجب أن يتركز التأكيد فيها على الجانب المهني والثقافي وأن تكون الأفضلية للتدريب في أثناء الوظيفة، لأن التدريب من هذا النوع هو الذي يقود إلى أفضل المردودات، **ويوصي المؤلف بضرورة توفير مدارس مهنية كافية لتدريب العاملين على المهن المختلفة**، مع إيلاء اهتمام كبير لمسألة التكاليف وتحسين جداوها بشتى الطرق، ومن ذلك زيادة حجم المدرسة، وإطالة وقت الدراسة في اليوم الواحد، وتوفير حوافز للطلاب، كي يحافظوا على المعدات والتسهيلات، ويعملوا على صيانتها.

٧ ـ **التخطيط لتوفير المعلمين**: إن إيجاد أموال لتمويل التعليم هو من أصعب المشكلات التي تواجهها الدول النامية. وتشكل رواتب المعلمين أكبر البنود في ميزانيات التربية، إذ تبلغ نسبتها فيها من ٦٥٪ إلى ٩٥٪ وهناك دول نامية كثيرة تعجز اليوم عن دفع رواتب مناسبة للمعلمين، مما يجعل من الصعب توافر أعداد كافية وكفيّة من المعلمين ولا سيما بالنسبة لمواد العلوم

والرياضيات واللغين الإنجليزية والفرنسية. ويرى مؤلف الكتاب أن تخريج أعداد أكبر وأكثر كفاءة من المعلمين يجب أن يشكل أولوية في الدولة النامية. وهذا يقتضي:

أ - انتهاج سياسات مالية مناسبة لتمويل رواتب المعلمين.
ب - تحسين الأوضاع المعاشية للمعلم.
جـ تحسين إعداد المعلمين وتدريبهم.
د - تعزيز التعاون بين المعلمين والإداريين والموجهين.
هـ - جعل مهنة التعليم أكثر جاذبية.

٨ - التوسع في استخدام التقنية (التربوية) الحديثة: على الرغم من أن استعمال التقنيات التربوية الحديثة الذي يشمل استخدام آلات طرح الصور على الشاشة، وتقنية الصفحة المطبوعة، والتعليم عن بعد **بالراديو والتلفاز**، وغيرها، لم يؤد إلى تحقيق تقدم دراماتيكي في تحسين وتوسيع نظم أداء التعليم، فإن هذا الاستعمال لم يعد ظاهرة هامشية وأخذ الاهتمام به يزداد في الدول النامية. وحتى تحسن هذه الدول الإفادة من التقنية التربوية، لا بد لها من توسيع خبراتها الفنية وزيادة أعداد المختصين التقنيين العاملين فيها.

٩ - التسهيلات المدرسية: لم تكن التسهيلات المدرسية مثل الأبنية والمعدات تحظى في الماضي بأولوية الاهتمام في الدول النامية. فعدد المدارس في كثير من هذه الدول لا يتسع لعدد الطلاب، كما أن طفلاً واحداً فقط من بين اثنين يذهب إلى المدرسة. وهذا ما يجعل إنشاء مدارس جديدة أمراً ملحاً. ويرى المؤلف أنه قد آن الأوان كي تزيد **دول العالم الثالث من إنفاقها على توسيع المدارس القائمة لاستيعاب الأعداد المتزايدة من المسجلين الجدد من التلاميذ، ولا سيما الإناث، وعلى ترميم وصيانة وإصلاح التسهيلات والمعدات المدرسية.**

وفي حالة إنشاء مدارس وتسهيلات جديدة، يوصي الكتاب بالاقتصاد في النفقات وببساطة التصميم، وبالاستخدام الكامل للبيئة التعليمية، كما يقترح وجود مصمم تربوي إلى جانب المصمم المعماري، لأن كثيراً من المهندسين يهتمون أحيانا بجمالية البناء أكثر من عنايتهم بإنشاء مكان تعليمي مريح يوفر الراحة والأمان ومقاومة تغيرات الطقس والطبوغرافيا الجيدة.

١٠ - الكتب المدرسية: يبين الكتاب أن من الكتب المدرسية ما هو مصمم للتلاميذ ومنها ما هو للمعلمين. وهذه الكتب يجب أن تكون متلائمة، ليس مع البيئة الاجتماعية - الثقافية ومع فلسفة التربية القائمة فقط، وإنما مع مستويات التلاميذ، وحتى مع مستويات الأساتذة أيضا. وفي كثير من الدول النامية توزع الكتب المدرسية مجاناً، وفي بعضها الآخر توزع بصورة مجانية في مراحل، وبصورة مأجورة في مراحل أخرى. وفي بعض البلدان تُباع بأسعار زهيدة. وقد كان توافر الكتب المدرسية في الماضي أمراً بدهياً ومفروغاً منه. لذلك لم تكن هذه المسألة تحظى بأولوية الاهتمام. أما اليوم، وبعد تفاقم المصاعب الاقتصادية. وازدياد أعداد الطلاب في الدول النامية، أصبح لزاماً على هذه الدول أن تهتم بالمسألة، وتوفر نظاماً ناجحاً للإنتاج والنقل والتوزيع يضمن حصول جميع الطلاب على كتب مدرسية مناسبة بأقل الأسعار، إن لم يكن بالمجان.

تغير الأولويات

يبين المؤلف أنه قد حدثت خلال العقود الثلاثة الأخيرة تحولات أساسية في الأولويات التربوية، **فكثير من الدول غيرت الأولوية من التعليم النظري، إلى التعليم المهني والتقني، ومن تعليم الأطفال، إلى تعليم الكبار** الذين لم تتح لهم قط فرص التعلّم، **ومن التعليم النظامي إلى التعليم غير النظامي، ومن تعليم الصفوة، إلى تعليم المحرومين بسبب الفقر أو اللغة أو المنشأ العرقي، ومن تعليم الذكور إلى تعليم الإناث.** وبالنسبة لهذا البند الأخير، هناك اليوم اقتناع بأن تعليم النساء ينطوي على فوائد كبيرة للمجتمع، من بينها تحسين تربية الطفل وصحته وتغذيته. ومن أجل ذلك بذلت في العقود الأخيرة جهود كبيرة لتحسين تعليم البنات والنساء في شتى أنحاء العالم ولا سيما في ضوء فداحة انتشار أميتهن، وتظهر الإحصاءات أن نسبة المسجلات في قطاع التعليم الابتدائي في الدول النامية قد ارتفعت، فيما بين ١٩٦٠م و١٩٨٥م من ٣٥٪ إلى ٦٥٪.

تكمن فائدة الكتاب الذي عرضناه، بالإضافة إلى كونه صادراً عن هيئة دولية راقية، وإلى كون مؤلفه من الثقات التربويين العالميين المعروفين، في أنه يكشف عن المجالات التربوية الهامة التي يجب على الدول النامية، ومن بينها **الدول العربية، أن تستكشفها وأن تعنى بتنميتها وتطويرها.** كما يبين ضرورة **ترتيب هذه المجالات حسب أهميتها ومدى الحاجة إليها، ومقدار تأثيرها التربوي، وذلك بهدف تركيز الجهود والأموال على الجوانب الأكثر إلحاحاً وحيوية في الحياة التعليمية. ومن جهة ثانية، فعلى الرغم من أن التعليم ما زال يُعدّ حقاً للمواطنين، وتوفيره واجباً يتوجب على الدولة أن تدفع ثمنه غالياً من ميزانيتها،** فإن الكتاب يطرح مفهوماً جديدا للتعليم هو المفهوم الاستثماري، وهذا يشكل منظوراً جديداً يوحي بأن التعليم ليس مجرد ميدان لامتصاص النفقات والأموال، بل إنه أيضاً حقل للتوظيف تستثمر فيه الدولة والمؤسسات أموالها فيدر للوطن فوائد مادية ومالية كبيرة، فبالإضافة إلى أن التعليم يبني الإنسان، وهو أكبر ثروة على الأرض، فإنه يحسّن التدريب ويطور الهندسة والتقنية وينعش المهن العلمية أيضاً، وهذه بدورها تؤدّي إلى تقدم الاقتصاد وزيادة الدخل القومي.

وبالنسبة **للدول العربية**، فإن عليها أن ترتب أولويات اهتماماتها التربوية، وفقا لمصالحها وحاجاتها وظروفها الخاصة. ونحن نرى **أن محو الأمية وتطوير التعليم العلمي والتقني والمهني يجب أن يكونا في قمة سلم عنايتنا التربوية.** فالعرب يعانون بشدة من الأمية المستشرية ومن انتشار التعليم النظري الأكاديمي. ولا بد من زيادة الإنفاق ومضاعفة الجهود في سبيل توسيع التعليم الإلزامي وتعليم الكبار، وتشجيع التعليم العملي.

(*) Investing in the Future, Paris, 1990

قُدامةُ بن جعفر وكتابه «جواهر الألفاظ»

بقلم: عباس هاني الجراخ

منذ أن بدأت فكرة تأليف المعاجم على يد «الخليل بن أحمد الفراهيدي» (ت ١٧٥هـ)، وحتى الآن، فإنّ ذلك الكلم المعجمي ـ الذي احتوته تلك المعاجم ـ قد ارتبط بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً لا تنفصم عُراه، ذلك أنّ أصحاب تلك المعاجم قد اهتموا بدراسة القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، ومن الطبيعي أن يهتموا ويدرسوا ما تَضَمَّنَهُ من الألفاظ والتراكيب واللغة الفصيحة الرفيعة.

وقد ألّف المعجميون كتباً في موضوعات وحقول شتى، منها في الغريب المصنّف وفي عناوين خاصة، مثل المطر والخيل والإبل والبئر والسّلاح وخَلق الإنسان والعسل والنّحل والحيوان وغيرها. وهناك معاجم الألفاظ، وممّن كتب فيها «عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني» (ت ٣٢٠هـ) في كتابه (الألفاظ الكتابية)، و«قدامة بن جعفر الكاتب» (ت ٣٣٧هـ) في كتابه (جواهر الألفاظ)، وهو ما سنحاول بحثه اليوم.

قدامة بن جعفر

هو قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي، ويُكَنّى بـ «أبي الفرج» و «أبي عمرو» و«أبي الوليد» و «أبي جعفر»، والكنية الأولى هي الأشهر، وهي التي عُرف بها وشُهِر.

وكان قُدامةُ آرامياً، فهو ينتمي إلى أسرة مسيحية من عمال الدولة، أقامت بالبصرة (كما يرى المستشرق «كراتشكوفسكي»)، ولعل أول وأقدم مَنْ ترجم له هو «أبو الفرج بن النديم» (ت ٣٨٥هـ) في كتابه «الفِهرِسْت»، إذ قال: «قدامة ابن جعفر بن قدامة، وكان نصرانياً أسلم على يد المكتفي بالله، وكان قدامة أحد البلغاء والفصحاء، أو الفلاسفة البلغاء، وممن يُشار إليه في علم المنطق».

ونقل ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في كتابه «المنتظم»: نص ابن النديم، وأضاف إليه أنه «سأل ثعلباً عن أشياء». وترجم له الشريشي (ت ٦١٠هـ) في كتابه «شرح مقامات الحريري»، والمطرزي (ت٦١٦هـ) في كتابه «الإيضاح في شرح مقامات الحريري»، وياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في كتابه «معجم الأدباء»، وأبو الفداء (ت ٨٧٤هـ) في كتابه «البداية والنهاية»، وغيرهم كثير.

وقدامة هو أحد الأعلام العرب الموسوعيين، فقد كتب في نقد الشعر والتاريخ والجغرافيا والمنطق واللّغة وغيرها من العلوم. وقد مكّنته هذه العلوم الواسعة من أن يتنقل في أوساط الخدم الديوانية في الدولة العبّاسيّة، حتّى قلّده العباسيّون (مجلس الزمام) في ديوان الجماعة، في عهد وزارة «ابن الفرات» الثالثة عام ٣١١هـ ـ ٣١٢هـ. ولا شك في أن هذا المنصب من المناصب الجسيمة والمهام الخطيرة في إدارة الدولة العباسية.

وقد أخذ قدامة العلم عن أبيه «جعفر بن قدامة» الذي كان مشرفاً على ضياع القائد التركي «إيتاخ الخزري»، فأخذ قدامة عن أبيه هذا العلم، وبرع فيه، حتى ألّف كتابه الشهير «الخراج وصناعة الكتابة». كذلك أخذ العلم عن بعض اللّغويين العرب، منهم: «ابن قتيبة الدينوري» (ت ٢٧٦هـ)، و«أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد» (ت ٢٨٥هـ)، و «الحسن السكري» (ت٢٩٠هـ) و«أبو العباس ثعلب» (ت ٢٩١هـ)، وأفاد منهم

د. بدوي طبانة



في كتابه الشهير «نقد الشعر» وكتابه «جواهر الألفاظ» وكتابه «تحقيق في البديع» وكتابه «سر البلاغة في الكتابة».

وقد وصفه المسعودي (ت ٣٤٦هـ) في كتابه «مروج الذهب» بأنه «كان موجزاً للألفاظ مقرباً للمعاني» حتى وفاته عام ٣٣٧هـ في عهد البويهيين.

هذا بعض ما أردنا تعريف القارئ الكريم به، عن الأديب والناقد «قدامة بن جعفر»، تاركين الحديث والدراسة الواسعة عنه، وعن مؤلفاته، لكتابنا قدامة بن جعفر وأثره في النقد العربي، الذي فيه كثير من الاستدراكات والإضافات على كتاب قدامة بن جعفر والنقد الأدبي للدكتور الفاضل بدوي طبانة.

جواهر الألفاظ

يعد كتاب جواهر الألفاظ من المعاجم اللّغوية التي أراد به صاحبه جمع المفردات والألفاظ العربية في كتاب واحد، صوناً وحفظاً لها من الضياع والاندثار، ولإفادة الكُتّاب الإداريين الذين يعملون في إدارة الدولة العباسية.

ومن الناحية الوصفية، فإن الكتاب يقع في اثنين وسبعين ومائة باب، تحتوي هذه الأبواب على الألفاظ والتراكيب «التي بذل فيها المؤلف جهداً عظيماً، في جمعها وإحصائها ولمّ شعثها، ونظمها في أبواب على حسب ما تدلّ عليه المعاني». ويرى د. بدوي طبانة أنّ اسم الكتاب الأصلي هو الألفاظ فقط، إلاّ أن النُسّاخ قد أعجبهم مادة هذا المعجم النفيس وتنسيقُه فوسموه بالجواهر، فأصبح جواهر الألفاظ، على ما هو معروف الآن به، ومطبوع فيه.

أما من ناحية المضمون والمحتوى، فقد بَيَّنَ قدامة الطريق العملي للأسلوب الجَزل. ففي المقدمة التي كتبها بَيَّنَ في لفظ قليل دال المطالب

التي ينبغي أن تتحقق في هذا الأسلوب، بأمثلة ضربها على ذلك.

وإذا ما عرفنا أن قدامة كان يعيش في **العصر العباسي**، وهو عصر **ازدهار السجع** وانتشاره، فقد رأى من الطبيعي أنْ يستخدم الكاتب الناشر السجع من حيث هو أداة من أدوات الأسلوب، وألقى وزناً راجحاً لكمال الأُسلوب من حيث الغالب. ففي «**الترصيع**» - الذي سبق أن ذكره في كتابه **نقد الشعر** - ينبغي أن تكون الألفاظ متساوية البناء، متفقة الانتهاء، من غير استكراه ولا تعسّف، كقول بعضهم: «حتى عاد تعريضُك تصريحاً، وصار تمريضك تصحيحاً». كما أنه ينبغي أن يتّسق البناء والسّجع اتساقاً فنياً دقيقاً، كما في الحديث الذي رواه ابن عباس عن النبي ﷺ «**خير الماء الشَّبِم، وخير المال الغَنَم، وخير المرعى الأراك والسَّلم**» (ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث). كذلك ينبغي اعتدال الأوزان، كما في قولك: «اصبر على حرِّ اللّقاء، ومضض النزال، وشدّة المصاع، ودوام المراس».

وقدامة في ذلك لا يكتفي بالشكل السطحي للأسلوب، بل يعمد إلى الاهتمام بالموضوع، اهتماماً فائقاً، فمثله الأعلى هو **التوافق بين الشكل والمضمون**، أو **القالب والمادة**، وهذا التوافق يظهر عنده - أول ما يظهر - في «**صحة التقسيم**»، **بحيث يتعانق التعبير اللّغوي مع مجرى التفكير دون نقص أو زيادة**.

وزيادة على هذا، فإن الجمل المترادفة تتقابل أيضاً في التفكير وهو ما اصطلح عليه بـ «**تصحيح المقابلة**». كما في المثال: «أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذوو الأفَن والغشّ، وليس مَن جمع إلى الكفاية الأمانة كمن جمع إلى العَجز الخيانة»، وغير ذلك.

وفي رسائل التعبير، إلى جانب ما يتصل بالقوالب كمراعاة **الاشتقاق في الجناس** مثلاً، ينصح قدامة باستخدام ما يتعلق بالمعنى أيضاً، فيبرز الفكرة إبرازاً جميلاً **كالاستعارة، والمبالغة والتمثيل**، وما سمّاه بـ «**إرداف اللّواحق**».

وعلى إثر هذه المقدمة، نرى قدامة يسوق لنا فنوناً وألواناً من المترادفات العربيّة، على أنها مادة الكتاب الأساسية.

وإذا ما عقدنا موازنة بين الكتب التي بحثت في «**الألفاظ اللّغوية**»، لرأينا تميّز كتاب قدامة من غيره من المعاجم تلك، وإنْ كان قد تأثر بها ولا ريب.

فالأديب واللغوي **أبو يُوسُف يعقوب بن إسحق السِّكِّيت** (ت٢٤٤هـ) في كتابه **الألفاظ**، يجمع - كما يرى الأُستاذ **مراد كامل** - طائفة من موضوعات ذلك الكنز اللُّغوي الخاص من لغة الأعراب، ويذكر في ذلك كثيراً من العبارات الغريبة النادرة الخارجة عن دائرة الاستعمال، على حين أنّ قدامة الذي يعرف الضرورات العملية حقّ معرفتها، يقتصر على الكنز اللُّغوي العام، بالمستوى الذي يحتاج إليه الكاتب الإداري في القسم الأعظم من رسائله الرسميَّة، ويختار من الموضوعات التي تتفق عناوينها مع ذلك الغرض طبقاً لذلك. وبينما يعرض ابن السِّكِّيت مجموعةً زاخرة بماء الحياة، ومادة دسمة من لهجات الأعراب الحيَّة، إذا نحن لا نجد عند قدامة لفظاً بعيداً، ولا استعمالاً غريباً، بل كان ما أورده عملياً واقعياً.

أما كتاب **الألفاظ الكتابيّة** للأديب **عبد الرحمن ابن عيسى الهمذاني** (ت ٣٢٧هـ) الذي ألّفه قبل معجم قدامة بالطبع، فقد أُلمح إليه قدامة في معجمه دون تسميته، وقد تأثر به وأخذ عنه، كما هو الحال في الباب الأول من معجم الهمذاني، الذي نقل قدامة جميع أمثلته في مقدمة كتابه. وفوق هذا، يظهر في كلا الكتابين، وفي الترتيب الاختياري الذي سلكاه توافق بعيد المدى - كما يعتقد د. **أحمد نصيّف الجنابي** - على أنَّ ذلك ليس عيباً في معجم قُدامة، بل يدلّ على طول باعه، وموسوعيته وتقصية لما كُتب قبله أو ألف في موضوعات العلوم والمعارف الأخرى.

وفيما يخصّ **أُسلوب الكتاب**، نرى أن قدامة قد اهتم بأسلوبه أشدّ الاهتمام، فنحن لا نجد عنده لفظا أو عبارة غريبة مستهجنة. فهو ينظم في كل عنوان من عناوين أبواب كتابه، ما يصحّ ويحسن في نظره من الألفاظ. والعبارات في كتابه واضحة مشدود بعضها إلى بعض، مع الاختصار في سياق الشواهد والمصادر. وهو كثيراً ما يعرض في ذلك أسجاعاً مزدوجة، لكي لا يقتصر المُراجع على استخدام اللّفظ الذي يحتاج إليه، بل ليجد كذلك لفظاً ينظم معه في انتظام رائع.

وكانَ من أهمية هذا المعجم أن بحث فيه المستشرق **يوهان فك**، في كتابه **العربية** وملاحظته للجمل المترادفة فيه. وقال عنه المستشرق **غوستاف فون غرنباوم**، في كتابه **دراسات في الأدب العربي**: إنَّ أوجز وأبلغ - إن لم يكن خير - تصنيف لعناصر البلاغة قد قام به **قدامة بن جعفر**، في كتابه «**جواهر الألفاظ**».

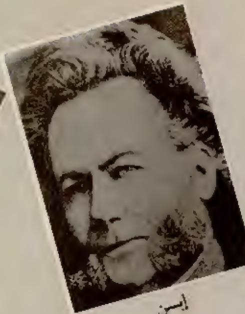
نشر الكتاب أول مرّة في القاهرة، بتحقيق **الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد** - يرحمه الله - **في مطبعة السعادة** عام (١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م)، وأعيد طبعه عام ١٩٧٩م. **ومن الكتاب نسخة مخطوطة في مدرسة «النبي شيت» في الموصل** برقم (٤).

وبعد، فهذا بعض ما عنَّ لنا من الدراسة لمعجم **جواهر الألفاظ** للأديب **قدامة بن جعفر**. والله الموفق لما فيه الخير.

المصادر والمراجع

(١) البيان العربي: دراسة في تطور الفكرة البلاغية. بدوي طبانة. القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة الرسالة، ١٩٦٢م. ط ٣.
(٢) تاريخ الأدب الجغرافي العربي. إغناطيوس يوليوفتش كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٦٣م.
(٣) جواهر الألفاظ. قدامة بن جعفر البغدادي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م. ج ١.
(٤) دراسات في الأدب العربي. غوستاف فون غرنباوم، ترجمة إحسان عباس وآخرين. بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٥٩م.
(٥) دلالة الألفاظ وتطورها. مراد كامل. القاهرة، مطبعة نهضة مصر، ١٩٦٣م.
(٦) العربية: دراسات في اللغة واللهجات والأساليب. يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار. القاهرة، (د. ن)، ١٩٥١م.
(٧) الفهرست. محمد بن أبي يعقوب بن النديم تحقيق: رضا تجدد المازندراني. طهران، (د. ن)، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
(٨) مخطوطات الموصل. داود الجلبي. بغداد، (د. ن)، ١٩٢٧م.
(٩) مروج الذهب ومعادن الجوهر. علي بن الحسين المسعودي. بيروت، دار الأندلس، ١٩٨١م. ط ٤.
(١٠) ملامح من تاريخ اللغة العربية. أحمد نصيف الجنابي. بغداد، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.


موليير


إبسن


تولستوي

فكرة المسرح الحر

إعداد: قسم الترجمة

شهدت أوروبا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر تغيرات جديدة ومؤثرة في المسرح كان أهمها ظهور الدراما الحديثة التي تميزت بالتناول الواقعي، واتجاه كتاب المسرح إلى المشكلات الاجتماعية للطبقة الوسطى والفقيرة معبرةً عن مرحلة التحول التي تمر بها أوروبا إلى المجتمع الصناعي والأنظمة السياسية الجديدة. ومع ذلك فإن أعمال الدراما الحديثة لم تلق رواجًا كبيرًا في حينها وخاصةً مسرحيات هنريك إبسن الجريئة، وكان لا بد لهذا الاتجاه أن يشق طريقه بصعوبة حيث كانت هذه الأعمال مرفوضة من معظم المسارح التقليدية. وكان لا بد من وجود مسرح خاص وطرق جديدة في الإخراج والعرض تتناسب مع هذه الأعمال الجادة والهادفة التي بدأت تظهر في العواصم الأوروبية ولكن المسارح التقليدية لم تستطع تقديمها بصورة تعكس الروح الجديدة التي ظهرت بها.

تجربة أنطوان

ومن هنا كان لابد من ظهور فكرة «المسرح المستقل» **Independent Theatre** أو «المسرح الحر» كما اشتهر بالفرنسية "Théatre Libre". ولكن ما هو المسرح الحر وكيف جاءت فكرته؟ لقد ارتبطت فكرة المسرح الحر بشخصية الممثل والمخرج الفرنسي **أندريه أنطوان André Antoine** (١٨٥٨ ـ ١٩٤٣م) الذي بدأ حياته متنقلاً بين مسارح الهواة في باريس إلى أن ترأس فرقة سيرك لي جلوا. Cercle Le ganlois سنة ١٨٨٣م وهي فرقة هواة تقدم عروضها في صالة فقيرة لأسر الأعضاء والأصدقاء والجيران فأراد أنطوان أن يخرج بها من دائرة العروض التقليدية إلى استكتاب الأدباء الشباب وإتاحة الفرص لمواهبهم بالظهور فاختلف مع إدارة الفرقة وانفصل عنها مؤسسًا فرقة هواة جديدة أطلق عليها اسم «المسرح الحر» ولم يعش «المسرح الحر» إلا تسع سنوات فقط من ١٨٧٧م إلى ١٨٩٦م إلا أنه أحدث أثرًا في تاريخ المسرح الأوروبي كله.

لقد أوجد انطوان بالمسرح الحر **فكرة أن هناك مسرحًا خاصًا لا يقدم أعماله للعامة بل يقدم عروضًا متميزة فنيًا ومعنويًا لفئة خاصة من الناس، وعليه فقد ألغى شباك التذاكر وأصبح الدخول فيه للمشتركين والمدعوين من رجال الأدب والفكر والمجتمع وكان بهذا إلى جانب تحقيق فكرة المسرح المتميز يزيد من الدخل المالي لمسرحه.** وهكذا أصبحت فكرة المسرح تدخل تحت باب المؤسسات الخاصة التي تفتح فقط للمشتركين والأعضاء وبالتالي لا يخضع المسرح الحر للوائح المسارح العامة. ومن هنا خدم المسرح الحر أعمال الأدباء الناشئين وأتاح لهم فرص اختيار مواهبهم أمام جمهور خاص من المثقفين كما أتيح العرض للمسرحيات الواقعية والطبيعية التي بدأت في الظهور ولم يكن الذوق الأدبي العام في أوروبا يتقبلها في ذلك الوقت. ولقد بدأ أنطوان مسرحه صغيرًا لا يزيد عن ٣٤٣ مقعدًا وفي أوج اتساعه لم يزد عن ٨٠٠ مقعد، ولهذا **ظل المسرح الحر في مختلف بلدان العالم المسرح الخاص المحدود المقاعد الذي يحرص على الكيف قبل الكم.** ولقد حرص أنطوان على الإتقان في تقديم عروضه إلى تراكم الديون عليه فلم يكن دخله يغطي تكاليف عروضه المسرحية فاستقال من المسرح سنة ١٨٩٤م بعد أن زادت ديونها عن مائة ألف فرانسه واستمر المسرح من بعده مثقلاً بوطأة الديون حتى أغلق سنة ١٨٩٦.

جوانب إيجابية

المهم أن الأثر الذي أحدثه أنطوان والمسرح الحر قد تجاوز فرنسا إلى البلدان الأوروبية المجاورة التي سافرت إليها فرقته أو انتقلت إليها فكرته. ويحدد النقاد الغربيون أثر أنطوان في ثلاثة محاور:

الأول من خلال فكرة المسرح الحر نفسها والثاني يتمثل في منهج العروض التي قدمها والثالث في نوع الكُتّاب والمسرحيات التي أنتجها. ولقد وجدت المسرحيات الطبيعية والواقعية متنفسًا لها في هذا المسرح حيث كان أنطوان نفسه من تلاميذ المدرسة الجديدة، وكان أميل زولا في مقدمة الذي شجعوا المسرح الحر ووجهوا إليه أنظار النقاد والأدباء.

وما أن حلت بداية القرن العشرين حتى كان

واضحًا أن فكرة المسرح الحر قد أصبحت في فرنسا وغيرها وسيلةً لإخراج وتجريب الاتجاهات الجديدة في ا لمسرح. فلقد استفاد **أنطوان** من تجارب من سبقوه واختار منها جميعًا ما يتناسب مع إخراج المسرحيات الطبيعية التي تحتاج إلى مناظر حقيقية على خشبة المسرح واعتبر النقاد ذلك تحقيقاً للنقلة من الواقعية الرومانسية إلى الطبيعية.

وليحل معضلة النص المسرحي الطبيعي اتجه أنطوان لإعداد أعمال مسرحه من بعض النصوص القصصية وكان أهمها قصص زولا ومسرحيات المشاهير **سترندبرج وتولستوي وتورجنيف و إبسن**، بل امتدت يده الجريئة إلى تطويع بعض الأعمال التي لاتمت إلى المذهب الطبيعي بصلة مثل أعمال **شكسبير وموليير**. وكان أنطوان بهذا التنوع يخرج بالطبيعية من دائرتها المغلقة على أعمال بمواصفات لا تكاد توجد و إن كان يحاول أن يضع ذلك كله في منظور **«المسرح شريحة من الحياة»** وهو شعار **زولا** الشهير في فهم المسرح الطبيعي.

ولعل من أهم ما يذكر لأنطوان **في فن الإخراج المسرحي** هو احترامه لحق المؤلف وتأكيده في نفس الوقت على أن «الإبداع» من مهمات المخرج في تفسير نص المؤلف وذلك من خلال ربط النص المسرحي وتفسيره في ضوء الواقع الاجتماعي الذي يتم فيه إخراج المسرحية، وقد حدد هذا الاتجاه بقوله: **« هناك وظيفتان أساسيتان في عمل المخرج، الأولى الوظيفة التشكيلية وهي المناظر والأزياء والإضاءة وغيرها. والثانية هي الحركة الداخلية ونعني بها الاجتهاد في الكشف عن مكنونات النص المسرحي واستنباط أسراره النفسية وأغواره الفلسفية وذلك من خلال توجه المخرج لحركة الممثل بصورة تجعلها تعكس وتجسِّد المعاني الكامنة وراء الكلمات»**.

وفي إطار العمل التمثيلي دعا أنطوان إلى العمل الجماعي وألغى ظاهرة **«النجومية»** في «المسرح الحر» مؤكدًا أن المسرح والتمثيل نتاج لمجموعة من الجهود لا جهد واحد، ويهدف لإبراز «فكرة» لا «شخصية»، وأصبح لزامًا على الممثل عنده أن يدرس النص إلى جانب استيعاب كافة عناصر العرض المسرحي.

الأثر السيئ للطبيعية

أما في المنظر المسرحي فقد وقع أنطوان في أخطاء الجانب «الحرفي» في فهم الواقعية عند الطبيعيين، بل كان عمله - للأسف - يمثل الجانب التطبيقي لها. فقد حرص في معظم أعماله على إبراز أثر **«البيئة»** في سلوك الشخصية من خلال النقل الآلي من الواقع، وقد جعله هذا الفهم يصر على تغيير المنظر المسرحي في كل مسرحية ويحدد مقدمًا موقع **« الحائط الرابع»** ليتصرف الممثل كما لو كان في واقع الحياة تطبيقًا لنظرية زولا، **وهو الأمر الذي جعله مرةً يعرض شريحة لحم تقطر دمًا على خشبة المسرح وأن ينقل مكتب تلميذ بأكمله وبكل محتوياته إلى خشبة المسرح دون أية إضافات جمالية**.

ونحو تحقيق **الواقعية في الإضاءة** - من وجهة نظر الطبيعية - عمل أنطوان على إلغاء الإضاءة الأمامية وحاول أن يعكس إضاءة الشمس والقمر. وفي التمثيل ألغى التمرينات الصوتية للممثل وطالب أن يتحدث الممثل بطريقة طبيعية كما لو كان في واقع الحياة دون أي اعتبار للسامعين **وأطلق شعاره بأن المسرح «حياة» لا «تمثيل»**. أما موقفه من المشاهد أو المتفرج فقد دعا إلى أن المشاهد في المسرح الطبيعي الواقعي يجب أن ينسى أنه في «المسرح» ويضع في اعتباره أنه يشاهد قطاعًا حيا من الحياة، وليحقق هذا دعا كلاً من الممثلين والمشاهدين إلى أن يتجاهل كلٌ منهم وجود الآخر؛ لأن مقدمة المسرح المفتوحة وهي مكان الستار يجب أن تكون في خيال كل من المشاهدين والممثلين حائطًا رابعًا من خلال سيادة الظلام الدامس في القاعة!.

المسرح والواقع

والحقيقة رغم كل ما حققه أنطوان من خدمة للمسرح إلا أن وقوعه فريسة لأفكار زولا وتبنيه للفهم «الحرفي» للواقع وهو ما سمي **بالطبيعية** قد حال بينه وبين تحقيق ما كان ينبغي أن يحققه. **لقد حاول الطبيعيون تحقيق «الواقعية» في الفن المسرحي بطرق غير واقعية وغير طبيعية. فمن المعروف أن «الفن» غير «الحياة»، فالفن الحقيقي إعادة صياغة الحياة وإضافة إليها في نفس الوقت، والعمل الفني الهادف يحاول تقديم الحياة والواقع من وجهة نظر معينة هي وجهة نظر الكاتب التي يفترض أن تحمل رسالة، أما نقل الواقع نقلاً حرفيًا من الشارع إلى خشبة المسرح كما فعل الطبيعيون لا يقدم أية إضافة إلى ذهن المشاهد إن لم تتم إعادة صياغة هذا الواقع بشكل يحدث أثرًا في الجمهور. إن إحساس جمهور ما بواقعية العمل الفني لا يأتي من خلال نقل الواقع المادي فحسب، بل يأتي من خلال طريقة عرض هذا الواقع وتقديم وجهة نظر من خلاله، وهو الأمر الذي لم يدركه كل من زولا وأنطوان. ولكن حقق ذلك من جاء بعدهم من الواقعيين والمؤمنين بالإصلاح الاجتماعي من خلال الأدب والفن.**

العناية بالتفاصيل الدقيقة في إعداد المشهد المسرحي



أحلام لينين "بروسترويكا"

شعر: مصطفى حسن أبو الرز

كَشَفَ الزيْف ضحى الشمس وخابا ... وغدت أحلامُ «لينين» سرابا
أبلغوا «مارِكْسَ» عن خيبته ... أصبح الحزبُ الشيوعيُّ خرابا
زعق البوم على أطلاله ... جمع المأتم بومًا وغرابا
أين يا «إبليسُ» ما دبرتهُ ... أدبرت أيامُه السودُ وغابا
تزرع الحقدَ بأنفاس الورى ... فئة كانت إلى الأخرى السبابا
وجعلت الناسَ أصنافًا غدت ... طبقات تملأ الدنيا احترابا
«برجوازيٌّ» إذا حاربته ... ورفيقًا صار إن قاد انقلابا
زيّن الشيطانُ ما زيَّنتَه ... في نفوسِ البعض فاستلوا الحرابا
يذبحون الأمن في أوطانهم ... يملؤون الكونَ خوفًا واضطرابا
فإذا ما ساد منهم ماكرٌ ... وعَدَ الناسَ بما لَذّ وطابا
فإذا بالناسِ من أفضالِه ... لم تجد في السوق زادًا أو شرابا
عجبًا ـ واللهِ ـ من أحوالنا ... وأرى البعضَ وقد شَقَّ الثيابا
ما الشيوعيونَ إلاَّ زمرةٌ ... من يهودِ الروس لو أرختْ نقابا
ضَلَّ من أحَسنَ فيهم ظنَّهُ ... حينها أخفوا عن الأعين نابا
مَنْ سواهُم؟ أيَّدوا أعداءنا ... وأقرّوا في حمى القُدس اغتصابا
ولزَحْفِ الداءِ في أوطاننا ... فُتِّحت أبوابُهم باباً فبابا
ونسينا . . . واقتربنا منهمو ... حين ظنَّ البعضُ ما قلنا ارتيابا
ولعلّ الحزبَ قد غَيَّرَهُم ... فالرفاقُ اليومَ قد صاروا صِحَابا
ولَعَلَّ الدربَ قد جَمَّعَنا ... أو ضمير القوم قد ذاق العذابا
فإذا القومُ بدت أنيابُهم ... وتولّوْا كُلّما زدنا اقترابا
أمّتي! والدربُ دربٌ واضحٌ ... من حملنا أمس لِلكون كِتابا
ثم سرنا في دروبٍ عِدّةٍ ... لم تزدْ أجيالنا إلا اغترابا
خيَّم الوهنُ على أيامِنا ... ملأ الأحلام أحلامًا كذابا
وإلى الغربِ مشينا تارة ... وإلى الشرقِ فأسقانا سَرَابا
أمتي ـ لو مرةً واحدةً ـ ... جربي اليومَ إلى اللهِ انتسابا
«وأعدّوا ما استطعتم» واجعلوا ... من هدى القرآن للحق الركابا
«لا تخافوهم» وأنتم أمة ... «أُخرِجت للناس» تهديهم صوابا
فإذا النصرُ يلاقي ركبَها ... جاوزَ العنقاءَ واجتازَ السحابا
أختَ من كانوا على العهد ومن ... كنتُ، إنْ فارقتهم، أخشى العتابا
مذ تلاقينا على موعدنا ... في ربى «حطين» طوّلت الغيابا
أقبلي: يا أختُ! هيا نلتقي ... لِمَ يا أختاهُ أسدلتِ النقابا؟؟
أطرقتْ من حيرةٍ تقْتُلُها ... يا بنيها! اليوم: من يعطي جوابا؟

الشركس
من حضارة الإسلام إلى حكم السوفييت

بقلم : د. صلاح الدين شروخ

بين الشركس والعرب صلات موغلة في القدم. فاسم العرب يرد في أساطير الفارت المتحدثة عن بعض ما قبل التاريخ وطلائع المسلمين وصلت إلى القفقاس في عهد الخليفة الثالث[١]. وكان للشركس دور فعّال في أحداث العالم الإسلامي من خلال وجودهم في قواته المسلحة اعتباراً من عام ٩٩٦هـ. فهم من جند الفاطميين، وبعضهم من قادة حطين، ثم هم الأسوار المانعة للمسلمين في عهد السلطان قلاوون[٢]، ثم هم سلاطين الدولة اعتباراً من دولة السلطان برقوق وحتى طومان باي (١٣٨٢ ـ ١٥١٧م). وهم من روافد المجتمع العربي أثناء ذلك وبعده[٣]. وكان لهم دور فعّال في الحروب الإسلامية الروسية القيصرية، وشكلوا صلة وصل مع مسلمي القفقاس والعرب.

الشركس والتاريخ

ولكن المكتبة العربية تفتقر إلى دراسة علمية رصينة، بعيدة عن الهوى، لهذا الشعب في جاهليته، وفي إسلامه، وتتعدد الآراء وتتضارب فيهم، وبخاصة في كيفية إسلامهم. وما هو موجود فيها ليس أكثر من إشارات تحتاج إلى مزيد من التمحيص، فالترجمة التي قدمها الدكتور **شوكت المفتي** لكتاب **شورا بكمرزاتوغمو (تاريخ الشعب الشركسي)** مأخوذة عن الألمانية، وقبل تحقيق الكتاب من قبل باحثي معهد الدراسات الآديغية بنالتشيك في الاتحاد السوفييتي، وهؤلاء أثبتوا عدم صحة بعض معلومات **شورا**[٤]. وكتاب **يوسف عزت (تاريخ القوقاز)**[٥] يحتاج إلى تحقيق يبين غثه من سمينه، فيوسف هذا كان جنرالاً تركياً / شركسياً ولم يكن مؤرخاً.

وفي كتاب الدكتور المفتي **(أبا طرة وأبطال في تاريخ القوقاز)** المطبوع في عمان من المدح ما يدعو للشك المنهجي. والدكتور المفتي ليس مؤرخاً أيضاً وليس صاحب خبرة بالنقد التاريخي.

وأما المؤرخون المسلمون الذين عايشوا **المماليك**، أو عاشوا في حقبة قريبة منهم، فإنهم تحدثوا كثيراً عن أحداث **المماليك**، دون أن يتحدثوا عن المماليك أنفسهم كشعب، أو كجزء من شعب له ثقافته وخصوصياته. **وابن خلدون** مثلاً يجعل الشركس من الترك دون أن يعنى بتمحيص الخبر، فليست أقوام الشمال كلها تركية، وفعل **البدر العيني** مثل ذلك في **السيف المهند**. ولا يقدم أي من المؤرخين ـ على حد علمنا ـ وصفاً دقيقاً للفتوح الإسلامية في القفقاس، إنما هي نتف متناثرة هنا وهناك. وهذه أمور تجعل الأحكام نابعة من غموض كبير، ومن منطلقات خاطئة. فلا الشركس من الأتراك، ولا اللغة الشركسية قريبة من التركية[٦] ووجود كلمات تركية في اللغة الشركسية لا يختلف عن وجود مثيلاتها في أية لغة أخرى، فللتاريخ آثاره الثقافية دوما.

ولأننا لا يمكننا أن ندرس التاريخ دراستنا لضفدع، فإن النزعات الشخصية والأيديولوجيات والمصالح والرؤى القومية، وتلك الرغبة العميقة في التفاخر القومي لدى كثيرين، وعقد النقص، وقلة ما تقدمه الذاكرة المدونة، والجهل بلغة الشركس وما معها من آداب، والسعي إلى التكسب بالعلم عند بعضهم، عوامل جعلت الخلف يتزايد في خيالاته، ويقلل من موضوعيته، عند حديثه عن الأقوام غير العربية التي كانت في سدة الحكم. ولا فارق هنا بين المدح الغالط، والهجاء الغالط، فكانت النتيجة أن معرفتنا بالشركس مضطربة مملوءة بالأحكام المسبقة التي لا تقوم على أساس، وكانت واحدة من سبل جعل عواطفنا تطغى على عقولنا، ليس في مجال فهم الشركس فحسب، وإنما في مجال فهمنا لذواتنا. والسعي لإلقاء تبعة أغلاطنا على غيرنا ليس سعياً جديداً، والأمثلة كثيرة جداً لمن شاء استقصاءها. نضرب على ذلك بعضاً من الأمثلة الموضحة. فالذين انطلقوا من منطلق قومي بذلوا كل جهد للحط من دور المماليك الشراكسة في مقاومة الغزو الفرنسي لمصر ومنهم **عبد الرحمن الرافعي** مثلاً[٧]، **تناسى أنهم خسروا في حربهم ضد الفرنسيين ٥٠٪ من تعدادهم العام.**

وصاحب الغرض الماركسي الرافض لما يبنيه الدين من لحمة قوية بين المسلمين، وغيرهم، لا ينكر أنهم حاربوا المستعمر، وغيرهم، ولا ينكر أنهم حاربوا المستعمر بشراسة، ولكنه يعتبر حربهم نوعاً من المساومة، مساومة ثمنها ٢٠,٠٠٠ شهيد[٨].

وأما الذي تحركه نصرانيته أكثر مما يجذبه سحر الحقيقة فيفيض إناؤه بما فيه[٩]. **ولا يعدم هؤلاء وأمثالهم تشجيع السلطة التي تتبنى مواقفهم أو يتبنون مواقفها. وقد يعاونهم قصداً أو دون قصد ـ والنتيجة واحدة ـ بعض رجال الإعلام والمغنين الشعبيين المحدثين، فإذا هم يحضرون الرأي العام للخلاص من الشعور بالذنب من التقصير باتهام الآخرين به. فالدولة المملوكية انتهى أمرها عام ١٥١٧م. ولكن صحافياً** كمصطفى أمين الآن يرى أن **المماليك** هم سبب انعدام الحرية في مصر[١٠]، ويعتبرهم **أحمد فؤاد نجم** مظهر الظلم في الساحة المصرية الآن[١١].

وبالمقابل فإن المصلحة السياسية قامت بدور كبير في تضليل العقل، أو في منعه عن ممارسة حقه المشروع في البحث عن الحقيقة وتطوير وعيه بها. فالسلاطين الشركس أرادوا تأكيد مشروعية استلامهم للسلطة ليس بتأكيد انتمائهم الإسلامي فحسب بل بجعل شعبهم ينتمي إلى العرب[١٢]، أو حتى أن يجعلوا أنفسهم يظهرون للناس على أنهم من **قريش**، ووجدوا من الكتّاب من يحقق لهم ذلك أو يروج له[١٣].

ولأن غالبية ذلك صدر في دول اعتبرت نفسها تقدمية بمقدار ما كممت الأفواه، فإن **مقولة ابن حنبل أخذت طريقها إلى التنفيذ العملي، فالجاهل لا يعرف، والعالم لا يقدر على القول. فتبقى الحقيقة مخفية، فيما يتم تداول ما تروج الأيديولوجيات له، وبخاصة حين لا يكون للناس الذين يغطي موقفهم أو تخفي حقيقتهم قوة ضغط سياسية تؤثر في السلطة، أو حين يكون الحديث عن الأقليات القومية مزعجاً لها في الداخل، ويكون الحديث عن مسلمي الاتحاد السوفييتي مزعجاً له، ويخشى من نسمة هواء إسلامية على صداقته، وبخاصة قبل البرويسترويكا.**

إنه حديث ذو شجون متصلة بعضها ببعض، ولكن محصلة ذلك كله، كانت أخطر من أن يتم تناسيها. وعدم معالجة الأمور البسيطة في بداياتها يجعل ملاحقة نتائجها، إن استفحلت، قضية صعبة جداً. فلم يكن من صالح المسلمين السكوت عما يجري للأقليات المسلمة، وللشعوب الإسلامية الصغيرة في أي من أرجاء العالم، فبذلك السكوت جعلنا المعتدي طامعاً بنا وبها. ولنا في الذي حدث في أفغانستان عبرة. ووعينا الإسلامي المتبادل بعض قوتنا، ومن هذا يكون حديثنا عن الشركس والإسلام، وله.

من هم الشركس؟

عرف الشركس بأسماء متعددة، دعاهم الإغريق زيو **Zio**، **ورد ذلك عند آريان**، وهي محصورة لديه بالشركس بدليل التحديد المكاني وذكره أنهم يسكنون شواطئ البحر الأسود. ثم استخدم الإغريق كلمة كيركيت **Kepket** بدلاً من زيو، وكان ذلك خطأ إغريقياً؛ لأن شعب Cercetae شعب آخر كان على علاقة بالشركس ومختلطاً بهم فلم يقدر الإغريق على التمييز. وعرفهم جيرانهم الغروزنيون باسم **جيك**، وبلاد الشركس باسم **الجيكيتاي**. وأما العرب فعرفوهم باسم **الشركس أو الجركس**. والأرجح أنها كلمة فارسية تدل على القبائل القديمة الأربع التي تفرعت منها القبائل الحالية[١٤].

ولكن الشركس يعرفون أنفسهم باسم **الآديغة** وهي في تحليل شورا، مشتقة من اسم قبيلة **الآنت** التي تشكل الأرومة الأصلية[١٥] التي يختلف الباحثون العرب فيها، فينسبهم **ابن خلدون والبدر العيني إلى الترك**[١٦]. وهناك من ينسبهم إلى العرب[١٧]. وكل هذا غير مقبول، **فالصحيح هو أن الشركس بقايا مدنية وعالم قديم سكن أفراده أوروبا قبل استيلاء الهنود الأوروبيين عليها، ولم يبق منه ومنها إلا الباسك وسكان جبال القفقاس، ويقعون في عرقين هما، عرق البحر الأسود (البونتي) والعرق الجبلي**[١٨].

خصائصهم وعاداتهم

وللشركس مجموعة من الخصائص الجسدية المميزة لهم من غيرهم، فالرأس والوجه طويلان والأنف مستقيم والعيون ملونة، والشعر كثيف كستناوي اللون، والقامة منتصبة متوسطة أو طويلة، والبشرة بيضاء، وفي أجسامهم قوة وجمال[١٩] الأمر الذي يؤكد **الانتماء الآري**.

ويغلب عليهم الطبع الانفعالي الفعّال، وفي انفعالهم حدة قد ينقلب عنفا بسرعة، مع اعتزاز بالذات مبالغ فيه غالباً، وهم معروفون بالشجاعة[٢٠].

ومن أهم ما يميز مجتمعهم روح التنافس الحاد والتعصب القومي[٢١]، وتقديس الاسم الشخصي والقبلي. فالمجتمع الشركسي مجتمع تقليدي، يخضع سلوكه لنواميس **الآديغة خابزة**، وأسرته أسرة أبوية كبيرة، والتربية فيه إما أسرية وإما تربية الأتالق، والصديق يعتبر من الأسرة، والقيادة في البيت لكبار السن. ومن عاداتهم أن لا يظهر الأب عواطفه تجاه أولاده، أو زوجه. ويعيب المرأة عندهم أن تتحدث عن متاعب حمل أو ولادة بحضور الآخرين، أو أمام كبار السن، أو أن تؤاكل زوجها بحضورهم، أو أن يجلس أي من الزوجين بحضور حميه أو الأكبر سناً إلا بإذنه. ولا يتخاطب الزوجان باسميهما بحضور الكبار. وعلى الرجل أن يقف عند مخاطبة سيدة أو مرورها به، والصدارة في المجالس لكبار السن وأبطال الحرب التي يربى الجنسان عليها.

وللمائدة والثياب والتخاطب والمرور والحرب آدابها المرعية بتقاليد صارمة، وكذلك حال الزواج. **ويندر الطلاق عندهم. والعهد في عرفهم ملزم إلزام العقد ومصافحته كافية للإلزام**، ولهم أعياد تقليدية قديمة **كعيد جمع المحصول، وعيد الأيكة المقدسة** يرقصون فيه حول الشجرة المقدسة، ويقدمون لها التقدمات[٢٢].

وأما **اللغة الشركسية** فمن المجموعة اللغوية القوقازية، وهي **لغة هندو أوروبية**[٢٣] وهي متعددة اللهجات، وتعتبر **لهجة البسلني** أفصحها، **والقبرتائية** من أغناها بالمفردات[٢٤]، وهي لغة قديمة جداً وتعتبر متحفاً لغويا عظيماً يحفظ ذخائر لغوية وبقايا لسانية موغلة في القدم لكونها أقدم اللغات الأوروبية، ولكن افتقارها إلى أبجدية خاصة بها أعاق نموها. وإذا ضاع المعجم الذي وضعه شورا لها فإن أول معجم مطبوع لهذه اللغة هو معجم **قبرتائي/ روسي من وضع لوباتفيسكي ظهر في تفليس** عام ١٩٠٤م، ثم تلاه **المعجم الشركسي ـــ الروسي** بإشراف معهد الدراسات الشركسية في مايكوب[٢٦]. وفي تركيا أصدر **جاويد باشا** عام ١٨٨٤م كتيباً بالشركسية لم يتح لنا الاطلاع عليه. وأما أول مدرسة شركسية خارج الوطن الأم فكانت في مدينة القنيطرة السورية عام ١٩٢٩م. ومن أجلها وضعت كتب شركسية مدرسية بحروف لاتينية معدلة، ثم انتهى أمرها بإغلاق المدرسة سنة ١٩٣٩[٢٧].

الإسلام والشركس

وفي وصول الإسلام إلى الشركس خلاف بين الباحثين، فشورا يرى أن

الإسلام كان عن طريق خاني القرم **دولت ـ جري** و **غاز ـ جري** عام ١٧١٧م وأنه كان بالحديد والنار [٢٨]. والدكتور **عادل عبد السلام** يرى أنه وصلهم في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر [٢٩]. ويذكر **محمود شاكر** أن الإسلام وصل إلى المنطقة عام (٢٢هـ) [٣٠]. ولكننا نرى أنهم كلهم قد جانبوا الصواب. فالفتوح الإسلامية وصلت إلى **أذربيجان** في عام ١٨هـ أو في عام ٢٢ هـ، ولكن **الأذربيجان** احتاجوا حملة أخرى عام ٢٨هـ بقيادة **الوليد بن عقبة** الذي أعاد فتحها وصالح أهلها [٣١]، ثم نقضت **أذربيجان** الصلح فعاد **سعيد بن العاص** إلى فتحها مرة ثالثة [٣٢]. وفي سنة ٣٢ هـ غزا **ربيعة بلنجر** [٣٣]، وفي عام ٧٢ هـ غزا **محمد بن مروان أرمينية ثم بعد الصلح غدروا** بالمسلمين [٣٤]. فعاد محمد بن مروان الباهلي لغزوها عام ٨٥هـ، ثم افتتح **مسلمة دار بند**(باب الأبواب) قديماً [٣٥]. وفي عام ١١٧هـ كان **مروان بن محمد** المعروف بالحمار ما يزال يفتتح حصون **أذربيجان** [٣٦] ولم يقدر على غزو **باب اللان** والوصول إلى **البيضاء** عبر **باب الخزر** إلا في عام ١١٩هـ ثم بلغ **قلعة السرير** عام ١٢١هـ.

وفي عام ٢٣٥هـ كانت **أذربيجان وأرمينية وجند دمشق وفلسطين** تحت قيادة **المؤيد بالله إبراهيم** [٣٧]. **وبعد ذلك ضعفت الفتوح وتوقفت ثم أنهي الحكم العربي في القفقاس على يد جاويد الثاني** [٣٧] فالشركس لم يعرفوا الإسلام عن طريق الفتوح مباشرة.

ولكن هل يترتب على ذلك أن الإسلام لم يدخل بلاد الشركس؟

إننا لا نملك شهادة تاريخية تثبت أو تنفي. ولكن من المؤكد أن دخول الإسلام إلى بلاد الشركس لم يكن عام ٢٢هـ لأنه عام بداية الفتوح في المنطقة، ولبعد بلاد الشركس عن **أذربيجان الجنوبية**.

خريطة توطن الشعوب والقبائل، نقلاً عن يوسف عزت وتشير الأسهم لحركة الجيش الإسلامي وزمن الحركات بالاعتماد على أبي المحاسن ـ النجوم الزاهرة جـ ١.



ولكن **القبرتاي** كانوا متماسين عام ١١٩هـ مع الفتوح وقريبين جداً منها، والاتصال بين **الجركس والداغستان** لم ينقطع في أي عهد، وما كان إسلام **الداغستان** ليبقى دون أثر في إسلام بقية الشركس. وبخاصة إذا تذكرنا إسلام بعض الشركس في عهد الخليفة الفاطمي العزيز الذي استقدم الترك والشركس عام ٩٩٦م ليكونوا نواة جيشه، أي قبل الفترة التي يذكرها **شورا** بسبعمائة سنة.

ثم إذا لم ننس أن الدولة المملوكية الشركسية قامت في مصر عام ١٣٨٢م [٣٩]، وكان السلطان الناصر **صلاح الدين الأيوبي** قد استقدم قبل ذلك فئة منهم وكان منهم **فخر الدين بن أياز الجركسي وايز لكوج القوقازي** قائد الجند في **حطين** [٤٠]، وكذلك فعل السلطان **قلاوون** سنة ٦٨١هـ حين أنشأ **الفرقة البرجية** لتكون حامية له ولأولاده وللمسلمين [٤١]، وهؤلاء لم يكونوا منقطعي الصلة بشعبهم ووطنهم الأم، فبعضهم كان يذهب إليه، وبعض الأهل يقدمون منه [٤٢]؛ فلا صحة لما يذكره **شورا** من تاريخ دخول الشركس في الإسلام، أو من دخولهم فيه بقوة النار والسلاح (وسعي شورا إلى التقرب من الروس معروف). **فالأفضل أن نقول إن الشركس أسلموا تدريجيا بدءاً من عام يلي ٢٢هـ حتى كان عام إسلامهم في القرن الثامن عشر الميلادي. وبعد صراع طويل بين المسيحية والوثنية والإسلام، انتصر الإسلام فيها في النتيجة. ليس بقوة الحديد والنار، وإنما بذاك الاقتناع الذي يبنيه التاريخ الطويل. وحينما انهارت دولة المسلمين في القفقاس بقي الإسلام فيه، وبقي الشركس عليه متمذهبين بالمذهب الحنفي، وتحت لوائه.** وبقيادة الشيخ شامل حارب الشركس وبقية القفقاسيين المسلمين الجيوش القيصرية حرباً ضروساً انتهت بانتصار كاترين الثانية نهائياً عام ١٨٦٤م [٤٣]، ولم يجد الشركس أو غيرهم سنداً من المسلمين فيها. فكانت الهجرة التي لم يعرفها أي شعب من الشعوب في التاريخ على ذاك النحو المأساوي الفظيع في آلامه ومآسيه، فكان تشتت الشركس في العالم. وأما من كان حظه جيداً فقد وجد ملجأ في بلاد المسلمين. وكثير منهم غيّبته مياه البحر الأسود.

الشركس والحكم السوفيتي

فالحديث عن إسلام الشركس يجب أن يأخذ بعين الاعتبار أمرين:

أولهما أن الشركس الذين قدموا العالم العربي صاروا كبقية المسلمين، سواء أقَدِمَ مملوكاً وتحرر بنهاية تدريبه أم قدم منهم لاجئاً بروحه ودينه.

وثانيهما أن إسلام الذين بقوا في الوطن الأم، وهم القلة بالقياس مع التعداد العام للشعب، تعرض في ظل الحكم الروسي، قيصرياً كان أو سوفييتياً لهجوم متصل بقصد إضعاف روح الجهاد والمواجهة في النفوس. وبدء ذلك دخول الجيشي الروسي القيصري إلى تلك المناطق.

ولكن الحقيقة تقتضي الاعتراف بأن وطأة **القيصرية** على شعوب القفقاس بعد احتلاله، كانت أقل من وطأة **البلشفيك**. صحيح أنهم في تلك الحرب التي اتصلت منذ عام ١٨٢٦م وحتى ١٨٦٤م خسر الشركس ٧٥٪ من تعدادهم وقوتهم، وخسروا استقلالهم ووطنهم. ولكنهم في ظل القيصرية

وجدوا قدرة على ترميم خسائرهم ولم يمنعوا من ممارسة عقائدهم، ولم تُهاجم عقائدهم أيضاً. تم سلخ **إقليم القبرتاي عام ١٨٣٩م بمعاهدة بلغراد.**

ولكن الشيوعيين ألغوا الدولة التي تأسست بتاريخ ١١ أيار ١٩١٨م فصارت بلاد الشركس تابعة للاتحاد السوفييتي، وقسموا هذه البلاد بحيث تستمر التجزئة في زيادة الفوارق بين أبناء الشعب الواحد. وسعت الدولة السوفييتية وفي خط مواز إلى ترويسهم، واستغلت في ذلك كل إمكاناتها المادية والبشرية والعلمية. فمن الناحية السياسية تم تقسيم المناطق الإسلامية القفقاسية بعد دخول **الجيش الأحمر** إليها بتاريخ ٣٠ آذار ١٩٢٠م بحيث تفتقد هذه الشعوب وحدتها. فأقيمت **للداغستان جمهورية ذات استقلال ذاتي**، وضم **الشاشان (الججن) و الأنفوش في جمهورية** مثلها، ومزج **القبرتاي** وهم من قبيلة شركسية **بالبلقار** في جمهورية ذات حكم ذاتي مثلما فعل مع **الأوستين**، ومزج **القرشاي والشركس في** مقاطعة ذات حكم ذاتي لا يمكن لأبنائها أن يتواصلوا ـ حال القبرتاي والبلقار ـ إلا باللغة الروسية، ثم شكل السوفييت مقاطعة الآديغة ذات الحكم الذاتي(٤٤).

وبطبيعة الحال تمّ إيقاف كل أشكال التعليم الديني، وصار تعليم الفلسفة الماركسية جزءاً أساسياً من المنهج. وسعى الماركسيون إلى تشويه الإسلام في النفوس في إعلامهم ومدارسهم ومؤلفاتهم تشويهاً مقصوداً إليه قصداً. وجعلوا اللغة الروسية لغة الثقافة والعلم ظانين أن الزمن سيفعل فعله فتنتهي قضية الإسلام والقوميات في النفوس.

والملاحظ أن السوفييت لعبوا لعبة قذرة مع العالم الإسلامي حين أبقوا علاقات المسلمين السوفييت مع إخوتهم في الدين في أدنى أشكالها. فكل الكتب التي تذاع أو تنشر عن الإسلام كانت بصيغة الماضي، وعرض الإسلام على أنه من متحجرات ما قبل التاريخ، **ولم يسمح للمسلمين السوفييت بالاتصال بآداب الشعوب الإسلامية(٤٥)، والمتحدث أو الداعي للإسلام اعتبر خائناً ولوحق في لقمة الخبز، أو حرم من العيش.** وأما في الجيش فكان إعداد الضباط قائماً على توسيخ عقولهم باستمرار بالماركسية والعداء للدين(٤٦) وبطريقة لا تخلو من ذكاء الخبث.

ويكثر الكتاب المعاصرون من التعبير عن **الصحوة الإسلامية** والقول بأن الجهد السوفييتي في مقاومة الإسلام لم يكن ناجحا بسبب المقاومة التي أبداها المسلمون السوفييت والشركس منهم. وفي هذا بعض حق قليل وفيه كثير من المبالغة، لأن ما حققه السوفييت في هذا المجال ليس قليلاً ولا هو بالهين.

والحركات القفقاسية بعد إعلان سياسة **البروسترويكا لا تعني أن السوفييت** قد فشلوا في تحقيق كل أغراضهم. فبالنسبة للشركس، وبدلاً من توحيد الشعب، كرس السوفييت القطيعة بين أجزاء هذا الشعب. **فإذا القبرتاي** يصبحون شعباً مستقلاً، ولكنه ممزوج **بالبلقار** وهم من شعب آخر حال **القرشاي والشركس.** وتمت إقامة حدود بين أبناء الشعب الواحد، وجرى تقعيد **القبرتائية** و هي لهجة، لتكون لغة مختلفة عن بقية اللغة الشركسية، كأن تأتي مثلاً إلى اللهجة المصرية وتجعلها لغة مستقلة عن لغات أخرى تصطنعها في بقية أرجاء الوطن العربي.

ونجح السوفييت في جعل الشركس جاهلين بدينهم وتاريخهم حتى ليخيل إليهم أن تاريخهم جزء من الماركسية وأعيد في أذهانهم فهم التاريخ ليكون نضالاً من أجل بناء الشيوعية. ولقد نجحوا في جعل عقل الشباب معادياً للدين، وإلى حد بعيد. ولولا ما يخلفه ذلك من شعور بتدميرالذات تدميراً يجعل الانتفاض عليه جزءاً من الدفاع عن النفس لكان نجاحهم كاملاً. وإنها الرحمة من الله عز وجل أن جعل موقفهم، موقف السوفييت، مبنياً على تناقض ومغالطة، فبمقدار ما زادوا في سعيهم ازدادت حدة الشعور بالاستلاب في النفوس. فالشيء الذي لم يقدروا على قتله في نفوس الناس هو تلك الحماسة الدينية والشعور بفخر الانتساب إلى الإسلام والتميز به، بحيث يكون هدمه هدماً للذات نفسها. ولكنها الحماسة التي تفتقد الوعي الدقيق للإسلام عقيدة وعبادة ومعاملات.

وما من شك في أن بعض ذلك يتحمله، مع السوفييت، بقية المسلمين في العالم حين ينسون أن المؤمنين إخوة، وأنهم جسد واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى. ومن المؤكد أن الحرب ضد الإسلام في أماكن كثيرة من العالم، ومنها بعض عالم العرب، لم تكن أقل شراسة من الحرب السوفييتية ضد الأديان عموماً، وضد الإسلام على وجه الخصوص(٤٧). وإن هذا أثر تأثيراً سلبياً في مسلمي الاتحاد السوفييتي، وأتاح له حرية واسعة في التعامل على نحو ما يشاء مع مسلميه. ولكن ما يحدث الآن في الاتحاد السوفييتي يبشر بخير يجب أن نعمل من أجل تنميته. أما كيف؟ فتلك قضية أخرى، لعلنا نجد وقتاً لها ـ والله الموفق.

الهوامش

(١) د. صلاح الدين شروخ. اللغة العربية واللغة الشركسية مجلة الجبل باريس ٤/١٩٨٦م ص (٥٣). محمود شاكر قفقاسيا. مجلة حضارة الإسلام الدمشقية. بدءاً من العدد ٣/١٩٦٦ سلسلة مقالات. انظر أيضاً: محمد شلبي. زواج الأيديولوجية بالجغرافية. مجلة الإرشاد. الجزائر. العدد ٢ لعام ١٩٩٠م ص (١٨ ـ ١٩).

(٢) د. حكيم أمين عبد السيد. قيام دولة المماليك الثانية. دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧م ص (٥٨).

(٣) أحمد صادق سعد. تاريخ العرب الاجتماعي. بيروت. دار الحداثة، ١٩٨١م، ص ١٩٢.

(٤) НЭГУМЭ .Ш. Б. АДЫГЭ НАРУДЫМ ИТХЫДЭ НАЛШЫК 1958

(٥) مه ت جونا توقة. تاريخ القوقاز. ترجمة عبد الحميد غالب، القاهرة، مطبعة عيسى الحلبي البابي، ١٩٩٣م

(٦) البدر العيني. السيف المهند. بيروت. دار الكتاب اللبناني ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧م، ص ٢٦.
انظر تعقيب محمد زاهد الكوثري على مادة جركس في دائرة المعارف الإسلامية. وتحليله في المخطوط المحفوظ لدى ورثة الشيخ عبد الله إسلام في تلعمري ـ حمص ـ سورية. [انظر أيضاً: د. عادل عبد السلام. جغرافية القفقاس (محاضرة مكتوبة بخط اليد محفوظة في مكتبة الجمعية الشركسية بدمشق) انظر أيضاً: يسرى الجوهري. الإنسان وسلالاته. الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٣٣م، ص ٣٠٦ و ٣٥٧.

(٧) عبد الرحمن الرافعي. تاريخ الحركة القومية في مصر. القاهرة، مطبعة النهضة، ١٩٢٩م، ج ١، ص ١٦١ـ١٦٢.

(٨) أحمد صادق سعد. المصدر السابق.

(٩) خليل أنطوان ضومط. الدولة المملوكية. بيروت، دار الحداثة، ١٩٨١م، ص ٢٦٨.
(١٠) مصطفى أمين. لكل مقال أزمة. بيروت، القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٩م، ص ١٥١، ١٥٦، ١٦١.
(١١) أحمد فؤاد نجم. بلدي وحبيبتي. بيروت، دار خلدون، ١٩٨١م، ص ٩٧.
(١٢) عبد الوهاب عزام. مجالس السلطان الغوري. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والنشر، ١٩٤٨م.
(١٣) عادل عبد السلام. جغرافية سورية. جامعة دمشق، ١٩٧٣م، ص ٣٧١.
(١٤) شورا. ص ٦١، ٦٤. حكيم أمين عبد السيد ص ١٢ — دائرة المعارف الإسلامية، مادة جركس.
(١٥) شورا. ص ٦٤.
(١٦) صلاح الدين شروخ. البدر العيني، المصدر السابق ص ٢٤.
(١٧) عادل عبد السلام. المصدر السابق ص ٣٧٤.
(١٨) السابق ص ٣٧٠.
(١٩) السابق ص ٣٧١.
(٢٠) حكيم أمين عبد السيد، ص ١٢، ٢١.
(٢١) السابق ص ١٥.
(٢٢) عيسى انجوق. قفقاسية اديغة لر (بالتركية). مطبعة حلب، ١٩٣٧م ص ٣٨. انظر أيضاً: Long-woreh. A year among the creessiens. London 1840 vol IIP. 196 and vol II ch VIIP.250
شورا ص ٢٠٧ و ١٨ و ٢٩.
(٢٣) عادل عبد السلام. المصدر السابق، ص ٣٧١
(٢٤) السابق ص ٣٧١.
(٢٥) السابق ص ٣٧٢.
(٢٦) صلاح الدين شروخ. المرجع السابق، ص ٨٩
(٢٧) هذه المعلومات مأخوذة من السيد محمد على ماستروق عضو مؤتمر القنيطرة في مقابلة أجريتها معه بتاريخ ٩/ ٦/ ١٩٧٧م في مدينة الرقة السورية، وكانت رخصة المدرسة باسم د. محمد علي بشيالوق.
(٢٨) شورا بكمرزا توغمو. تاريخ الشعب الشركسي، نالتشيك، ١٩٥٨م، ص ٨٨ (بالشركسية).
(٢٩) عادل عبد السلام، السابق، ص ٣٧٣
(٣٠) محمد شلبي. ص ١٨، ١٩
(٣١) أبن تغري بردي، ج (١) ص (٧٦ـ٧٧) و (٨٥) النجوم الزاهرة)
(٣٢ـ٣٧) السابق، ج١، ص ٨٦، ٨٨، ٢٠٤، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢١٦، ٢٨٢، ٢٨٦، ٢٣٥.
(٣٨) خليل أنطوان ضومط، السابق، ص ١٧.
(٣٩) حكيم أمين عبد السيّد، السابق، ص ٥٨.
(٤٠) انظر تعقيب الشيخ محمد زاهد الكوثري على مادة جركس في دائرة المعارف الإسلامية.
(٤١) حكيم أمين عبد السيد، ص ١١، ١٢.
(٤٢) ابن إياس. بدائع الزهور. القاهرة، مطبعة الشعب، ص ٤٨٤، ٩٨٥. [محمود رزق سليم، الأشرف قانصوه الغوري، مكتبة مصر، ص ٤.
(٤٣) عادل عبد السلام، ص ٢٦٩. مه ت جوناتوقة يوسف عزت، ص ٣٧.
(٤٤) عادل عبد السلام، ص ٣٧٨. محمد شلبي ص ١٨ ــ ١٩ وما يذكره عن الشيخ شامل لا يتفق وخريطة احتلال القفقاس.
(٤٥) أمير طاهري. الهلال في سماء حمراء، ترجمة نجيب المانع. القبس الدولي ٣١/ ١/ ١٩٩٠م، ص ٩.
(٤٦) أنا تولي جيرا سيموف. الإعداد الماركسي اللينيني للضباط. المجلة العسكرية السوفييتية. ع ١١، ١٩٨٦م، ص ٢٨، انظر أيضاً محمد شلبي، ص ١٨ـ١٩.
(٤٧) للمزيد انظر. يوسف القرضاوي. الحلول المستوردة. قسنطينة، دار البعث ١٩٨٤.

الشعر صحو لا سكر

شعر: د. غازي مختار طليمات

قالَتْ: سَكَبْتُ الرَّاحَ في الأَقْدَاحِ
فاشْرَبْ، فقُلْتُ: بَريقُ ثَغْرِكِ رَاحي
قالتْ: بلا خَمْرٍ أَتَنْظِمُ؟ قلْتُ: لا
خَمْري تَوَقُّدُ وَجْهِكِ الوضَّاحِ
لا يَقْنصُ المَعْنى الشَّرودَ مُخَبَّلٌ
لَمْ تُبْقِ مِنْهُ الْخَمْرُ غَيْرَ كُسَاحِ
يَطْفو وَيَغْرَقُ في السَّرابِ مُطَرَّحاً
شَتَّانَ بَيْنَ خُمولِهِ وَجِمَاحي
قَدْ غَاصَ في ماءِ الشَّعيرِ وغُصْتُ في
عَيْنَيكِ، ما السَّكْرانُ مِثْلُ الصَّاحي
ألقاهُ لَيْلُ السُّكْرِ في مُسْتَنْقَعٍ
وَرَكِبْتُ فُلْكَ الصَّحْوِ كالمَلَّاحِ
آفاقُهُ ظُلَمٌ، وأُفْقي أَنْجُمٌ
وصَبَاحُهُ سَقَمٌ، وَأَنْتِ صَبَاحي
يَهْوي إذا عَبَّ المُدامَةَ جِيفَةً
وأَطيرُ في أُفُقي بِأَلْفِ جَنَاحِ
أَرَأَيْتَ أَغْبَى من بصيرٍ عاصبٍ
في الليلِ عَيْنيهِ بذيْلِ وِشَاحِ
فاضَ الخُمارُ بمُقْلَتيهِ فَغَاصَتا
غَوْصَ الحَصَا في المائجِ المُجْتَاحِ
إنْ أَطْفَأَتْ صهباؤُه مِصْباحَهُ
أَوْقَدْتِ مِنْ خَدَّيْكِ لي مِصْبَاحي
فَتَناثري شَرَراً يُثيرُ جَوانِحي
وَتَمَرَّدِي رِيحاً تَسُوطُ رِيَاحي
وَتَوثَّبي فَوْقَ الضُّلوعِ يَمَامَةً
بَيْضَاءَ رافلةً عَلَى الأَرْوَاحِ
فالشِّعْرُ صَحْوُ الفِكْرِ لا خَدَرُ الطِّلَى
وتَغَلْغُلُ الأَرْواحِ في الأَرْواحِ
كَذَبَ الشَّقِي، فَمَا لِشِعرٍ وَمْضَةٌ
بَيْنَ الجُفُونِ الحُمْرِ وَالأَقْدَاحِ

زيارة شبح

للكاتب الأمريكي: مارك توين ○ ترجمة: مازن بدلة

استأجرت غرفة وسيعة من بناء ضخم قديم يقع في آخر **شارع برودواي**. الطوابق العلوية من البناء ظلت لسنين عديدة قبل مجيئي مهجورة تماماً، حتى أصبحت مرتعاً للعناكب والغبار، والعزلة والصمت.

في الليلة الأولى، وأنا صاعد إليها، بدوت كأنني أتلمس طريقي بين القبور متفادياً حرمة الموتى. كنت مشحوناً بالخوف، وفي إحدى زوايا السلم المظلمة، كانت عنكبوتة تؤرجح نسيجها اللزج في الهواء، فلبختني به على وجهي.

خفت أكثر، لو أنني صادفت شبحاً لكان ذلك أهون عليّ.

المهم، وصلت غرفتي. أوه.. سعادة عارمة. مددت لساني للعفونة والظلام، دخلت، أقفلت الباب.

كانت النار تلعلع في الموقد. جلست. ساعتان من الزمن مرّتا وأنا جالس أمام الموقد، أفكر في الأيام الغابرة، واستدعي من ذاكرتي مشاهد قديمة، ووجوهاً شبه منسية في سديم الماضي، أصغي إلى أغنيات كانت شائعة في يوم من الأيام، لكن أحداً لا يرددها اليوم.

عندما استيقظت من ذلك الاستغراق الحالم كنت قد تحولت إلى حالة مثيرة للشفقة والرثاء: لقد رق زعيق الرياح ليصبح عويلاً متقطعاً، تحول صفع المطر الغاضب على الزجاج إلى تربيت خنيف، أما أصوات الشارع فقد سكتت الواحد تلو الآخر، وتلاشت الخطوات المسرعة لآخر متسكع دون أن تخلف وراءها أيّ صدى.

والنار لم تعد كما كانت، شعور بالعزلة يطبق عليَّ الآن. نهضت، خلعت ملابسي، وفعلت ما يتوجب على الإنسان فعله قبل النوم، خلسة، وكأنني مطوق بأعداء نائمين يتوجب عليك ألا توقظهم، لأنك إن فعلت مُتّ.

انطمرت تحت الأغطية يهدهدني عويل الرياح وتربيت المطر وصرير النوافذ الخافت الآتي من مكان بعيد، .. حتى نمت، ولا أدري كم استغرقت.

فجأة استيقظت متوتراً متحفزاً، كل ما حولي ساكن، عدا قلبي الذي كنت أسمع دقاته بوضوح. أغطية السرير أخذت تزحل ببطء باتجاه حافة السرير. هل كان ثمة من يسحبها عني؟ لم أقو على الحركة، حاولت أن أتكلم، لم أفلح، والبطانيات ما تزال تزحل، ليس من تلقاء ذاتها، قطعاً، .. دواليك حتى انشمر عن صدري. عندئذ، وبجهد كبير، استطعت الإمساك بها، شددتها إلى ما فوق رأسي، حبست أنفاسي وانتظرت.

مرة أخرى استؤنف الشدّ. ومرة أخرى اضطجعت. تحول الزمن إلى ثوانٍ تزحف ببطء، كالنمل، وخلال قَرْنٍ من هذه الثواني، انشمر صدري ثانية.

استجمعت قواي وخطفت الأغطية وأعدتها إلى مكانها. تشبثت بها بيد قوية، وانتظرت. الشد عاد، لكنه كان خفيفاً. أحكمت قبضتي فتعاظم وتوتر. ارتخت قبضتي، وللمرة الثالثة زحلت الأغطية.



أنّنت. جاوبني أنين من خلف حافة السرير. انكتمت. كنت أقرب إلى الموت مني إلى الحياة. بغتة، سمعت خبطة قدم ثقيلة، خبطة قدم فيل على الأرجح، إنها، في كل الأحوال، ليست دوسة آدمي، لكنها كانت تبتعد فاطمأننت.

أصغيت جيداً، فوجدت أنها تقترب من الباب، ثم، ودون أن تحرك القفل أو المزلاج، خرجت. ثم سمعت صوت تجوالها في الأروقة المغمة، داقةً الأرض الخشبية بقوة، لترتجّ الأرض وتصر.. ، ثم ران الصمت.

هدأت. قلت إنه حلم، أو، ببساطة، حلم شنيع.

استلقيت ورحت أقلب الحادثة على وجوهها المختلفة، إلى أن أقنعت نفسي بأن ما عشته ليس أكثر من مجرد حلم، وشجعت نفسي بضحكة حررت لي شفتيَّ. نهضت، أضأت المصباح، تفقدت القفل والمزلاج فوجدتها كما كانا، فأطلقت ضحكة استقرت في فمي. حشوت غليوني، وأشعلته، ودنوت من الموقد لأجلس قربها، وإذا الغليون يسقط مني، وأشهق، ومع الشهقة حسبت أن نفسي قد انقطع.

كان ثمة بصمتان لقدم على الرماد، إحداهما لي، والأخرى كبيرة إلى حد بدت معه بصمتي كأنها بصمة رضيع «**الآن وجدت تفسيراً لخبطة الفيل!**». أطفأت النور وعدت إلى فراشي شبه مشلول.

استلقيت وأرسلت ناظري في الفراغ، وأنصت. هذه المرة جاء الصوت من فوق رأسي، صوت لم أستطع أن أحدد ماهيته، لكنه كان شبيهاً بصوت جر جسم ثقيل على الأرض، ثم سقط، فاهتزت لسقوطه الأبواب والنوافذ، واستجابت أبواب الطوابق السفلى ونوافذها، فراحت تتصافق. بعدها سمعتُ أطيط أحذية متلصصة، كانت تخبّ في الممرات جيئة وذهاباً، أو تصعد وتهبط السلالم.. وكانت تدنو من باب غرفتي، تهم به، وتنسحب.

وإضافة إلى كل هذه التحركات كانت أذناي تلتقطان قرقعة خافتة لسلاسل معدنية في الأروقة البعيدة، تعبر الممرات أو تصعد السلالم بتثاقل..، ولقد كان من السهل تمييز ركة السلسلة الفضفاضة، إذ كانت متّسقةً مع حركة صعود العفريت الذي يرتديها، الدرجة تلو الدرجة. سمعت كذلك همهماتٍ وصرخاتٍ مبحوحةً، وهفهفةَ ثياب رقيقة، ورفرفةَ أجنحة لا وجود لها، وشوشات وأنفاساً وغمغمات غامضة تنبعث جميعاً من حول السرير.

«يقيناً، لقد تم اجتياح غرفتي، وأنا لم أعد وحدي».

تطلعت إلى السقف: ثلاث كريات ضوئية ترتسم عليه. توهجتْ، حاولتِ التشبث بالسقف، لكنها سرعان ما تساقطت، ثنتان على وجهي، والثالثة على الوسادة.

باللاشعور خمنت أنها تحولت إلى بقع من دم، ولم أكن في حاجة إلى ضوء للتأكد من ذلك.

ومر زمن. صرت أرى وجوهاً شاحبة مضاءة على نحو خافت، وأيدياً بيضاءَ مرفوعة إلى أعلى، كائنات دون أجساد تسبح في الهواء؛ تجدِف جَذْفَةً، ثم تختفي. وإثر ذلك توقف كل شيء، الحركةُ واللغط والقعقعة، وران صمت وقور.

انتظرت. شعرت أني إما أن أحصل على ضوء أو أموت. كنت خائراً تماماً. حاولت أن أرفع نفسي قليلاً لأتخذ وضعية الجلوس، حاولت، نجحت..، لكن وجهي صار على تماس مع يد باردة، دبقة، فانكفأت على قفاي كما ينكفئ الرجل العاجز.

إلا أن تلك الرهبة لم تدم طويلاً، فهفهفة الثوب كانت تبتعد صوب الباب، وبدا لي أنه خرج. عاد السكون. شعرت بالغثيان. زحفت إلى المصباح زحفاً، وأشعلته بيد مرتجفة، كأن عمرها مائة عام. الضوء أعاد إليّ بعض معنوياتي. جلست. فكّرت بالبصمة التي شاهدتها على الرماد، نظرت إليها ثانية فوجدت أن معالمها قد بدأت تبهت وتضطرب. رفعت بصري إلى أعلى فإذا بالشعلة العريضة لمصباح الغاز قد أخذت تذوي ببطء،..

وفي تلك اللحظة سمعت خبطة الفيل إياها تقترب، الفيل يتقدم والمصباح يذوي، يتقدم أكثر، تذوي أكثر، حتى وصل باب غرفتي، بالذات، وعندئذ تلاشى ضوء المصباح، وأخذت آخر ذؤابة منه تتراقص وتتضاءل، وقد حال لونها إلى أزرق كئيب يصبغ ما حولي كله بحمرة طيفية.

لم يكن الباب قد فتح بعد، ومع ذلك شعرت بدفقة هواء خفيفة تدغدغ خدي، ثم أحسست بهالة ضبابية لـ (وجودٍ ما) في الغرفة.

راقبته بعينين مسحورتين: وميضٌ غامض يغطيه الآن، طياته المبهمة تتخذ شكلاً ما، ظهر له ذراعان، ثم ساقان، ثم تشكل الجسم وأطل من أعلاه وجه عظيم حزين. إنه الآن عار من الثياب الشفافة التي كان يَهِفّ بها في الممرات، مفتول العضلات، متسق التقاطيع. إنه صاحب الجلالة (كارديف **العملاق**).

تلاشت تعاستي الآن. إن **كارديف** لا يمكن أن يؤذي أحداً، الأطفال في بلادنا يعرفون هذا. المصباح تعاطف مع حالتي، ومع وجه **كارديف** فشعشع من جديد. لم يسبق لمتشرد منبوذ أن غمره مثل الفرح الذي غمرني وأنا أسلم على هذا العملاق الودود!

ـ كارديف العملاق، أهذا أنت، بالله عليك أنت أنت؟ أتدري، كدت أموت رعباً خلال الساعتين الماضيتين. إنني، بصدق، في غاية السعادة لمرآك. لو كان عندي كرسي.. «ياعيب الشوم». هه. ها هو.. لكن. حذار، لا تجلس عليه.. انتبه، لا تجـ..

سبق السيف العذل. جلس على الكرسي قبل أن أتمكن من منعه، فسقط مع الكرسي. يا حرام! لم أر في حياتي كرسياً يُهْرَسُ بهذه الفظاعة.

لكنه لم يكتف بذلك. صرخت به: **قف.. قف.. ستدمر كل شـ.. والسيف يسبق العذل مرة أخرى؛ كرسي آخر ينطحن في ثوان.**

ـ اللعنة على جلدك، قلت، أما عندك محاكمة عقلية أبداً؟ هل ستدمر باقي الأثاث؟ انتبه أيها الحجري الأحمق.

أصرخ، لكنه لم يزدجر، فكان مصير السرير مأساوياً للغاية.

ـ يا أخي أفهمني، أي أسلوب جهنمي تتبع في تعذيبي؟ في البدء



جئتني متثاقلاً، مقعقعاً بسلاسلك، تقود مسيرة من العفاريت المتشردة، فأرعبتمــــوني حتى الموت. ثم ألا يكفيك سكوتي عن قلة كياستك، وخصوصاً فيما يتعلق بملابسك التي تكشف عن عورتك؟ إن مثل هــذا اللباس لا يمكن أن يطاق حتى على المسارح؛ وحتى لو كان المتفرجون من جنسك. عيب عليك، عيب أن تكافئني بتدمير مفروشات غرفتي. لكن لماذا لا تفعل؟ لقد كسرت، مع الأثاث، عصعصك وتناثرت شظايا فخذيك على الأرض لتبدو غرفتي كأنها معرض للرخام. عيب، اخجل من نفسك؛ فأنت كبير بما يكفي لتفهم الأمور على نحو أفضل.

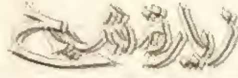
أجــابني والــدمع يسحّ من عينيه:

ـــ حسن حسن، لن أكسر لك المزيد من الأثاث. لكن ماذا بيدي؟ لم تسنح لي فرصة للجلوس منذ قرن.

قلت له:

ـ المعذرة أيها الشيطان البائس، ما كان يجب أن أكون فجّا معك إلى هذا الحد، فأنت لا شك يتيم! لكن الحق عليــك، لماذا لم تجلــس على الأرض. ألست تـــرى أنها الشيء الــوحيد الــذي يمكن أن يتحمل ثقلك؟ ثم إن حضرتنـــا لا تستطيع مؤانسة حضرتكم وأنتم مخيمون فوق حضرتنا هكــذا. لماذا لا تجلس على الأرض بينما أتعلّى أنا على هذا المقعد، ونبدأ بالسمر، ونحن متقابلان في الجلوس؟

جلس. دون أن يبدي اعتراضاً جلس. حشا الغليون الذي قدمته له وأشعله، ثم تناول إحدى بطانياتي الحمراء، ووضعها على كتفيه، وقلب



جرن الحمام، ووضعــه على رأسه، كــالخوذة، مــد رجليــه وصــالب كاحليه، وبذلك اتخذ وضعاً مريحاً.

جـددت النار في الموقـد ورحت أدفئ أسفل قدميه المخرمتين كأقراص الشمع.



سألته: **مـا بال كعبيك وطـرفي ساقيك من الخلف محفَّرة هكذا كأنما أخذت بالإزميل؟**

أجـــاب: إنها قـروح جهنميــة أصبت بها، فـامتـدت من كعبي إلى قفـــا رأسي، بينما كنـت ملقى على التراب هنـاك في نيــوويل. لكن هل تصدق؟ لقد أحببت ذلك المكان مثلما يحب المرء بيته القديم.. هنالك كنت أشعر بالأمن والاستقرار.

كان قد مضى على جلستنا حوالى نصف الساعة. قلت له:

ـــ الإرهـاق بـاد عليك. أأنت متعب؟

ـ أوه، حسناً، قد أكـون كذلك فعلا، لكن المهم، ما رأيك لو أقص عليك قصتي كـاملة؟ فأنت إنسـان كيِّس وقـد عـاملتني بطريقـة محترمـة جداً:

«يـا سيـــدي، أنــا روح ذلك التمثال الذي يرقد هناك في المتحف، كــارديف العمـلاق. أخــذت على عـــاتقي ألا أرقـد ولا أهجـع حتى يطمروه تحت التراب. لذلك قررت أن أرغـم النـــاس على تحقيق رغبتـي إرغاماً. وعليـه، صرت أرعبهم كلما سنحت لي فـرصــة لـذلك. سكنت المتحف زمناً طـويـلاً. وطلبت من أرواح أخـرى مسـاعـدتي، فلبت مشكورةً. بيد أن تلك الطريقة لم تُجْدِ نفعـــاً، لأن الأرواح، كما تعلم، لا تخرج نهاراً، وزوار المتحف لا يجيئون بعد منتصف الليل. إذ ذاك عنَّ لي أن أجتاز الشارع وأسكن هذه البناية مع ألف عفريت تقريباً. قلت لنفسي: إنْ ينتبه الناس لـوجودي هنا أنجح، وإلا فـلا. وهكـذا صرنـا نتجـول في القـاعـات العفنــة كل ليلـة، نجـر السلاســل ونرسل الأصـوات المبهمة والهمهمات، ونهرول على الســـلالم صعوداً وهبـوطا، حتى، وأصـدقك القول، تعبت.

ومـا كدت أخلـد للراحـة حتى شـاهدت ضوءًا ينبعث من غـرفتك هذه، فاستجمعت قواي واستأنفت العمل.

والآن، كما لاحظــت أنـــت، مـرهق، لا أدري ما أفعل. أرشـدني أرجوك، ساعدني أتوسل إليك».

قفــزت من مكـــاني منفعــلاً، صرخت به:

ـ تبا لك. لقد فعلت ما لا يخطر ببـال. لماذا؟ لماذا أيتهـا المستحـــاثـة الباليـة؟ هل حصلت على جدوى. بالطبـع كلا. أتظن أن هذا القــالب الجصي الذي ترتديه هو جسدك أنت وحــدك؟ إن كـــارديف العمـــلاق الحقيقي موجود في ألبانيا(١). حلت عليك اللعنــة، ألا تعـرف أين هي بقاياك؟

لم أر قط نظـرة تعبر عن الخجل والخزي بهذه البـلاغـة كتلك النظـرة التي ارتسمت على وجهــه. نهض. وبانكسارسألني:

ـــ أجـل، إنها الحقيقــة، لا يشبههـا سـوى حقيقـة أني جـالس أمامك.

أزاح الغليـون من فمه ووضعـه على رف الموقـد. توقـف لحظة، مـد يده إلى جيبـه ناسيـاً أنه دون ثيـاب. بعدها طأطأ رأسه، وقال:

ـ لم أكن سخيفاً قط كما أنا الآن.

إن الـرجـل الحجـري(٢) قـد بــاع الجميع، والآن، ويـا لــه من مخاتل وغـد، انتهى إلى ربيع روحـه. يـا ولـدي، أرجوك، إذا كـان عندك مـا يـزال بقية مـن إحسان تجاه روح بـلا أصدقاء مثلي، فلا تـدع هذه القصة تشيع بين النـــاس. ضـع نفسك مكاني، وتصور أنك قد صرت حماراً، فهل تحكي ذلك للناس؟

سمعت وقع خطــاه يتــلاشى رويـداً رويـداً، هابطاً السـلالم، ثم خـارجـاً إلى الشارع المقفـر. شعـرت بــالأسى لأنــه ذهب. لكن أســاي وحـزني كـانـا أكبر لأنــه أخـذ معـه بطانيتي الحمراء، وجرن الحمام.

(★) (مترجمة عن مجموعته القصصية الكاملة١٩٨٨)

الهوامش

(١) حقيقة: لقـد صُنِعَتْ نسخة مـزيفة من تمثال كارديف العملاق، ببراعة فائقة، وعُرضت في متحف نيويورك، وقد ادعى صانعوها أنها النسخة الأصلية لكارديف العملاق. أما الأصلية فموجودة في ألبانيا، ويؤمها اليوم أناس كثيرون. (المؤلف).

(٢) يقصــد كــارديف العمــلاق الأصلي. (المترجم).



مشاهير قضاة الإسلام

ا

أبو إسحاق :

إسماعيل القاضي الإمام شيخ الإسلام الحافظ أبو إسحاق بن إسحاق بن إسماعيل محدث البصرة حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي صاحب التصانيف شيخ المالكية بالعراق وعالمهم. شرح مذهب مالك واحتج له.

قال عنه المبرّد: إسماعيل القاضي أعلم مني بالتصريف ولد سنة ١٩٩ وتوفي ٢٨٢هـ.

أبو شُبْرُمُة الكوفي :

هو عبد الله بن شبرمة بن حسّان بن المنذر بن ضرار بن عمرو بن مالك بن زيد بن كعب بن بجالة أبو شبرمة الكوفي. ولد سنة ٧٢هـ ومات سنة ١٤٤هـ. قال عنه النسائي: كان ثقة، عفيفاً، حازما، عاقلا، فقيهاً، شاعراً، حسن الخلق، جواداً، أسرع الناس جواباً، وورعاً.

ابن أبي ليلى :

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، قاض، فقيه، من أصحاب الرأي، ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية ثم لبنى العباس. واستمر ثلاثا وثلاثين سنة، له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره. وكان مولاه ولد عام ٧٤هـ وتوفي بالكوفة عام ١٤٨هـ.

الأزدي القاضي :

الحافظ القاضي الإمام أبو زكريا يزيد بن محمد بن إياب الموصلي. صاحب «تاريخ الموصل» وقاضيها. ويعرف بابن زكره.

سمع من ابن جميع. مات سنة ٣٣٤هـ.

إياس :

هو إياس بن معاوية بن قُرَّة المُزَني أبو واثلة، قاضي البصرة، ولد عام ٤٦هـ في البصرة، وتوفي في واسط عام ١٢٢هـ، وهو أحد أعلام الدهر في الفطنة والذكاء. يضرب المثل بذكائه «فيقال أذكى من إياس» ـ قال الجاحظ عنه: إياس من مفاخر مُضر ومن مقدمي القضاة، كان صادق الحدس، نقّاباً، عجيب الفراسة، ملهماً وجيهاً عند الخلفاء ـ وللمدائني كتاب سمّاه «ذكاء إياس».

الأيجي القاضي :

عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار قاضي قضاة المشرق وشيخ العلماء والشافعية بتلك البلاد الأيجي الشيرازي ولد سنة ٧٠٨هـ.

شرح مختصر ابن الحاجب، وكان إمامًا في علوم متعددة مدققًا ذا تصانيف مشهورة منها (المواقف والجواهر) وغيرها في علم الكلام والبيان. توفي مسجونا بقلعة بقرب (ايج) سنة ٧٥٣هـ.

ب

البرقي القاضي :

البرقي القاضي العلامة أبو بالعباس أحمد بن عيسى الفقيه الحافظ ولد قبل المائتين وولي قضاء بغداد، ثقة، ثبت، حجة، مذكور بالصلاح والعبادة له مسند أبي هريرة. مات في ذي الحجة سنة ٢٨٠ هـ.

بشر بن الوليد الكندي :

هو بشر بن الوليد الكندي، أحد الذين ولوا القضاء ببغداد في عهد الخليفة المأمون. لم يعرف تاريخ ولادته، ولكنه توفي في بغداد عام ٢٣٨هـ ودفن في مقابر باب الشام. كان من أصحاب أبي يوسف، وممن أخذ عنه الفقه. كان جميل المذهب، حسن الطريقة. ولي قضاء عسكر المهدي بالجانب الشرقي من بغداد سنة ٢٠٨هـ، ثم قضاء مدينة المنصور سنة ٢١٠هـ، وظل قاضيا فيها حتى عزل عام ٢١٣هـ. كان علماً من أعلام المسلمين، وكان متديناً، حسناً في الحكم يمتاز بسعة الفقه والورع، وكان من المقدمين عند أصحاب أبي يوسف.

بكار بن قتيبة :

هو بكار بن قتيبة بن عبد الله بن أسد بن أبي بردعة، ينتهي نسبه إلى أبي بكرة الثقفي مولى رسول الله ﷺ. ولد في البصرة سنة ١٨٢هـ وتوفي في القاهرة سنة ٢٧٠هـ. وقد ولاّه المتوكل قضاء مصر في جمادى الآخرة سنة ٢٤٦هـ. وهو أحد الأئمة الأعلام. كان فقيهاً، عالماً، محدّثا، صالحاً، ورعاً، عفيفاً، ثقة، مات وهو أعلم أهل زمانه بالديار المصرية.

ح

الحارثي القاضي :

الشيخ الإمام الفقيه الحافظ المتقن قاضي القضاة سعد الدين أبو محمد

مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد العراقي ثم المصري الحنبلي .

ولد سنة ٦٥٢هـ وكان عارفاً بمذهبه ثقة متقنا شرح بعض سنن أبي داوود .

مات في ذي الحجة سنة ٧١١هـ .

حجاج بن أرطاة القاضي :

حجاج بن أرطاة بن ثور بن هبيرة أبو أرطاة النخع الكوفي القاضي .

قال العجلي : كان فقيها ، وكان أحد مفتي الكوفة ، وولي قضاء البصرة .

قال أحمد بن حنبل : كان من الحفاظ .

وقال الخطيب : كان أحد العلماء بالحديث ، والحفاظ له ، مات بخراسان مع المهدي وقيل مات بالرَّيِّ .

حفص بن غياث :

هو حفص بن غياث بن طلق بن معاوية النخعي الأزدي الكوفي . ولد في الكوفة عام ١١٧هـ وتوفي بها في ١٩٤هـ - ولي القضاء ببغداد الشرقية لها رون الرشيد . ثم ولاّه قضاء الكوفة . كان من الفقهاء حفاظ الحديث الثقات ، حدَّث بثلاثة أو أربعة آلاف حديث من حفظه ، وله كتاب فيه نحو ١٧٠ حديثا من روايته - وهو صاحب أبي حنيفة ويذكره الإمامية في رجالهم . توفي بالمدينة .

خ

الخليل القاضي :

الحافظ الإمام أبو يعلى الخليل بن عبد الله بن أحمد القزويني . مصنف كتاب «الإرشاد في معرفة المحدثين» وكان ثقة حافظا عارفا بكثير من علل الحديث ورجاله ، عالي الإسناد ، كبير القدر .

ر

ربيعة الرأي :

هو ربيعة بن فرّوخ التيمي بالولاء ، المدني . أبو عثمان ، إمام ، حافظ ، فقيه ، مجتهد . لم يعرف تاريخ ولادته ، ولكنه توفي عام ١٣٦هـ . وكان بصيراً بالرأي - وأصحاب الرأي عند أهل الحديث هم أصحاب القياس لأنهم يقولون برأيهم فيما لم يجدوا فيه حديثاً أو أثراً - ، فلقِّب (ربيعة الرأي) . وكان من الأجواد . قال ابن الماجوش عنه : ما رأيت أحداً أحفظ لسُنَّة من ربيعة . وكان صاحب الفتوى بالمدينة وبه تفقّه الإمام مالك . تولى القضاء في المدينة ، وكان من أشهر القضاة . توفي بالهاشمية من أرض الأنبار عام ١٣٦هـ .

س

ابن سريح القاضي :

الإمام العلامة شيخ الإسلام أحمد بن عمر بن سريح البغدادي قدوة الشافعية . قال الذهبي : رأيت له تصانيف «يُحتج فيها بالأحاديث ويطرفها عمل من يفهم هذا الشأن . وأما الفقه فهو حامل لوائه .

مات في جمادى الأولى سنة ٣٠٦هـ عن سبع وخمسين سنة . وله أربعمائة مصنف .

سوار عبد الله القاضي :

هو سوار بن عبد الله التميمي العنزي البصري القاضي ، ولد سنة ١٨٢هـ ، وتولى قضاء الرصافة ببغداد وهو الجانب الشرقي من مدينة السلام عام ٢٣٧هـ ، وظل على قضائها حتى توفي في شوال سنة ٢٤٥هـ

ش

شُريح القاضي :

هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي ، أبو أمية : من أشهر القضاة الفقهاء في صدر الإسلام ، أصله من اليمن ، ولي قضاء الكوفة في زمن عمر وعثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم واستعفى في أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧هـ . كان ثقة في الحديث ، مأموناً في القضاء ، له باع في الأدب والشعر . وعمّر طويلاً ، مات بالكوفة سنة ٧٨هـ ، ولم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته .

شريك القاضي :

هو شريك بن عبد الله بن الحارث النخعيّ الكوفي القاضي . ولد ببخارى عام ٩٥هـ . كان عالماً بالحديث ، فقيهاً ، اشتهر بقوة ذكائه وسرعة بديهته . استقضاه المنصور العباسي على الكوفة سنة ١٥٣هـ ، ثم عزله وأعاده المهدي وعزله الهادي ، وكان عادلاً في قضائه . توفي بالكوفة عام ١٧٧هـ .

ع

عافية القاضي :

هو عافية بن يزيد بن قيس بن عافية القاضي الأودي الكوفي . قال عنه النسائي : ثقة . وقال عنه أبو جعفر الطبري : استقضى المهدي ابن علاثة وعافية الأودي سنة ٦١هـ فكانا يقضيان في عسكرالمهدي . وقيل رُفع إليه عند الرشيد فأحضره ، وقيل عطس عنده الرشيد فشمته الحضور كلهم إلا عافية القاضي ، فسأله الرشيد عن ذلك فقال : إنك لم تحمد الله ، فقال الرشيد : ارجع إلى عملك أنت لم تسامح في عطسة ، هل تسامح في غيرها؟ وزجر القوم الذين رفعوا عليه .

ابن العربي القاضي :

العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الأشبيلي ولد سنة ٤٦٨هـ .

جمع وصنف ، وبرع في الأدب والبلاغة ، وبَعُدَ صيته وكان متبحرًا في العلم ثاقب الذهن ، موطأ الأكناف كريم الشمائل .

ولّي قضاء أشبيلية فكان ذا شدة وسطوة ، ثم عُزِلَ فأقبل على التأليف ونشر العلم وبلغ رتبة الاجتهاد .

صنف في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ .

توفي بمدينة فاس بالمغرب سنة ٥٤٣هـ .

العز بن جماعة القاضي :

الحافظ الإمام قاضي القضاة عز الدين أبو عمر عبد العزيز بن قاضي القضاة بدر الدين بن سعد الله بن جماعة الكتاني الحموي الأصل الدمشقي

المولد ثم المصري الشافعي . ولد سنة ٦٩٤هـ ، وصنف تخريج أحاديث الرافعي (والمناسك الكبرى والصغرى) وولّي قضاء الديار المصرية ، أثنى عليه الأسنوي في الطبقات . مات بمكة المكرمة سنة ٧٦٧هـ .

ف

ابن فرحون القاضي :

برهان الدين أبو الوفاء إبراهيم بن نور الدين أبي الحسن بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن اليعمري المدني المالكي .

ولد بالمدينة الشريفة سنة ٧٠٧هـ ، ونشأ بها ، وتفقه وبرع وصنف وحدث وولّي قضاء المالكية بالمدينة المنورة ، وكانت وفاته سنة ٧٩٩هـ ودفن بالبقيع .

ابن فُطَيْس القاضي :

الحافظ الثبت العلامة قاضي الجماعة أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس بن أصبغ القرطبي . كان من جهابذة الحديث ، عارفا بالرجال ، أملىٰ من حفظه . صنّف «فضائل الصحابة» و «أسباب النزول» و«الناسخ والمنسوخ» و«الأخوة» . ولد سنة ٣٤٨هـ ومات سنة ٤٠٠ من ذي القعدة .

ك

كعب بن سور :

هو كعب بن سور بن بكر الأزدي . تابعي من الأعيان المتقدمين في صدر الإسلام . بعثه عمر رضي الله عنه قاضياً لأهل البصرة ، وعاملاً عليها ، وأقرّه عثمان رضي الله عنه . فقام إلى أن كانت وقعة الجمل ، فاعتزل الفتنة ، فقيل لعائشة : إن خرج معك كعب لم يتخلف من الأزد أحد ـ فركبت إليه فكلمته ، فأخذ مصحفه ونشره ، وخرج بين الصفين يذكر الفريقين ويدعوهم إلى السلام ، والقتال ناشب ، فجاءه سهم فقتله ، وكان ذلك عام ٣٦هـ .

م

المحَامِلِيُّ :

القاضي الإمام العلامة الحافظ شيخ بغداد ومحدثها أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي البغدادي . ولد سنة ٢٣٥هـ . وكان فاضلا دينا صدوقا ، ولي قضاء الكوفة ستين سنة ، ثم استعفى ، وكان يحضر بمجلسه عشرة آلاف رجل ، مات في ربيع الآخر سنة ٣٣٠ هـ .

محمد بن سماعة القاضي :

محمد بن سماعة عبد الله بن هلال بن وكيع بن بشر أبو عبد الله القاضي الحنفي التيمي . ولد سنة ١٣٣هـ . كان إمامًا عالمًا بارعًا صالحًا ، صاحب اختيارات وأقوال في المذهب ، وله المصنفات الحسان وهو من الحفاظ الثقات ، ولّي القضاء وحمدت سيرته ، ولم يزل به إلى أن ضعف نظره واستعفى ، وكان يصلي كل يوم مائتي ركعة .

قال : مكثت أربعين سنة لم تَفُتْني التكبيرة الأولى في جماعة إلا يومًا واحدًا ماتت فيه أمي ففاتتني صلاة واحدة . وتوفي سنة ٢٣٣هـ .

موسى بن إسحاق القاضي :

الإمام الحافظ ، أبو بكر الأنصاري الخطمي الفقيه الشافعي . قاضي نيسابور ثم الأهواز ، آخر من قرأ القرآن على «قالون» من جملة العلماء .

قال ابن أبي حاتم : فقيه صدوق .

وقال ابن حامد : فصيح ، كثير السماع ، مجوِّد . أقرأ الناس القرآن وله ثمان عشرة سنة . مات بالأهواز عام ٢٩٧هـ .

و

وكيع القاضي :

محمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد الضبي أبو بكر المعروف بوكيع القاضي ، كان يتقلد القضاء على كور والأهواز، له من الكتب :

غرر الأخبار في أخبار القضاة ، كتاب الأنوار، كتاب التصرف والسّكة ، كتاب الرمي والنصال ، كتاب الشريف ، كتاب الطريق ، كتاب عدد آي القرآن والاختلاف فيه ، كتاب المسافر، المكاييل والموازين .

توفي في بغداد سنة ٣٠٦هـ .

ي

يحيى بن أكثم القاضي :

هو يحيى بن أكثم ، ينتسب إلى أكثم بن صيفي الحكيم المشهور، أصله من بني تميم ، ولد بمرو، وسمع شيوخها ، وتتلمذ عليهم ومن أشهرهم عبد الله بن المبارك . وكان ذا حس أدبي ومعرفة بالشعر قرضاً واستشهاداً واطلاعا . وتولى قضاء البصرة وعمره عشرون عاماً ـ وكان من الذين ثبتوا في قولهم بأن القرآن كلام الله وهو غير مخلوق ، عزله المأمون عن القضاء عام ٢١٧هـ ، ثم ولاّه المتوكل القضاء عام ٢٣٧هـ بعد أن أنهى فتنة خلق القرآن ، ثم عزله عن القضاء عام ٢٤٠هـ .

يعقوب بن إبراهيم القاضي :

أبو يوسف القاضي ، يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي ، الإمام العلامة ، فقيه العراقيين صاحب أبي حنيفة . ولد سنة ١١٣هـ .

قال عنه المزني : أبو يوسف أتبع القوم للحديث . وقال ابن معين : ليس في أصحاب الرأي أحد أكثر حديثاً ولا أثبت منه . وقال أحمد : كان أبو يوسف منصفا في الحديث .

توفي في ربيع الآخر سنة ١٨٢ هـ عن تسع وستين سنة .

يوسف القاضي :

هو الإمام الحافظ أبو محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن زيد البصري ثم البغدادي صاحب «السنن» .

ولد سنة ٢٨٠هـ وطلب العلم صغيرا ، وكان ثقة ، صالحا عفيفا ، مهيبا ، سديد الأحكام ، ولي قضاء البصرة وواسط ومات في رمضان سنة ٢٩٧هـ .

● أجوبة مسابقة العدد (١٧٤) ●

ج١ : الأعضاء الجدد الذين ضُمو إلى مجمع اللغة العربية بالقاهـرة هم : د. عبد الهادي التازي (المغرب)، د. إبراهيم السامرائي (العراق)، سعيد الأفغاني (سورية)، على رجب المدني (ليبيا)، منير البعلبكي (لبنان).

أما الصحافي المعروف الذي ضم إلى المجمع قبل ذلك فهو مصطفى أمين.

ج ٢ : الفائزون بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي لعام ١٤١١هـ هم : الأستاذ أحمد محمود نجيب (مصر)، الأستاذ عبد التواب يوسف أحمد (مصر)، والأستاذ علي عبد القادر الصقلي (المغرب).

أما الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام فهو د. عبد الله عمر نصيف (السعودية)، وقد تم حجب الجوائز في مجالات الدراسات الإسلامية، والطب، والعلوم، لأن الأعمال المقدمة لنيلها لم ترق إلى مستوى الجوائز.



ج ٣ : الصورة لميدان البرلمان في مدينة لندن، والساعة هي بج بن الشهيرة.

ج٤ : هي وكالة يونيتد برس انترناشيونال، و قد تأسست قبل ٤٨ عاماً.

ج ٥ : هو ضياء الدين أبـو محمد عبد الله بن أحمد المالقي، ويلقب بـالنباتي والعشّاب، ويعرف بابن البيطار. ولد ــ تقديراً ـ سنـة ٥٩٣هـ في مالقة بالأنـدلس ، وتوفي في دمشق سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م.

تتلمذ على يدي والده ـ الذي كان بيطرياً ـ وأستاذه أبي العباس النباتي، وغلب عليه الاهتمام بعلم النبات حتى نسب إليه فسمي النباتي والعشّاب، وأصبح علماً من أعلامه لما قـام به من أسفار إلى بلاد العالم الإسلامي لدراسة النباتات في بيئاتها.

من أشهر كتبه «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» وهو من أعظم ما أُلِّف في علم الأغذية في التراث العربي الإسـلامي، وصف فيه ابن البيطـار أكثر من ١٤٠٠ مادة غذائيـة ودوائية معاً، مستفيداً من تجارب من سبقه من الأطباء أمثال ديسقوريدس، وجالينوس، والرازي، وابن سينا، وابن جلجل، وغيرهم إضافة إلى تجاربه الخاصة، إلا أنه لم يكن يأخذ ما ينقل على علاّته، بل كان يصحح وينقح ما ينقله مستعيناً بإجراء التجارب العملية.

١ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلـوب :

الإجابـة على جميع الأسئلة، وإرفاق الإجابـات مع قسيمة العدد الخاصـة بالمسـابقة مـوضحـاً عليهـا الاسم ثلاثياً أو ربـاعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنـوان بـوضـوح لضمان وصـول قيمـة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة مجلة «الفيصل»
ص. ب ٣ الرياض ١١٤١١ المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) مـن صدور العدد لا يلتفت إليها.

د ـ من حق القـارئ أن يشترك باسمـه في المسابقـة الواحدة أكثـر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسـابقة مع كل رسالة.

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلـة مأخـوذة من الموضـوعـات المنشورة بالمجلة.

٢ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً.

ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال.

جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً.

د ـ سبع جوائز قيمة كل منها ٢٠٠ ريال سعودي.

هـ ـ عشر جوائز كـل منها اشتراك مجاني لكل فـائز لمدة عـام في مجلـة «الفيصل».

● نتائج مسابقة العدد (١٧٤) ●

● فاز بالجائزة الأولى، وقيمتها (٧٥٠) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ **صالح محمد عبد القادر** ـ مكة المكرمة ـ **المملكة العربية السعودية**.

● وفاز بالجائزة الثانية، وقيمتها (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي، الأخ **سيدي يخلف رجب** ـ وهران ـ **الجزائر**.

● وفازت بالجائزة الثالثة، وقيمتها (٣٥٠) ثلاثمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخت **فريدة أحمد الأمين** ـ ود مدني ـ **السودان**.

□ □ □

● وهناك سبع جوائز مالية قدر كل جائزة منها (٢٠٠) **مائتا ريال سعودي**، فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من **الإمارات العربية المتحدة**، دبي، الأخت **صالحة نصيب حمد عبد الله**.

من **سورية**، حلب، الأخ **محمود عبد اللطيف الجيسي**.

من **مصر**، القليوبية، الأخت **عفاف محمد مرسي سالم**.

من **المملكة العربية السعودية**، الأحساء، الأخ **محمد عبد الله أحمد البراهيم**.

من **المغرب**، الدار البيضاء، الأخت **فاطمة كرامي**.

من **تونس**، صفاقس، الأخ **عبد الحفيظ بن محمد المجاهدي**.

من **الأردن**، شفا بدران، الأخت **منال ممدوح الصالح**.

□ □ □

● إلى جانب عشر جوائز أخرى كل منها اشتراك مجاني لمدة عام (١٢ عدداً) في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات التالية أسماؤهم:

من **المملكة العربية السعودية**، الأحساء، الأخ **يحيى علي حسن الغانم**.

من **المغرب**، خنيفرة، الأخ **أحمحام عزيز**.

من **الأردن**، عمّان، الأخت **منال أمين مصطفى محمود**.

من **الجزائر**، قسنطينة، الأخ **فعطيط حسين بن رابح بن بوزيد**.

من **مصر**، طنطا، الأخت **نشوى السيد حامد علي**.

من **المملكة العربية السعودية**، المدينة المنورة، الأخ **عبد الله مرزوق السهلي**.

من **الهند**، دلهي، الأخت **طلعت ريحان**

من **تونس**، جربة، الأخ **الحبيب محمود مامي**.

من **السودان**، ود مدني، الأخت **حنان محمد الحاج**.

من **المملكة العربية السعودية**، مكة المكرمة، الأخ **علي عويد مغرق المطرفي**.

مع تمنياتنا بحظ أوفر للإخوة والأخوات المشتركين في المسابقات القادمة.

● أسئلة مسابقة العدد (١٨١) ●

● **السؤال الأول**:

اذكر أسماء أربع مدن نشرت عنها المجلة في باب «**أماكن لها تاريخ**».

● **السؤال الثاني**:

في «**حوار الخطوط المتوازية**» دعت «**الفيصل**» بعض الأدباء والمفكرين للتحاور على صفحاتها حول قضية ما. اذكر أسماء ثمانية من هؤلاء المتحاورين.

● السؤال الثالث:

فتحت «**الفيصل**» نافذة جديدة يطل منها الكتّاب ليروي كل منهم تجربته، سواء كانت شعراً أم نثراً تحت عنوان «**تجربتي مع**» أو «**من تجاربهم**». اذكر أسماء عشرة من أصحاب هذه التجارب.

● **السؤال الرابع**:

إذا كان للثقافة والأدب مكانها على صفحات «**الفيصل**»، فإن لغرائب الطبيعة والمخلوقات مكانها كذلك. وكان باب «**حقائق وغرائب**» هو النافذة التي يطل منها القارئ على هذه الغرائب. اذكر عناوين ثمانية موضوعات نشرت ضمن هذا الباب.

● السؤال الخامس:

أنشأت «**الفيصل**» باب «**دائرة المعارف**» لكي يطلع القارئ من خلاله على علم من العلوم أو حياة فئة من العلماء والمفكرين والشعراء مرتبة وفق التسلسل الهجائي للحروف. اذكر عناوين ست حلقات نشرتها المجلة.

ملحوظة: يمكن الاستعانة بأعداد المجلة للسنة الماضية (من ١٦٩ إلى ١٨٠) للإجابة عن أسئلة هذا العدد، حيث إنها تركز على بعض أبواب المجلة التي نشرت خلال تلك السنة.

كتب وردت إلى المجلة

عبد الله بلخير : شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية

تأليف الأستاذ **محمود ردّاوي**.

يبدأ الكتاب بتعريف للشاعر ثم تمهيد فمدخل إلى عالمه الشعري، ويتكوّن الجزء الرئيسي من الكتاب من قسمين، يتحدث القسم الأول عن الأغراض التي تناولها الشاعر كالمديح والفخر، ويأخذ القسم الثاني صبغة نقدية فيتحدث عن الوحدة الموضوعية في قصائده والرسم الفني، ثم تأتي الخاتمة ويليها ما قيل في الشاعر من معاصريه. يقع الكتاب في ٢٦٠ صفحة من القطع المتوسط، وناشره هو الأستاذ **عبد المقصود خوجة بجدة**.

أمن الديرة

تأليف الأستاذ **صلاح بن عبد العزيز بن محمد الشعيبي**. يضم الكتاب مجموعة مقالات في مجال الإصلاح الاجتماعي تناولت جانب السلوك البشري وأثره السلبي والإيجابي في تطور المجتمع وأمنه. طبع الكتاب **بالمطابع الأمنية بدار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض**. ويقع في ١٣٨ صفحة من القطع الصغير.

إلى الدُّعاة
(الجزءان الأول والثاني)

من تأليف الأستاذ **محمود شاكر**.

الكتاب، كما يتضح من عنوانه، موجّه إلى الدُّعاة إلى دين الله فيطرح أمامهم — في الجزء الأول — نظرة المسلمين إلى غيرهم، ونظرتهم إلى المنحرفين منهم، فضلاً عن واقع المسلمين الاجتماعي والاقتصادي والفكري والسياسي مع خاتمة تسبقها صفحات بعنوان «**الدُّعاة**»، وفي الجزء الثاني يتحدث المؤلف عن التنظيمات العشوائية المتطرفة بادعاءاتها ثم يطرح البدائل ويزجي النُّصح. يقع الجزءان في ١٤٤ صفحة بالفهارس من القطع الصغير وصدر عن **المكتب الإسلامي**.

من خصائص الإعلام الإسلامي

تأليف الأستاذ **محمد خير رمضان يوسف**. يحوي الكتاب دراسة حول سمات الإعلام الإسلامي ومنطلقاته وجوانبه الفريدة التي تميزه من غيره من الإعلام الوضعي. صدر الكتاب ضمن سلسلة (**دعوة الحق**) التي تصدرها **رابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة ويقع في ١٩٠ صفحة من القطع الصغير.

أسلوب جديد في حرب الإسلام

تأليف الأستاذ **جمعان عائض الزهراني**. يضم الكتاب بحثًا عن الحداثة ومفهومها ودورها كحركة موجهة ضد الإسلام، وقد تركز البحث على دراسة آراء أدونيس وأشعاره. صدر الكتاب ضمن سلسلة «**دعوة الحق**» التي تصدرها **رابطة العالم الإسلامي** بمكة المكرمة، ويقع في ١٢٨ صفحة من القطع الصغير.

دليل مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي

صدر الدليل عن **معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة**، ويتناول التعريف بالمطبوعات التي صدرت عن المعهد ومراكزه المختلفة. وبالإضافة إلى التبويب الموضوعي للدليل فإنه يضم فهارس للعناوين والمؤلفين حسب الترتيب الهجائي. يقع الكتاب في ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط.

العلم والقيم الإنسانية

تأليف العالم الرياضي والأديب **ج. برونوسكي** وترجمة الدكتور**عدنان خالد**. يتحدث الكتاب عن **القيمة الإنسانية للعلم** باعتباره جزءًا لا يتجزأ من ثقافة العصر، شأنه في ذلك شأن جميع الآداب والفنون حيث السمات مشتركة وعنصر الإبداع متشابه. صدر الكتاب عن **دار المأمون للترجمة والنشر** ببغداد ـ العراق، ويقع في ٢٠٨ صفحات من القطع المتوسط.

الشخصية الروائية عند محمود تيمور بين النظرية والتطبيق

تأليف الأستاذ **حمدي حسين**. يضم الكتاب دراسة تناولت **عنصر الشخصية الروائية عند محمود تيمور**، وذلك من خلال مقارنة آرائه النظرية ونقده التطبيقي واستعراض أعماله الروائية. صدر الكتاب عن **دار الثقافة للنشر والتوزيع** بالقاهرة ويقع في ٢٦٨ صفحة من القطع المتوسط.

نظرات في الأدب والنقد

صدر الكتاب ضمن سلسلة «**كتاب العربي**» التي تصدر عن **مجلة العربي**، ويضم منتخبات متنوعة من الإنتاج الأدبي للأستاذ **عبد الرزاق البصير**، اشتملت على موضوعات في اللغة العربية ومقالات نقدية في الشعر ولمحات من **أدب الخليج** إضافة إلى مقالات أخرى متفرقة يقع الكتاب في ٢٠٨ صفحات من القطع الصغير.

إيقاعات

شعر الأستاذ **عبد الله الحميد**، وتمثل مجموعته الشعرية الثالثة. يقول في مقدمة الديوان: «لن أزعم أنني وصلت إلى مرحلة الرّضى الكامل والقناعة المطلقة بأعمالي الشعرية».

المجموعة تضم ثماني عشرة قصيدة في ١٠٧ صفحات من الحجم المتوسط.

مدى تجاوب المواطنين السعوديين مع قضايا سياسات الرعاية الاجتماعية في قطاعات الصحة والتعليم والشؤون الاجتماعية

الكتاب — كما هو واضح من العنوان ـ عملٌ بحثي قام بإعداده الدكتور **مختار إبراهيم عجوبة**، وأصدره **مركز البحوث بكلية الآداب في جامعة الملك سعود** بالرياض.

الدراسة تبدأ بعرض تاريخي لمسيرة التنمية وتأثيراتها على برامج الرعاية الاجتماعية و أجهزتها الإدارية في المملكة العربية السعودية، وتنتهي بالنتائج والتوصيات.

يقع الكتاب في ١٦١ صفحة من القطع المتوسط.



● **الأخ حمدي زماكة ـ الجيزة ـ مصر:**

سعدنا بتلقي ملاحظاتك القيمة، ونشكرك على إتاحة الفرصة لإيضاح سبب تأخر نشر مواد باب «مناقشات وتعليقات». فكثيرا ما ترد إلينا تعليقات ذات مضمون جيد على موضوعات نشرت من قبل في المجلة، لكنها ترد متأخرة خاصة من خارج المملكة العربية السعودية، وعند نشرها يحدث التباعد بين تاريخ نشر الموضوعات وتاريخ نشر التعليق. أما المسابقة فنحن نعيد النظر فيها، وما أشرتم إليه مأخوذ في الاعتبار. وشكرا لك.

● **الأخ صالحي سلامي ـ الجزائر:**

بإمكانكم الكتابة مباشرة إلى رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة أو إلى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في الرياض لتحقيق رغبتكم، مع تقديرنا لحسن ظنكم بنا، وشكرا.

● **الأخ خالد حمزة المدني ـ ليلى ـ الأفلاج:**

شكرا جزيلا على الملاحظة التي وردت في رسالتكم، وقد أبلغناها الزميل المختص. أما «العتاب» فهو في محله، وكل ما نرجوه منك هو استمرار التواصل بيننا. أما استفساركم الذي جاء في آخر الرسالة فالإجابة عنه تجدونها ضمن رد آخر في هذا الباب.

● **الإخوة والأخوات: سيف الخالد الوهابي ـ جاكرتا ـ أندونيسيا، سالم بن رحومة ـ قصور الساف ـ تونس، حسن مرسي محمود ومحمد عبدالوهاب نور ـ مصر، بوغمو رابح وساوري نعيمة وتوفيق الثهري وعبد الفتاح والسعيداني عبد الحق وطالب ميلود بن السعيد ـ الجزائر:**

طلباتكم أحيلت إلى القسم المختص للنظر فيها، وسيتم إشعاركم بالنتيجة في وقت لاحق إن شاء الله. مع شكرنا على اهتمامكم بالمجلة ومتابعتكم لها. وبالنسبة للأخ محمد عبد الوهاب نور، فعلاوة على ما سبق نرجو منه الاطلاع على رد آخر في هذا الباب حول مجلدات مجلة «الفيصل» للسنوات السابقة، وشكرا.

● **الإخوة: عبد العزيز محمد السالم ـ الرياض، بوراس السعيد وياسين بن ساهل وعباس جمال ـ الجزائر:**

طلباتكم وعناوينكم أحيلت إلى قسم الاشتراكات، أما قيمة الاشتراك السنوي (بالريال السعودي أو ما يعادله) وكيفيته فموضحة في ص ٤

أما الأخ عباس جمال فسنجيب ـ إن شاء الله ـ عن أسئلته الأخرى في أحد الأعداد القادمة في باب آخر في المجلة وشكراً للجميع.

● **الإخوة: سراج الدين محمد عوض ـ مكة المكرمة، وعبد الله أحمد العيدروس ـ المدينة المنورة، وخالد حمزة المدني ـ الأفلاج:**

نأمل أن يكون الزميل المختص قد اتصل بكم ـ يا أخ سراج الدين ـ بشأن مجلدات «الفيصل» كما نأمل من الأخوين عبد الله وخالد التكرم بالاتصال بالمجلة للغرض نفسه أو تزويدنا برقمي هاتفيهما. أما قراؤنا الكرام من خارج السعودية الذين يرغبون في شراء هذه المجلدات فسوف نوضح لهم في إعلان قادم ما يهمهم بهذا الخصوص.

● **الأخ إيهاب فاروق محمد أحمد ـ القاهرة ـ مصر:**

لا يا أخانا الكريم، ليس صحيحاً أنه لا يُسمح لك بالكتابة في المجلة لأنك لست دكتوراً ولا أستاذاً جامعياً، فنحن نرحب بك وبأمثالك ممن وصفتهم حقاً بـ «الشباب المسلم» فالمجلة تَسَعُ الجميع، كتّاباً معروفين وغير معروفين، جامعيين وغير جامعيين. ولعل الأعداد القادمة تؤكد هذا أكثر إن شاء الله.

● **الأخ إبراهيم حمديله يوسف ـ حلفا الجديدة ـ السودان:**

ملاحظاتك هامة ونشكرك عليها، ونطمئنك بأنها موضع اهتمام وعناية. وما نرجوه منك ومن قرائنا الكرام أن يمنحونا وقتاً كافياً لننظر في جميع الملاحظات لتطوير الإيجابيات وتلافي السلبيات، سواء أكان يخص التوزيع والاشتراكات أم التحرير والإخراج.

● **الأخ عبد الله ناصر العويِّد ـ الهفوف ـ الأحساء:**

المشرف على التحرير يشكرك على التهنئة وعلى البطاقة التي أرسلتها له. أما الموضوعات التي سبق أن أرسلتها إلينا فسيتم إبلاغك بما جرى بشأنها بإذن الله.

● **الأخ عبد الغني عبد الهادي ـ عمّان ـ الأردن:**

نرحب بإسهامك الذي تود المشاركة به، وبإمكانك إرسال المادة متى شئت، وسنبلغك برأينا فيها بعد استلامها إن شاء الله.

□ □ □

شكر وإيضاح

تشكر مجلة **«الفيصل»** قراءها الكرام على اهتمامهم بها ومتابعتهم لها، وتُزجي شكرًا خاصًا للإخوة والأخوات الذين استجابوا لدعوة المجلة التي نُشرت في العدد ١٧٨ على شكل استبانة، شملت مجموعة من الأسئلة التي كان القصد منها التعرف على آراء القراء ومقترحاتهم في مختلف المجالات: التحرير والإخراج والطباعة والتوزيع.

ونظرًا للتجاوب الكبير الذي لقيته هذه الدعوة من مختلف أرجاء العالم العربي والإسلامي، ولتعدد الآراء والمقترحات وتنوعها وشمولها، لدرجة أن كثيرًا من القراء تجاوزوا المساحة المحددة للإجابات وكتبوا في صفحات مستقلة، نود أن نوضح بأن جميع الرسائل التي وردت إلينا في هذا المجال ـ ولا تزال ترد ـ تحظى باهتمام يليق بتجاوب القراء، ويتم حاليا استخلاص المعلومات التي تضمنتها الإجابات وتنظيمها وتحليلها، للاستفادة منها لأقصى درجة.

وترجو المجلة من جميع القراء ملاحظة أن هذا العمل يستغرق وقتًا، خاصة وأن الرسائل لا تزال ترد على المجلة تباعًا. **ونأمل أن يعتبروا هذا الإيضاح شكرًا خاصًا لكل من أرسل، وسيرسل، إلينا آراءه ومقترحاته.**

والله الموفق.

ملاحظات وتعليقات على العدد ١٧٩

في رحلة لي بين الرياض والقاهرة يوم الثلاثاء ٦/ ٥/ ١٤١٢هـ، سألت عن مجلة الفيصل والمجلة العربية حين لم أجدهما بين الصحف والمجلات. فلما أحضرت لي فوجئت باسم أخي الدكتور زيد الحسين مشرفاً عليها وتذكرت أنه - قبل أشهر - طلب مني أن أبدي ملاحظاتي أو اقتراحاتي حول المجلة، ولكن الكسل والنسيان غلبا عليّ فلم أفعل.

وفي صالة المطار بانتظار إصلاح الطائرة - التي تأخرت عن موعدها - اغتنمت الفرصة وقرأت المجلة وخرجت بهذا الرأي المتواضع. وقبل ذلك أذكر أني كتبت فيها استطلاعا عن مدينة ليلى ومنطقة الافلاج بلد قيس وليلاه وجبل التوباد، وكتبت فيها مقالاً آخر عن الكتب القديمة وأوردت قائمة ونبذة عن عدد منها. ومن الطريف أن رئيس تحريرها منّ عليّ وألمح إلى أنه نشر الأخير مجاملة ونسيت أن أنصحه بأن ينشر اعتذاراً للقراء عن نشر المقال.

تابعت **الفيصل** عدة سنوات ثم توقفت عنها وعن غيرها بسبب ارتباطات المدن وتعقيداتها وكثرة المطبوعات وغلائها وضيق الوقت. ولعل من المفيد للقراء أن أذكر لهم شيئاً عن ذلك، ورغم أنه خاص بي فلا بد أنه يشغل الكثيرين من القراء. فقد كنت أحرص على قراءة جميع الصحف والمجلات السعودية وما تيسر من الخارجية وأدفع في ذلك مبالغ لا بأس بها، وأحفظ تلك الصحف والمجلات. ولكن بعد فترة وجيزة كاد يمتلئ المنزل بها فتخلصت منها بعد أن احتفظت منها بقصاصات وصفحات لموضوعات تهمني، ورتبتها على موضوعات كثيرة مثل: صور ومناظر تسر الناظرين، صور ومناظر طريفة، أخطاء مطبعية صحفية، مهاترات بين الكتاب، مهاترات بين الصحفيين، الأديب المظلوم زكي مبارك، مقالات **محمد مصطفى حمام بالعربي الفصيح: أمين سالم رويحي، باللاوندي (له) أبو حياة والناس(له أيضا)، أشياء مهمة، مقالات مرحة: عبد الله العتيبي ولقمان يونس وراشد الحمدان** وغيرهم، صفحات بعض كتابنا مقالات (وثرثرة) بنات، شعر، رسوم هزلية (كاريكاتير)، تحقيقات عن دول، تحقيقات عن مناطق في المملكة، الدين، الأدب، الطب، النخلة، مقالات وبحوث وتحقيقات، الشعر العامي، السيول، **الأندلس**.

وقد أصبحت تلك الصحف والمجلات التي تخلصت منها نادرة الآن أو شبه نادرة كجريدة **القصيم وقريش وحراء وأخبار الظهران واليمامة لحمد الجاسر والجزيرة لعبد الله بن خميس وعكاظ للعطار والأضواء وعرفات والندوة لصالح جمال والندوة لأحمد السباعي** ونحوها.

والطريف بل والعجيب أن تلك القصاصات والصفحات ملأت عندي غرفة كاملة وأصبحت عبئاً أنقله من بيت إلى بيت، وأصبح الأمل ضعيفاً في العودة إليها رغم أن متعتي في ذلك. ولله في خلقه شؤون.

بعد هذا الاستطراد الذي أرجو أن لا يزعج المشرف على المجلة وقراءها،



أعود للعدد ١٧٩ الذي اطلعت عليه في الجو والذي تُزَيِّنُ غِلافَه **بوْصَلَةٌ بَحْرِيَّةٌ** تتبع البحث القيم **(العلوم البحرية عند العرب)** وكتاب ابن ماجد (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد). وعلى ذكر هذا الربان فقد قرأت نصاً (نسيت أين) أنه من بلدة**البير** وسمعت ذلك من البعض بينما ذكر الذين ترجموه أنه من **عُمان**. وقال لي الشيخ **حمد الجاسر** إن هناك مصادر ذكرت أنه من بلدة **ثرمدا في منطقة الوشم غرب الرياض** وأن هناك ما يرجح ذلك، نسيت تلك المرجحات. وبمناسبة النسيان أذكر للقراء أبياتاً طريفة تتعلق بالنسيان:

أفرط نسياني إلى غاية	لم يَدَعْ النسيان لي حسا
فصرت مهما عَرَضَتْ حاجة	مهمة ضمنتها الطرسا
وصرت أنسى الطرس في راحتي	وصرت أنسى أنني أنسى

أعود (للمرة الثانية) لعدد **الفيصل** و أرى اسم المشرف في زاوية صغيرة لا تحيط به مساحات بيضاء وأرى الافتتاحية **(هل الثقافة أثر في الذات الفردية؟)**، بعدها الحركة الثقافية في شهر، وملاحظتي عليها أن الصور التي في أعالي الصفحات تبتعد عن الخبر المتعلق بصاحب الصورة، فحبذا لو وضعت الصورة بجانب الخبر، وفي هذا الباب مقال جيد عن تحقيق التراث **لعباس هاني الجراح** من العراق أورد فيه أمثلة لكتب حققت مرتين أو ثلاثا، وتساءل لماذا تهدر الطاقات وتتعدد الجهود وما الحل؟ وقد عقّبت المجلة في ذيل المقال وأشارت إلى أنها عقدت ندوة عن هذه المشكلة في أحد أعداد المجلة، ولكنها - كما قالت المجلة - صرخة ذهبت مع غيرها أدراج الرياح. ولِتَشَاؤم المجلة نفت أن تكون هذه الصرخة فقط هي التي ذهبت أدراج الرياح بل ذهب معها غيرها من الصرخات!

وتعليقاً على هذا المقال أذكر أن كتباً عديدة من ذلك مرَّت عليّ (أو مررت عليها) في مكتبتي الخاصة أو في مكتبة قيس ولم أقم بتسجيلها إلا متأخراً. منها: زهر الآداب **للحصري** حققه د. زكي مبارك و حققه **علي البجاوي**، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء صححها **مصطفى السقا ١٣٧٤هـ وصححها محمد محيي الدين عبد الحميد** وآخران ١٣٩٥هـ، التاج في أخبار الملوك **للجاحظ** حققه **أحمد زكي شا** ١٩١٤م ونشره **إبراهيم الزين** مدعيا تحقيقه ١٩٥٥م ولم يشر إلى عمل من قبله، كتاب التربيع والتدوير **للجاحظ** حققه **شارل بلا ١٩٥٥م وحققه فوزي عطوي** ١٩٦٩م، ديوان **الوليد بن يزيد** حقق مرتين، ديوان **دعبل الخزاعي** حقق ثلاث مرات، وغيرها وغيرها. وبعض المحققين لا يشير إلى تحقيق من سبقه وبعضهم لا يعلم عنه ومنهم من ينتقص عمل من

سبقه ويُعـدِّد لَهُ عيوبـاً . وإضافة إلى مـا ذكره الكاتب من وجـوب نشر أخبار الكتب في مجلة معهـد المخطوطات والمورد أضيف من عندي مجلـة عالم الكتب السعـودية . ولا بـد ـ كما ذكـر الكـاتب ـ من التنسيق بين المحققين والبـاحثين والجهات العلمية والجامعات .

وفي **(رحلات حول العالم)** الذي يكتبه العلامة **حمد الجاسر** ويضم فوائد وطرائف ، جاءت المقـدمة التي كتبتها المجلة مختلطة بالمقـال نفسه وكأنها منه ، بـدون أي فـاصل أو عـلامة أو إطـار سـوى أنها بـالحرف الأبيض وأول المقـال بالأسود ولكن هذا لا يكفي إطـلاقاً . وفي هذا المقال خطأ مطبعي ص ٢٠ س ٤٠ **(إزار)** جاءت **(إزرار)** . وليت الأستاذ **الجاسر** أفاد قراءه بتفصيل أكثر عن الكتاب الذي ألف حول الشيخ **أمين بن حسن الحلواني** .

الاستطلاع المصور عن **بدو الرشايدة في السودان** طريف ، يأتي بعده الملف الكامل المتعلـق بنابغة الأدب وحجـة البيان ــ كما جاء في العنـوان ـ **مصطفى صادق الرافعي** ، وكنت أود لو نشرت صور لبعض عناوين كتبه . ومن الطريف والمتعلق بموضوع **الرافعي** (رحمنا الله وإيـاه والمسلمين) أن إعـلانـا عن دواء **راسبوتين** نشر في مجلة **اللطائف المصورة** بعنوان **(ماذا يقول شيخ الأدب العربي عن راسبوتين ؟)** وأَوْرَدَتْ في الإعـلان ثنـاء على الـدواء على لسـان **الـرافعي** وتوقيعه وهنا أهدي للمجلـة صورة غلاف ديوانـه الذي طبع منذ فترة طـويلة ولم أعثر على نسخة منه إلا هذا العام رغم مرور عدة سنوات وأنا أقلب في مخازن الكتب القديمة في منـازل الوراقين في **مكة والطائف والقاهـرة واسطنبول وأنقرة وتونس ودمشق وفاس ومراكش وتطوان والرباط** . وعلى ذكر الكتب القديمة فإني أنوي الآن التخصص في جمع الكتب والبحـوث التي تتحـدث عن تـاريخ الجزيـرة العربية والملك عبد العزيز وتأليف كتاب عنها ـ بدأت فيه ـ . ومن الكتب التي وجدتها هذه الأيـام فقط ولم أطلع عليه من قبل ولم أر أحداً ذكـره ولا أعتقد أنه موجـود في أي مكتبة عامة في بـلادنا ، شأن بعض الكتب القديمـة التي عثرت عليها من قبل ، كتاب **(رحلة إلى بلاد العرب)** تأليف الدكتور **أحمد مبروك** طبع عام ١٩٣٨م وفيه وصف **للحجاز ونجد** والخيول العربية هنا وفي **مصر والعراق** وغيرها ، وقد فرحت به كثيراً كما فرحت بأمثاله مثل **(نبذة في استكشاف الأراضي الحجازية)** و **(في قلب نجد والحجاز)** و **(رحلة الحجاز للمازني والشهبندر)** وغير ذلك .

واستمتعت في العدد بالمقـابلة التي أجرتها **انتصار أحمد** مع المستشرق أو المستعرب الأسباني **أميليو غـارثيا غـوميث** . وفي فتـاوى الشيخ د. **صـالح اللحيدان** رأي حول المرح (الـدعابة) قد لا يـوافقه عليه البعض الـذي يرى أن هذا أصبح ضرورياً في هذه الحياة المضطربة الكثيرة الارتباطات والأعمال وأصبح الجد الكثير الدائم يهدد صحة الأبدان كما يقول أولئك . أقول هذا رغم احترامي لرأي المفتي . ولِكلٍّ رأيه .

وتمنيت ، بعد أن قرأت الاستطلاع عن الحيوانـات البرية خارج بلادنا ، أن أرى استطلاعـا عن الحيوانات والزواحـف والطيور البرية في بلادنـا وهي جميلة وعجيبة وغريبة ولا يعرف عنها الكثيرون شيئاً ، وسـأذكر ما أعرفه عنها في كتابي عن بلدتي **البير**، ومنها القمري **(القميري)** والحمام والغرانيق والضب والجربوع والصعوة والمسلق وأم سالم وبعض أنواع الحيّات وغيرها .

أقف قليـلاً أمام الموضـوع الجيـد الهادف عن التـدخين وأرجو للمـدخنين الإقلاع عنه والشفاء من أضراره ولغيرهم السلامة واستمرار العافية .

وقصيدة **(الشائب)** **(بعد الستين)** تذكرني بالمؤلفـات والقصائد والمقالات التي كتبت حـول هـذا ، ولكنهـا غـالبـاً حـول الخمسين منهـا : **حياتنا بعد الخمسين لسلامـة موسى** ، **مجلـة (واشتعل الـرأس شيبا) التونسيـة** ، **نحن المعمرون لحسن عبد السـلام** ، **المعمرون والوصايا** ، **طـويل العمر للسيد فرج** ، **الشهاب في الشيب والشباب** ، **الشيب لسعيد الكوسا** ، **الشباب والشيب في الشعر العربي** ، **بكاء الناس على الشباب وجزعهم من الشيب** ، **كتاب المعمرين من العرب وطرف من أخبارهم وما قالوه في آخر أيامهم** .

وهذا التحقيق عن **ابن الوردي** ووصفه لأمريكـا أراه رائعا بحق ويستحق القراءة والتأمل .

وقبل أن أدلف إلى الصفحة الأخيرة من المجلة أسجل خطأ مطبعياً ص ٣٦ في الفقرة الخامسة من الموضوع المعنون **(الرافعي في سطور)** ، السطر الأخير منها كلمة (حتى) جـاءت (حين) . وجملة (وحُمِلَ جثمانه إلى حيث رقد رقـدة الأبد) [في موضـوع «جهاد الرافعي»] لم استسغها ، لأن رقـدة الأبد ليست في القبر بل في الجنة أو النار ، ومثل هذه الجملـة قولهم (إلى مثواه الأخير) . ونسأل الله حسن الخاتمة .

الصفحة الأخيرة ــ أيها السادة القـراء ـ عنـوانها **الركعة الخامسة** ، ورغم الأخطاء المطبعية فيها التي عـددت منها سبعاً وتتمثل في وضع نقطتين على هاء غير منقوطة أو تركها في المنقوطة ، فقد وجدت المقال يذكر حالات تَحْدُثُ دائماً .

وأؤيـد الكاتب **(الطائفي)** أن مثل هذه الموضوعات في حاجة إلى إيضاح من العلماء .

وبعد ، فهذه خواطر أعترف أنها تصلح للنشر في صحيفة سيارة لا في مجلة كهذه ، ولكن عذري أن هذه بداية وأعد بكتابة موضوعات لعلها تكون أفضل في الأعداد القادمـة . والعذر عند خيار الناس ـ المشرف على التحـرير والقراء ـ مقبول .

محمد بن عبد الله الحمدان
الرياض

* «الفيصل» : نشكر الأستاذ محمـد عبد الله الحمدان على ملاحظاتـه وتعليقاته التي تعكس اهتمامه بمجلتـه ، وسيستفاد من تلك الملاحظات بإذن الله . أمـا ما سماه «بوصلـة بحرية» وهي صورة غـلاف العدد فهو في الواقع «اسطـرلاب» . وحيث إننا لم نستلم صورة غلاف ديوان الرافعي مع تعقيبه فإننا لا نزال بانتظار الهدية!